شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة و الثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

علم وخبر 2009/287

العدد العاشر، ربيع الأوّل 1432 - شباط 2011

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير

محمد كوراني

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 40 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية و إسلامية. وأوروبا و أمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

□ لبنان : 3000 ل.ل □ سوريا: 100 ل.س

سائر البلدان: تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

هاتف 01/544955 - 03/725246

ص.ب: 25/5141

الموقع: www.saraer.org/shaaer

بريد إلكتروني: shaaer@saraer.org

10

شعائر

مجلة شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية و الثقافة الأخلاقية

تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة: العصر استثنائيّ، والمستقبل واعد، وهما محمّديّان .... الشيخ حسين كوراني ٦

تحقيق: الحرم النبويّ الشريف ..... تحقيق: أحمد الحسيني ٨

مراقبات: أعمال شهر ربيع الأول ١٥

أحسن الحديث: معنى التأويل في القرآن الكريم ..... د. محمد فاكر الميبدي ١٨

سورة التوبة ..... من دروس «المركز الإسلامي» ٢٠

أيام الله: مناسبات شهر ربيع الأول ٢١

وقال الرسول: قراءة القرآن جلاء القلوب ٢٨

حدود الله: مستحبات بعد الدفن ٢٩

يزكّيهم: داوموا على صلاة جعفر ..... المقدس الشيخ بهجت قدس سره ٣٠

الملف: **الإنسان الكامل ..سرّ الخلق** ٣٠

الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله ..... من «الصلوات الكبيرة» ٣٢

أوّلُ ما خلق الله نورُ نَبيِّك يا جابر ..... من دروس «المركز الإسلامي» ٣٣

بشّرت الرُسُل بظهوره.. ..... من دروس «المركز الإسلامي» ٣٥

بعيون الحكمة والعرفان ..... الشيخ علي جابر ٣٦

مولد سيّد النبيّين صلى الله عليه وآله ..... أسرة التحرير ٣٩

بين الحبيب والخليل ..... العلامة ابن شهر اشوب ٤٤

..كما صلّيتَ على... ..... إعداد: محمد العبدالله ٤٥

دروس من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ..... تنسيق: طالب صلاح ٤٧

ماذا نعرف عن الإمام الصادق عليه السلام؟ ..... المرجع الشيخ الخراساني ٤٩

من أسرار الصلاة على محمّد وآل محمّد ٥١

صاحب الأمر: التقرّب إلى آخر أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله ..... الميرزا محمد تقي الأصفهاني رحمه الله ٥٢

تحقيق: المسجد النبوي الشريف

محتويات العدد

لولا دعاؤكم: من أدعية النبيّ صلّى الله عليه وآله ٥٣

كتابا موقوتا: مستحبّات السجود ..... إعداد: الشيخ علي المسترشد ٥٤

يذكرون: فاذكُروني .. أذكرُكم ٥٥

فكر و نظر: المرسِل الرسول، الرسالة ..... المرجع الشهيد السيد الصدر قدس سره ٥٦

«إختبارات المقدّس» ..... النائب السيّد نواف الموسوي ٦٠

أعلام: الفقيه الكبير الشيخ محمد حسن النجفي رحمه الله ٦٣

وصايا: أهميّة التآزر وتصدّي الجماعة ..... المرجع الراحل الشيخ زين الدين قدس سره ٦٦

وثائق: «الرؤيا الصادقة» ..... مخطوطة في نسختين ٦٧

كلمة سواء: أخلاقيّة السلام العالمي ..... محمود حيدر ٦٨

مرابطة: معهد واشنطن ..والحرب القادمة ..... تقرير ٦٩

دوائر ثقافية: «رسالة السير والسلوك» المنسوبة إلى السيد بحر العلوم ٧٠

مصطلحات:

اللّـــهُ، الرحمن، القيّوم ..... السيد مرتضى العسكري قدس سره ٧٢

الإبستيمولوجيا ..... خضر إبراهيم ٧٣

عشر خصال ..... حديث شريف ٧٤

وآدمُ لولاك لم يُخلق ..... «تخميس» الكاظمي ٧٥

مفكّرة الشعائر ..... حِكَم و لغة ٧٨

إصدارات عربية ٧٩

إصدارات أجنبية ٨٠

دوريات ٨١

أيها العزيز: تَعَلُّقُ القلب بالدّنيا ..... الإمام الخميني قدس سره ٨٢

العصر استثنائيّ ، والمستقبل واعد

وهما محمّديّان

■ الشيخ حسين كوراني

من مشاهد يوم القيامة : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ . . . ﴾ الزمر:٦٩ .

فهل يمكننا الفصل بين هذا العصر وبين تلك الإشراقة ، ألا يتقدّم طلوع الفجر ، إشراقةَ الشمس؟

أبرز سمات العصر الراهن الاستثنائيّ أنّه محمّديّ ، ومحمّد ﷺ سرّ النبيّين وتجلّي التوحيد ، و«الرحمة» التي يبحث عنها العالمون ، والعدل والقسط الذي سيملأ الأرضَ بعدما ملأها المتنكّبون لصراط الأنبياء ظلماً وجوراً .

والدنيا اليوم غير ما كانته بالأمس القريب .

كانت أميركا تبدو قدَراً ، وصارت اليوم تذكّر ببريطانيا حين أشرفت شمسُها على الأُفول .

وكان زوال «إسرائيل» حلماً ، واليوم يتحدّث عنه «الإسرائيليّون» بهلع مستبدّ ، وهم يفكّرون بالمخيّمات القادمة .

كان الشعب الفلسطينيّ بين ستّة ملايين ممنوعين من العودة ، وأقلّ منهم مهدّدين بـ«التهجير» الذي كان يلطَّف بالتعبير عنه بـ«الترانسفير» .

وها هو اليوم يستعيد كلّ آماله بتحرير كلّ فلسطين .

كانت غزّة منفى ، كمحطّة للتهجير ، وصارت اليوم «غزّة هاشم» ، سلاح الأمّة الأمضى ، والمُصلت فوق رؤوس الصهاينة والمتصهينين .

تذكّر غزّة ببعيد غور الاستدراج الإلهيّ للكيان الغاصب : ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ الأعراف:١٨٣ .

كان لبنان «دولة النصارى» المتحالفين مع «إسرائيل» والذين نُشر مشروع دولتهم مع منشور الوطن القوميّ اليهوديّ ، في آن معاً ، وها هم المسيحيّون في لبنان بأغلبيّتهم الساحقة ، يثبتون ولاءهم للمسيح وبراءتهم من «قَتَلته» .

من معالم هذا العصر الاستثنائيّ غلبة الوطنيّين من المسيحيّين على حلفاء «إسرائيل» وعملائها .

كانت بيروت «باريس الثانية» ، وها هي اليوم القدس الثانية ، ورافعةَ راية تحرير القدس وكلّ المقدّسات ، ومنها تراب الوطن وإنسانه .

عشنا عقوداً من الخوف على الأنفس ، وسالت دماؤنا ، وتشظّت الأجساد ، إلى أن ملّ الموت منّا ، ولم نعرف طعم الحياة .

وها نحن مع المقاومة الإسلاميّة نتنفّس مع الصبح الحياة وطعمها الأبهى ، ببركة من أيقن بأنّ «الموت في حياتكم مقهورين ، والحياة في موتكم قاهرين» .

كانت تركيا «الرجل المريض» ثم دخلت في «كوما» طويلة الأمد ، وها هي اليوم تتوثّب لتكون شريان قلب الأمّة النابض .

وكانت سوريا مهدّدة بالاقتلاع ، وها هي محجّة التائبين من الغرب والشرق .

وكان العراق «حوض أسِيدٍ» صداميّ – أميركيّ ، وها هو الشعب العراقيّ يتعافى سريعاً من مجازر وجرائم لا نظير لها ،

لو كانت في أيّ بلد آخر لما أمكنه استعادة عافيته .

محمّديّة العراق مكّنته من تحقيق المعجزة .

ومحمّديّة العصر مكّنت أهل هذا العصر من الاستحمام بالسنا المحمّديّ ، وتنسّم هبوب الرحمة الإلهيّة الواسعة . ولم يتحقّق تواصل الأمّة مع نبيّ الرحمة في هذا العصر ، فإذا هو استثنائيّ ، لولا محمّديّة الإمام الخمينيّ الراحل قدّس سرّه .

كانت محمّديّة أبي مصطفى وما تزال استثنائيّة . إنّها محمّديّة مَن «استنزل القرآن» وليس مجرّد أنّه «نزل عليه» . وهي بعدُ محمّديّة الحسين وحسينيّة محمّد ؛ «حسينٌ منّي وأنا من حسين» .

ألم يقل الإمام الخمينيّ : «كلّ ما لدينا من عاشوراء» ؟

ألم يحمل الإمام الخمينيّ همّ العالم كلّه معتبراً «إيران» قاعدة الانطلاق ؟

وهل تكلّم يوماً بغير هموم العالمين ؟

**

لم يكن خطّ الإمام الخمينيّ ليتواصل بعد رحيل الإمام ، لولا عناية الله بعبده المسدَّد الإمام الخامنئيّ .

بذات النفس الخمينيّ العالميّ واصل وليّ أمر المسلمين ، المرجع القائد دام ظلّه ، رفدَ المسيرة المحمّديّة في هذا العصر :

* «إنّ بعثة النّبي الأكرم تُعتبر حركة عظيمة في تأريخ البشريّة ، عبر إنقاذها للإنسان وتهذيب النفس والروح والأخلاق البشريّة . يومٌ يُعَدُّ أمجدَ يوم في تأريخ البشريّة ؛ لأنّ مَنْ خاطبه الباري عزّ وجلّ وألقى عليه تلك المهمّة الكبرى – ألا وهو رسول الله ﷺ – هو أعظم إنسانٍ في التأريخ ، وأسمى ظاهرةٍ في عالم الوجود ، ومَظهرُ اسم الله الأعظم» .

**

هذا العصر الاستثنائيّ نعمةٌ كبرى ، وقد وعدنا ربّنا سبحانه ، إنْ شَكَرْنا بالمزيد .

فهل نؤدّي بعض واجب الشكر على هذه النِعَم : * الثورة الإسلاميّة وقيادتها الرشيدة . * حزب الله ، المقاومة الإسلاميّة في لبنان .

* المقاومة الإسلاميّة في فلسطين ، عبر حماس ، والجهاد الإسلاميّ بالخصوص .

* الصحوة الإسلاميّة والتحرريّة العالميّة ، التي يقع في سياقها كلّ حراك وطنيّ وإنسانيّ سليم .

خير ما يُمكن أن نعبّر به كمسلمين عن شكرنا : إقامة الصلاة بما تعنيه من حُسن الأداء ، وإقامةِ العدل في العالم .

أمّا غير المسلمين من المستضعَفين ، فإنّ مُضيَّهم قُدماً في مواجهة الظلم هو نفسه التعرّف على سرّ النبيّين ، الرحمة للعالمين ، الذي يذكّرهم بيوم الخلاص ، موعد نزول نبيّ الله عيسى عليه السلام ، ليأتمّ بآخر أوصياء محمّد ﷺ ، ويدعوهم إلى اتّباع محمّد وآل محمّد صلّى الله عليهم أجمعين .

إنْ أردنا أن نعرف عظيم واجب هذا الشكر ، فلنتأمّل في مشاهد هدم بيوت الفلسطينيّين ، ومحاصرة كنيسة القيامة ، ومجازر الكنائس في العراق ومصر ، وتمزيق السودان ، ونسأل أنفسنا : ماذا لو لم تكن شجرة الثورة الإسلاميّة الطيّبة ، وثمرتاها الأنضج المقاومة الإسلاميّة في لبنان وفلسطين ؟ إلى أين كانت ستصل هذه المخطّطات الصهيونيّة التي صارت بفضل محمّديّة الخمينيّ مجرّد حشرجات مؤلمة . . ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ص:٨٨

الحرم النبويّ الشريف
مهبطُ الوحي، ومُنطلق العالميّة العادلة

تحقيق: أحمد الحسيني

الحرم النبويّ المقدّس

المسجدُ النبويّ الشريف، المسجدُ الأقدسُ بعد المسجد الحرام. بتأسيسه كان التحوّل الكبير الذي عرفته أرضُ الحجاز، حتّى وصل صوت الإسلام إلى أربع رياح المعمورة. بجواره دُفن سيّد النبيِّين محمّد صلى الله عليه وآله، وما بين قبره الشريف ومنبره روضةٌ من رياض الجنّة ... والصلاةُ فيه تعادل ألف ركعة. إليه تهفو القلوب، وتُشدُّ الرِّحال شوقاً إلى مهبط الوحي وملتقى السماء والأرض.

وحدهم الوهابيُّون يُصرُّون على الفصل بين الاهتمام بالمسجد النبويّ، والحنين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويَنهى ابنُ تيمية عن السلامَ على رسول الله لِمَن وصل إلى المسجد النبويّ! أمّا المسلمون جميعاً، فلسانُ حالِ كلٍّ منهم:

يا خيرَ مَن دُفنتْ في القاع أعظُمه ... فطابَ من طيبهنَّ القاعُ والأَكَمُ

نفسي الفداءُ لقبرٍ أنت نازلُه ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ.

نُطلّ في هذا التحقيق على أقسام المسجد النبويّ الشريف، وعِمارته، وطرفٍ من فضائله وآداب زيارته.

بناء المسجد النبويّ

المسجد النبويّ هو المسجد الثاني الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الأولى من الهجرة، والأوّل هو مسجد «قُبا»، حيث نزل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الهجرة وأقام فيها عدّة أيّام ثمّ توجّه إلى المدينة ضحى الجمعة، فأحاط به الصحابة كلٌّ يريد أن يأخذ بزمام ناقته ليكون ضيفَه، وهو صلى الله عليه وآله يقول: «خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة»، والناقة تتلفّت يميناً وشمالاً كأنّها تبحث عن شيء، حتّى وصلت دار أبي أيّوب الأنصاري، وهناك بركت، وكانت الأرض مقابلَه مربداً ليتيمين من الأنصار، فقال صلى الله عليه وآله: «هنا المنزل إن شاء الله».

واختار ﷺ المكان الذي بركت فيه الناقة ليكون مسجداً ومصلّى. فأمر بتسوية الأرض بعدما اشتراها من اليتيمين، وقطع النخيل ليتّخذ منها عمداً وأمر – لاحقاً – بالجَريد ليُسقّف به. وخطّط ﷺ الأرض، فجعل طول المسجد ممّا يلي قبلته إلى مؤخّره ٧٠ ذراعاً، وجعل عرضه ٦٠ ذراعاً، وجعل القبلة إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب. وكان ﷺ يحمل بنفسه اللَّبِن ليرغب المسلمون في العمل فيه.

استغرق بناء المسجد سبعة أشهر، وقيل عاماً. خلال هذه المدّة، بقي النبيّ ﷺ عند أبي أيّوب الأنصاري حتّى تمّ بناء المسجد وحجرتين إلى جنبه. ولم يجعل للمسجد سقفاً فشكوا الحرّ، فظلّلوا بالجريد ثمّ بالخصف، فلمّا نزل عليهم المطر طيّنوا بالطين.

ثمّ إنّ رسول الله ﷺ بنى لعليٍّ عليه السلام حجرة بجانب الحجرة التي سكنها ﷺ، وبنى أصحابه بجانب المسجد حُجَراً سكنوها، وكانت أبوابها إلى المسجد، فأمر النبيّ ﷺ بسدّ هذه الأبواب إلاّ باب عليّ عليه السلام، فبقي بابُه إلى المسجد ليس له طريق غيره.

ولمّا أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يولّي وجهه شطر المسجد الحرام بمكّة المكرّمة، بعدما كانت القبلة أوّل الأمر تجاه بيت المقدس، نُقلت القبلة من الجدار الشماليّ إلى الجدار الجنوبيّ من المسجد. وفي السنة السابعة من الهجرة، وبعد عودته ﷺ من غزوة خيبر، كثُر عدد المسلمين وضاق المسجد بهم، فسألوا

المسجد النبويّ ليلاً

رسول الله ﷺ أن يوسّعه حتّى يسع المصلّين، فأجابهم إلى ما طلبوا، وبلغت مساحته الكليّة ٢٤٧٥ متراً مربّعاً.

وفي زمن رسول الله ﷺ، كان الجزء الأماميّ من المسجد مسقوفاً، والجزء الخلفيّ مكشوفاً. ولمّا تحوّلت القبلة إلى الكعبة المشرّفة، سُقّف ممّا يليها، وبقيت المساحة في منتصف المسجد على شكل ساحة مكشوفة حوالي أربعين عاماً. وظلّت هذه السّاحة

منبر المسجد النبويّ

تتّسع مع التّجديدات التي عرفها المسجد النبويّ عبر التّاريخ، وصارت تعرف بالحصوة أو البحصة لأنّها تُفرش بالحصى.

الروضة الشريفة

قال رسول الله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة»، ورُوي بلفظ «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة». لقد أجمع المسلمون على صحّة هذا الحديث، ولكنّهم اختلفوا في معنى الروضة. فذهب بعضهم إلى تأويل ذلك بأنّ تلك البقعة كروضة من رياض الجنّة في نزول الرحمة وحصول السعادة، وقال بعضهم أنّها تؤدّي إلى الجنّة. وقال بعضهم إنّها روضة حقيقيّةً لا مجاز.

ويبلغ طول الروضة الشريفة اثنين وعشرين متراً تقريباً، ويشمل عرضها – على الظاهر – ثماني أسطوانات من الجنوب إلى الشمال. أي أنّ هذه الروضة المباركة تشمل بيت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، فيكون عرضها ١٥م؛ وعليه تكون مساحتها ٣٣٠ متراً مربعاً تقريباً. والروضة التي يُصلّى فيها حالياً ليست كلّها التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، لأنّه أُدخل جزءٌ منها في الجدار ذي الأضلاع الخمسة، والذي بُني حولها سنة ١٢٦هـ.

المنبر

اتّسع المسجد وكثُرت أعداد المسلمين، فصار النبيّ ﷺ إذا خطب فيهم قد لا يُسمع صوته، أو لا يُرى لكثرتهم، فطلبوا منه أن يتّخذوا له شيئاً ليقوم عليه إذا خطبهم، فوافق على أن يبنوا له دكّة من طين. وفي السنة السابعة أو الثامنة صُنع له ﷺ المنبرُ الشريف، وكان من ثلاث درجات، يجلس النبيّ ﷺ على الثالثة ويضع قدميه المباركتين على الدرجة الثانية.

والجدير ذكره أنّ مروان بن الحكم – في أثناء حكم معاوية في

صورة إفتراضية تقريبيّة لما كان عليه المسجد النّبوي الشريف في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وتبدو الحجرتان بجواره

الشام – حاول أن يقلع المنبر الشريف ليبعث به إلى معاوية، فكُسِفت الشمس حتى بانت النجوم، فاضطرب الناس وأنكروا فِعلته وحالوا بينه وبين ذلك.

محراب النبيّ صلى الله عليه وآله

لم تُعرف المحاريب في المساجد إلا في أواسط القرن الهجريّ الثاني، ففي زمن النبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن ثمّة محراب، وإنّما كان يصلّي في جنب الأسطوانة المُخَلَّقَة. والمحراب الموجود الآن مبنيٌّ من حجر المرمر ومزيّنٌ بالآيات القرآنيّة.

محراب فاطمة عليها السلام

يقع هذا المحراب داخل الحجرة الشريفة، وقد شُيِّد في الموضع الذي كانت تتهجّد فيه الصدّيقة الكبرى صلوات الله عليها، وبما أنّه داخل الحجرة، فلا يُمكن رؤيته والتبرّك به.

الأساطين المشهورة في المسجد النبويّ

أساطين المسجد النبويّ (أي أعمدته ويُقال لها السواري أيضاً) التي كانت في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، كانت من جذوع النخل. وقد تحرّى الذين وسّعوا المسجد الشريف أن يحافظوا على أماكن هذه الأساطين، فوضعوا كلّ أسطوانة في المكان الذي كانت فيه على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله. وفي المسجد النبويّ عددٌ من الأسطوانات دخلت التاريخ؛ فقد كان لكلّ واحدة منها قصة حظيت من رسول الله صلى الله عليه وآله بنصيب. وأشهر هذه الأسطوانات هي:

١-الأسطوانة المُخلَّقة: هذه الأسطوانة عَلَمٌ على مصلّى النبيّ صلى الله عليه وآله، حيث كان يصلّي عندها؛ وتُعرف بهذا الإسم لأنّها تُخلَّقُ بالطِيب.

٢-أسطوانة القرعة: وتُعرف أيضاً بأسطوانة المهاجرين وبمجلس المهاجرين.

٣-أسطوانة التوبة (أبي لُبابة): وأبو لبابة هو رفاعة بن عبد المنذر، وإنّما سُمِّيت به لأنّه ربط نفسه فيها رجاء أن يتوب الله تعالى عليه. قال بعض المؤرّخين إنّ سبب توبته تعاطفه مع يهود بني قريظة عندما أوفده رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم. فلمّا تنبّه إلى عظيم جُرمه، مضى إلى المسجد، وارتبط إلى جذعٍ في موضع أسطوانة التوبة، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأنفال:٢٧.

وحلف لا يحلّ نفسه حتّى يحلّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وظلّ كذلك حتّى تاب الله عليه وأنزل قوله تعالى: ﴿وَآَخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآَخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة:١٠٢.

وقد أورد العلاّمة الأميني في (الغدير) عن (الروض الأنف) أنّه قال: «أنّ فاطمة عليها السلام أرادت حلّه حين نزلت توبتُه، فقال: قد أقسمتُ ألا يَحُلّني إلاّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : **إنّ فاطمة مُضغةٌ منّي. فصلّى الله عليه وعلى فاطمة..**».

ولهذه الأسطوانة مكانة عظيمة – غير قصة أبي لبابة – حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبّد في جنبها ويصلّي النوافل، وكان إذا اعتكف طُرح له فراشُه ووُضع له سرير وراء أسطوانة التوبة. ورُوي أنّه يُستحبّ الصلاة والدعاء والجلوس عندها.

٤ – أسطوانة السرير: كان للنبيّ صلى الله عليه وآله سريرٌ عند هذه الأسطوانة يضطجع عليه. وهي أوّل أسطوانة من جهة القبلة متّصلة بالجدار

الغربيّ للحجرة الشريفة.

٥- أسطوانة أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: ويُقال لها أسطوانة المَحرس. تقع خلف أسطوانة التوبة من جهة الشمال (عند نهاية الحجرة الشريفة وقبل بيت فاطمة عليها السلام)، وتُسمّى أسطوانة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد كان مصلاّه إليها، وكان صلوات الله عليه يقف ويبيت عندها لحراسة النبيّ صلى الله عليه وآله.

٦- أسطوانة الوفود: تقع خلف اسطوانة المحرس من الشمال، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس إليها ليقابل وفود العرب القادمين إليه.

٧- أسطوانة مربعة القبر: كان بيت فاطمة الزهراء عليها السلام في المربعة التي في القبر، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يدخل إليها من بابه، وورد ذكر استحباب الصلاة عندها.

٨- أسطوانة التهجّد: وموقعها وراء بيت السيّدة فاطمة عليها السلام من جهة الشمال، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يُخرج حصيراً كلّ ليلة إذا انكفأت الناس، فيطرحه وراء بيت عليّ عليه السلام، ثمّ يصلّي صلاة الليل ويتهجّد.

٩- أسطوانة جبرائيل: هي بابُ فاطمة عليها السلام، موضعها داخل الجدار المحيط بالقبر الشريف. يقول السمهودي: «وقد حُرِم الناس الصلاة إلى هذه الأسطوانة لإدارة الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وغلق بابه. وكم وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على هذا الباب وهو يقرأ بأعلى صوته: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب:٣٣.

أبواب المسجد

كان للمسجد النبويّ ثلاثة أبواب في بنايته الأولى، وهي:

١- باب عاتكة، من جهة الغرب، ويُعرف الآن بباب الرحمة، وترجع تسميته هذه إلى أنّ رجلاً دخل المسجد طالباً من الرسول صلى الله عليه وآله الدعاء لإرسال المطر، فأمطرت السماء سبعة أيام، ثم دخل في الجمعة الثانية طالباً رفع المطر خشية الغرق، فانقشعت السُحب، فأُطلق عليه باب الرحمة، وقيل له باب النبيّ لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يدخل منه.

٢- باب من جهة الشرق يُعرفُ بباب جبريل، لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله التقى بجبريل عليه السلام في هذا المكان في غزوة بني قُريْظة.

٣- باب النساء، وهو في مؤخّر المسجد.

المسجد النّبوي في مطلع القرن العشرين

المنازل حول المسجد

ابتنى رسول الله صلى الله عليه وآله منازله ومنازل أصحابه حول المسجد، وكلٌّ شرع منه باباً إليه، فكانوا يخرجون من منازلهم ويدخلون المسجد. ثم إنّ جبريل أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى بسدّ كلّ أبواب المنازل إلى المسجد، ولا يكون لأحدٍ بابٌ إلى المسجد إلاّ للنبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام. وكان عدد هذه الأبواب حوالي عشرين باباً. وكان يفصل بين هذه البيوت وبين المسجد طريق عرضه ١٠ أذرع، وكان المؤذّن ينادي للصلاة من على سطح أعلاها.

ولمّا تُوفي رسول الله صلى الله عليه وآله في حجرته، دُفِن فيها، ثمّ ضمّت إلى المسجد في الجهة الشرقيّة الجنوبيّة.

الصُفَّة

جعل رسول الله صلى الله عليه وآله في مؤخّر المسجد مكاناً مُظلّلاً يُعرف بالصُفَّة، على مدخل باب جبرائيل عليه السلام. وكان الغرباء والمساكين يأوون إلى هذا المكان ويجلسون فيه. حتّى إذا كان المساء، فرّقهم رسول الله صلى الله عليه وآله على أصحابه، وأخذ طائفة منهم فتتعشّى معه. وكان أهل هذا المكان يُسمَّون أهل الصُفَّة، ومنهم حنظلة غسيل الملائكة، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يجالسهم ويأنس بهم ويتحنّن ويتصدّق عليهم. وقد نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾ الكهف:٢٨.

تبلغ مساحة الصُّفَّة ٣٠ متراً مربّعاً بارتفاع نصف متر.

تجديد عمارة المسجد النبويّ

بعد وفاة رسول الله ﷺ، وفي سنة ١٧ للهجرة، نُزعت أساطين المسجد الخشبيّة وجُعلت من اللّبن، وفُرش الحصب (الحصى الصغير) في أرضه، وجيء بهذا الحصى من وادي العقيق.

وفي سنة ٢٩ هـ أُعيد بناؤه بالحجارة المنقوشة وفيها الحديد والرصاص، وسُقِف بخشب الساج وزِيد فيه من ثلاث جهات، ماخلا الجنوبيّة منها.

أمّا العام ١٢٦ هـ فقد شهد تغييرات أساسيّة في المسجد الشريف، حيث تمّ شراء الدور التي حوله وأُدخلت فيه، وجُعل له عشرون باباً، ومآذن وشُرُفات، وأعمدته من حجارة حشوها الحديد والرصاص، وزُيِّن بالسلاسل والقناديل.

وفي أواخر القرن الهجري الثاني، تمّت توسعة الحرم النبويّ بإضافة رقعة من الأرض إليه، وفُتحت له أبواب جديدة، وأُعيد بناء عددٍ من مآذنه، فأصبح يتألّف من صحنٍ أوسط تحفّ به أربعة أروقة، ويحتوي رواق القبلة على خمسة صفوف من الأعمدة موازية لجدار القبلة. في العام ٥٥٧ هـ أُقيم سورٌ من الرّصاص حول الحجرة النبويّة الشريفة، وفي العام ٦٦٨ هـ أُقيمت حولها مقصورة خشبيّة بارتفاع ٣,٥ أمتار لها ثلاثة أبواب، وتضمّ: الحجرة الشريفة، والجدار الذي بُني حولها وجزءاً من الروضة الشريفة، وبيت السيدة فاطمة عليها السلام.

وقد حرص المسلمون خلال الحقبات اللاحقة أشدّ الحرص على العناية بعمارة الحرم وتوسِعته، وأُقيمت القباب فوق الحجرة الشريفة وفوق الأساطين، وأصبح اليوم يتّسع لمئات الآلاف من المصلّين الذين يأبون إلا أن يجدِّدوا العهد بنبيّهم ﷺ كُلّما أُتيح لهم ذلك.

تجدر الإشارة إلى أنّ عمليات التوسعة لم تراعِ الحفاظ على بعض المعالم التاريخية التي يُعتبر محوها من أكبر مخالفات القوانين العالميّة للمحافظة على الآثار، حيث كان بالإمكان الجمع بين توسعة المسجد النبويّ التي كان لا بدّ منها، وبين تثبيت لوحة في مكان هذا المَعلم أو ذاك، أو المحافظة على مساحة صغيرة في مكان المَعلم التاريخي نفسه، أو ترك عمود من بناء كبير، وغير ذلك.

لقد محت عمليات التوسعة مكان بيت الصحابيّ الجليل أبي أيّوب الأنصاري، وهو أوّل بيت نزل فيه رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة المنوّرة، فقد توقّفت الناقة كما جاء في مستهلّ هذا

قبة الحجرة الشريفة وقباب الأساطين

التحقيق، عند مكان المسجد، فتحوّل عنها رسول الله إلى بيت أبي أيّوب الأنصاري.

كما كان في المنطقة الملاصقة لسور البقيع الجنوبي- الغربي المواجه للحرم الشريف، وعلى امتداد كبير باتجاه الحرم محلّة كانت تعرف بمحلّة «سادات بني هاشم»، كان فيها بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وبيت الإمام الحسن وبيت الإمام جعفر الصادق عليهما السلام، وبيوت أخرى، وكانت جدران بعضها ترتفع عدة أمتار.

يُضاف إلى ذلك قبر إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام، الذي كان يقع تقريباً مقابل بوابة البقيع اليوم، وكان عبارة عن غرفة كبيرة.

كلّ هذه المعالم وغيرها تمّ محوها من دون أن تُترك ولو علامة تدلّ عليها.

والمأمول أن لا تُكمل عمليات التوسعة سواء في الحرم المكّيّ أم المدنيّ طمسَ هذه المعالم التي تخفق قلوبُ المسلمين بحبّ زيارتها ومعرفة أخبارها. ما يزال بالإمكان الكثير، ومن باب المثال: المحافظة على مكان مولد رسول الله ﷺ في مكة؛ «مكتبة مكة» اليوم، فهل نُدرك مسؤوليتنا كأمّة في رفع الصوت لإحقاق حقّ الأمة في رعاية مقدّساتها ومعالمها التاريخيّة الدينيّة.

أوليست هذه المعالم، أولى بالرعاية والمطالبة من تماثيل بوذا في أفغانستان؟

فضل المسجد النبويّ الشريف

عن رسول الله ﷺ:

«إنّ خيرَ ما رُكِبَتْ إليه الرواحل مسجدي هذا، والبيت العتيق».

«مَن خرج على طُهر، لا يريد إلا مسجدي هذا ليصلّي فيه كان بمنزلة حِجّة».

«صلاةٌ في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في ما سواه، إلا المسجد الحرام».

«صلاةٌ في مسجدي تعدل عند الله عشرة آلاف صلاة في غيره

من المساجد، إلا المسجد الحرام؛ فإنّ الصلاة فيه تعدل مائة ألف صلاة».

«مَن صلّى في مسجدي أربعين صلاة لا يفوته صلاة، كُتبت له براءة من النار، ونجاة من العذاب، وبرئ من النفاق».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أكثروا الصلاة في هذا المسجد ما استطعتم، فإنّه خيرٌ لكم. واعلموا أنّ الرجل قد يكون كيّساً في أمر الدنيا، فيقال: ما أكيس فلاناً! فكيف من كان كأَس في أمر آخرته؟!».

إتمام الصلاة فيه

عن الإمام الصادق عليه السلام: «تتمّ الصلاة في أربعة مواطن: في المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين صلوات الله عليه».

آدابه

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا دخلت المسجد فإن استطعت أن تقيم ثلاثة أيّام: الأربعاء والخميس والجمعة، فصلِّ ما بين القبر والمنبر يوم الأربعاء عند الأسطوانة التي تلي القبر، فتدعو الله عندها وتسأله كلّ حاجة تريدها في آخرة أو دنيا، واليوم الثاني عند أسطوانة التوبة، ويوم الجمعة عند مقام النبيّ صلى الله عليه وآله مقابل الأسطوانة الكثيرة الخلوق، فتدعو الله عندهنّ لكلّ حاجة، وتصوم تلك الثلاثة الأيّام».

الباحة المظلّلة

عمل لقضاء الحوائج

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنْ كان لك مقام بالمدينة ثلاثة أيّام صمت أوّل يوم يوم الأربعاء، وتصلّي ليلة الأربعاء عند أسطوانة أبي لبابة - أي أسطوانة التوبة التي كان ربط نفسه إليها حتّى نزل عذره من السماء - وتقعد عندها يوم الأربعاء. ثم تأتي ليلة الخميس الأسطوانة التي تليها ممّا يلي مقام النبيّ صلى الله عليه وآله، ليلتك ويومك، وتصوم يوم الخميس. ثم تأتي الأسطوانة التي تلي مقام النبيّ صلى الله عليه وآله ومُصلاّه ليلة الجمعة، فتصلّي عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الجمعة، فإن استطعت أن لا تتكلّم بشيء في هذه الأيّام فافعل، إلا ما لا بدّ لك منه. ولا تخرج من المسجد إلا لحاجة، ولا تنامَ في ليل ولا نهار فافعل، لأنّ ذلك مما يُعدّ فيه الفضل. ثمّ احمد الله في يوم الجمعة وأثنِ عليه وصلِّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسَل حاجتك، وليكن فيما تقول: «أللّهمّ ما كانت لي إليك من حاجةٍ شرعتُ أنا في طلبِها والتماسِها أو لم أشرَع، سألتكها أو لم أسألكها، فإنّي أتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله في قضاء حوائجي صغيرها وكبيرها». فإنّك حريٌّ أن تُقضى إليك حاجتك، إن شاء الله».

وعنه عليه السلام: «إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فائتِ المنبر فامسحه بيدك، وخذ برمّانتيه وهما السفلاوان، وامسح عينيك ووجهك به، فإنّه يُقال إنّه شفاء العين. وقم عنده فاحمد الله وأثنِ عليه وسَل حاجتك، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنّة، ومنبري على ترعة من ترع الجنّة - والترعة هي الباب الصغير -. ثم تأتي مقام النبيّ صلى الله عليه وآله فتصلّي فيه ما بدا لك، فإذا دخلت المسجد فصلِّ على النبيّ صلى الله عليه وآله، وإذا خرجت فاصنع مثل ذلك، وأكثر من الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله».

وعنه عليه السلام: «أفضل موضع يُصلّى فيه منه ما قَرُب من القبر، فإذا دخلت المدينة فاغتسل، وائتِ المسجد فابدأ بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله، وقف به وسلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله، واشهَدْ له بالرسالة والبلاغ، وأكثِر من الصلاة عليه، وادعُ من الدعاء بما فتح الله لك فيه».

الدعاء في الروضة الشريفة

ويُستحبُّ الدعاء في الروضة الشريفة، والابتهال إلى الله سبحانه بالدّعاء الذي أوّله: «أللّهمّ إنّ هذه روضة من رياض جنّتك، وشعبةٌ من شُعَبِ رحمتِك...».

مدخل الحرم النبوي الشريف من ناحية «جنة البقيع»

والروضة المباركة معلّمةٌ بعلامات تمتاز على غيرها من بقاع المسجد، لأنّ أسطواناتها مغطاة بالمرمر الأبيض دون سائر الأسطوانات.

ويُستحبّ أيضاً الصلاة في مقام النبيّ صلى الله عليه وآله الذي كان يصلّي فيه، وهو الآن محرابٌ قريب من الأسطوانة المخلّقة.

الصلاة والدعاء عند أسطوانة أبي لبابة

ويُستحبّ كذلك صلاة ركعتين عند أسطوانة أبي لُبابة المعروفة بـ «أسطوانة التوبة». وبعد الصلاة تدعو بالدعاء الذي أوّله: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، أللّهمّ لا تُهنّي بالفقر...»، ثم تطلب حاجتك وتستغفر من ذنوبك، فإنّ حاجتك تُقضى إن شاء الله تعالى.

زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله

روى أبو بكر الدمياطي في (إعانة الطالبين) عن البخاريّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن صلّى عليَّ عند قبري وكَّلَ اللهُ به ملكاً يبلِّغُني، وكُفِيَ أمرَ دنياه وآخرتِه، وكنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة**».

ويُعقّب الدمياطيّ في الحثّ على زيارة قبره صلى الله عليه وآله بالقول: «**زيارة قبر النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من أفضل القُرُبات، فينبغي أن يحرص عليها، وليحذر كلّ الحذر من التخلّف عنها مع القدرة، وخصوصاً بعد حِجّة الإسلام، لأنّ حقّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم على أُمّته عظيم، ولو أنّ أحدهم يجيء على رأسه أو على بصره من أبعد موضع من الأرض لزيارته صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، لم يقم بالحقّ الذي عليه لنبيّه جزاه اللهُ عن المسلمين أتمّ الجزاء..**».

ثمّ يُسهب في ذكر آداب زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله، بدءاً من خروج الزائر قاصداً المدينة المنوّرة، فإذا بلغ مشارفها، يتوجّب عليه تأدُّباً أن يمشي حافياً، بعد أن يغتسل ويلبس النظيف من ثيابه، ويردّد أذكاراً وأدعية بعينها. ويقول أيضاً: «ويسنُّ أن يتصدّق بما أمكنه التصدّق به، عملاً بآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة..﴾ المجادلة:١٢، "..." وأن يقف بالباب وقفةً لطيفةً كالمُستأذن في الدخول على العظماء "..." ثمّ يأتي القبر الشريف من جهة رأسه الشريف، فإنّه الأليق بالأدب، ويقول حالةَ كَوْنِه غاضّاً لِبَصره، ناظراً للأرض، مستحضراً عظمة النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وأنّه حيٌّ في قبره الأعظم، مُطَّلِعٌ بإذن الله على ظواهر الخلق وسرائرهم».

ونقل العلامة الأميني في (الغدير) عن العدوي الحمزاوي في (كنز المطالب): «ومن أحسن ما يقول بعد تجديد التوبة في ذلك الموقف الشريف، وتلاوة ﴿..ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول..﴾ النساء:٦٤، يقول: نحن وفدك يا رسول الله وزوّارك، جئناك لقضاء حقِّك، وللتبرُّك بزيارتك والاستشفاع بك ممّا أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا».

وعلّق الشيخ الأميني بالقول إنّ الشيخ علي القاري الحنفي زاد على ذلك في (شرح الشمائل): «فليس لنا شفيعٌ غيرك نؤمِّلُه، ولا رجاء غير بابك نصِلُه، فاستغفر لنا واشفع لنا إلى ربّك يا شفيعَ المُذنبين، واسألْهُ أن يجعلنا من عباده الصالحين».

وفي (جواهر الكلام) للفقيه الشيخ محمد حسن النجفي شرحٌ وافٍ لفضائل مجاورة الحرم النبويّ وأنّ الإقامة في مدينة الرسول مقدّمة على ما عداها من البلدان، وروى رضوان الله عليه عن مرازم أنّه قال: «دخلت أنا وعمار وجماعة على أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام بالمدينة فقال: ما مقامكم؟ فقال عمار: قد سرَّحنا ظهرنا [دوابّنا] وأمرنا أن نُؤتى به إلى خمسة عشر يوماً، فقال عليه السلام: أصبتم المقام في بلد رسول الله صلى الله عليه وآله، والصلاة في مسجده، واعملوا لآخرتكم وأَكثِروا لأنفسكم..»، كما روى صاحب الجواهر حشداً من الروايات حول آداب زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله، والثواب الجزيل المذخور لزائري هذه البقعة المقدّسة.

وتزخر المصنّفات الفقهيّة والروائيّة عند جميع المسلمين، وفي مختلف العصور، بالحثّ على التشرّف بزيارة حرم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله، وتُفرد مساحاتٍ واسعة لشرح آداب زيارته، والأدعية والصلوات المسنونة، والثواب المؤمّل من التعرّض لأنوار صاحب الشريعة الغرّاء صلى الله عليه وآله، ورزقنا شفاعتهم أجمعين.

أعمال شهر ربيع الأول

شهر ربيع الأوّل، شهر ولادة مَن أُرسلَ رحمةً للعالمين، للناس أجمعين، وخاتماً للنبيّين. «فالله الله أيّها العارفُ بالصواب، المحافظُ على الآداب، المراقبُ لمالك يوم الحساب، أن يكون يومَ مولد خاتم الأنبياء عندك دون مولد أحد في دار الفناء، وكن ذلك اليوم عارفاً ومعترفاً بفضل الله جلّ جلالُه عليك وعلى سائر عباده وبلاده، بالنعمة العظيمة بإنشاء هذا المولود المقدّس وتعظيم ميلاده.

وتقرّب إلى الله جلّ جلاله بالصدقات المبرورة، وصلوات الشكر المذكورة، والتهاني في ما بين أهل الإسلام، وإظهار فضل هذا اليوم على الأيام، حتى تعرّفه قلوبَ الأطفال والنساء، ويصير طبيعةً لهم نافعة ورافعة في دار الابتلاء ودار دوام البقاء. ولا تقتدِ بأهل الكسالة أو المتهوّنين بأمر الجلالة، أو الجاهلين لحقوق صاحب الرسالة، فإنّ الواصف لأمر ولا يقوم بتعظيم قدره، والمادح بشكر ولا يعلم بما مدحه من شكره، ممّن يُكذِّب فعالُه مقالَه، ويشهد عليه بالخسران والخذلان أعماله».

* * *

المراقبات: هذا الشهر كاسمه ربيع الشهور، لِما ظهر فيه من آثار رحمة الله جلّت آلاؤه، ونزل فيه من ذخائر بركاته وأنوار جماله على الأرض، حيث اتّفق فيه ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله ، الذي يُمكن أن يدّعي مدّعٍ أنّه ما نزل - منذ خُلقت الأرض - عليها رحمة مثلها. فمقدار عظمة هذه الرحمة على غيرها، يُساوق عِظَم شرافة رسول الله صلى الله عليه وآله على سائر المخلوقات. فكما أنّه أعلمُ خلقِ الله، وأشرفهم، وسيّدهم وأقربهم إلى الله وأطوَعهم له، وأحبّهم لديه، فكذلك شرف هذا اليوم على سائر الأيّام، فكأنّه يومٌ بُنيت فيه من الهدايات أتمّها، ومن الكرامات أعظمها، ومن الرحمات أشملها، ومن البركات أشرفها، ومن الأنوار أبهاها، ومن الأسرار أخفاها.

فعلى المسلِم المصدّق بشرف رسول الله صلى الله عليه وآله ، المراقِب في معاملة مولاه، أن يعظِّم هذا اليوم عنده في الشرف بما لا يبلغه وصف الواصفين، وأن يكون فضله لديه أكثر وأعظم من كلّ ما يقدّر أو يفرض من فضل الأوقات، لأنّ في مثل هذا اليوم نزل أصل سائر الفضائل والشرافات لهذه الأمّة، فجميع بركات النبوّة والإمامة والكتاب والشريعة إنّما ظهرت بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله. وعلى المسلم المراقِب أن يجتهد بتمام جهده في شكر هذه النعمة العظيمة، ويكون سعيه لسعة هذه الرحمة الواسعة، ويجعله يوم عيده الأعظم، ويتقرّب إلى الله جلّ جلاله فيه بالقربات الوافية، ويتوسّل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالتوسّلات الكافية الشافية.

دعاء غرّة ربيع الأوّل

إقبال الأعمال: أللّهمّ لا إله إلّا أنت، يا ذا الطَوْل والقوّة، والحَوْل والعزّة، سُبحانَكَ ما أعظمَ وحدانيّتك، وأقدمَ صَمديّتك، وأوْحدَ إلهيّتك، وأبيَن ربوبيّتك، وأظهرَ جلالَك، وأشرفَ بهاء آلائك، وأبهى كمال صنائعك، وأعظمَكَ في كِبريائك، وأقدمَكَ في سلطانك، وأنورَكَ في أرضك وسمائك، وأقدَمَ مُلكك، وأدومَ عِزّك، وأكرمَ عفوك، وأوسعَ حلمك، وأغمضَ علمك، وأنفذَ قدرتك، وأحوطَ قربك.

أسألُكَ بنورِكَ القديم، وأسمائكَ التي كوَّنْتَ بها كلَّ شيء، أن تصلّي على محمّدٍ وآل محمّد، كما صلّيت وباركت ورحمت وترحّمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيدٌ، وأن تأخُذَ بناصيتي إلى موافقتِكَ، وتَنظرَ إليّ برأفتِكَ ورحمتِك، وترزقَني الحجَّ إلى بيتِكَ الحرام، وأن تجمعَ بين روحي وأرواحِ أنبيائك ورُسُلك، وتوصلَ المِنَّةَ بالمِنَّة، والمزيدَ بالمزيد، والخيرَ بالبركات، والإحسانَ بالإحسان، كما تفرَّدْتَ بخَلقِ ما صنعْتَ، وعلى ما ابتدعْتَ وحكمْتَ ورحِمْتَ. فأنتَ الذي لا تُنازَعُ في المقدور، وأنت مالكُ العزِّ والنور، وسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً، وأنتَ القائمُ الدائمُ المُهيمِنُ القدير.

إلهي لم أزَلْ سائلاً مسكيناً فقيراً إليك، فاجعل جميع أموري موصولاً بثقة الاعتماد عليك، وحُسنِ الرجوع إليك، والرضا بقَدَرك، واليقين بك، والتفويض إليك. سُبحانَكَ لا عِلمَ لنا إلّا ما علّمتَنا إنّك أنت العليم الحكيم. سبحانَهُ، بلْ له ما في السماوات والأرض كلٌّ له قانتون، سبحانَك فَقِنا عذابَ النار، سبحانكَ تُبتُ إليك وأنا أوّل المؤمنين، سبحانكَ أنتَ وليّنا من دونهم، سبحانَ الله ربِّ العالمين. سبحان الله وما أنا من المشركين، سبحان الله عمّا يشركون، سبحان الذي أسْرى بعبدِه ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حولَهُ لنُريه من آياتنا إنّه هو السميعُ البصيرُ.

سبحانَ الله حين تُمسونَ وحين تُصبحون، وله الحمدُ في السماواتِ والأرض وعشيّاً وحين تُظهرون، يُخرجُ الحيَّ من الميِّت ويُخرجُ الميِّتَ من الحيِّ، ويُحيي الأرضَ بعد موتِها وكذلك تُخرَجون. سبحانَه وتعالى عمَّا يُشركون، سبحانَه وتعالى عمّا يقولونَ علوّاً كبيراً. سبحان ربِّنا إن كان وعدُ ربِّنا لَمفعولاً، سبحانَ الذي بيدِهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ وإليه تُرجَعون، سبحانَه بل عِبادٌ مُكرَمون، سبحانَه هو اللهُ الواحدُ القهّار، سبحانَ ربّنا إنّا كنّا ظالمين، سبحانَ ربِّك ربِّ العزّة عمّا يَصفون، وسلامٌ على المُرسَلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين. أللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ، وعرِّفنا بركةَ هذا الشهر ويُمْنَه، وارزقنا خَيْرَه واصرِف عنّا شرّه، واجعلنا فيه من الفائزين، برحمتِكَ يا أرحم الراحمين.

* مراقبات الليلة الأولى واليوم الأوّل

إقبال الأعمال: الليلة الأولى هي ليلة مبيت أمير المؤمنين عليه السلام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله. " .. " وكانت سلامة صاحب الرسالة من قِبل أهل الضلالة صادرةً عن تدبير الله جلّ جلالُه بمبيت مولانا عليّ عليه السلام في مكانه، وآيةً باهرة لمولانا عليّ عليه السلام شاهدةً بتعظيم شأنه. وأنزل الله جلّ جلاله في مقدّس قرآنه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ البقرة: ٢٠٧، فأخبر أنّ سريرة مولانا عليّ عليه السلام كانت بيعاً لنفسه الشريفة، وطلباً لمرضاة الله جلّ جلاله دون كلّ مراد.

* وأوّل يوم منه هاجر النبيّ صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة سنة ثلاث عشرة من مبعثه، وكان ذلك يوم الخميس، يُستحبُّ صيامه لما أظهر الله فيه من أمر نبيّه والنجاة من عدوّه. فهو يومٌ صومُه منقول وفضلُه مقبول، فصُمْه على قدر الفوائد بالشكر على سلامة رسول الله صلى الله عليه وآله، وما فتح بالمهاجرة من سعادة الدنيا والمعاد. ويحسُن أن تصلّي صلاة الشكر، فإنّه يومٌ عظيمُ السعادة، فما أحقّه بالشكر والصدقات والمبرّات.

* مراقبات اليوم الثامن

المراقبات: وقع فيه وفاة الإمام أبي محمّد الحسن الزكيّ العسكريّ عليه السلام، فَلِلمراقب أن يحزن فيه، لا سيّما بلحاظ أنّ صاحب المصيبة فيه حجّة عصره وإمام زمانه أرواح العالمين فداه، عليه وعلى آبائه صلوات الله، يزوره بما يبدو له ويعزّي الإمام عليه السلام بما يناسبه.

ثمّ يشكر الله لخلافة إمامه عليه السلام، ويتأثّر من غَيْبته وفقده، ويتذكّر زمن ظهوره، وفوائد أنواره، وخيره وبركته.

* مراقبات اليوم العاشر

المراقبات: تزويج رسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة سلام الله عليها. فعلى الشيعة تعظيم هذا الأمر لِما وقع من تأثير هذا التزويج المبارك الميمون في الخيرات والبركات، وانتشرت منه الأنوار الباهرات الطاهرات، من جهات شتّى.

* مراقبات اليوم الثاني عشر

إقبال الأعمال: في الثاني عشر منه يُستحبّ أن تصلّي فيه ركعتين، في الأولى الحمد مرّة و(قل يا أيّها الكافرون) ثلاثاً، وفي الثانية الحمد مرّة و(قل هو الله أحد) ثلاثاً.

* مراقبات اليوم الرابع عشر

إقبال الأعمال: الرابع عشر منه سنة أربع وستين كان هلاك الملحد الملعون يزيد بن معاوية لعنه الله، ولعن مَن طرق له ما أتاه إلى عترة رسوله، ومهّد له ورضِيَه ومالأه عليه. فهذا اليوم الرابع عشر حقيقٌ بالصيام شكراً على هلاك إمام الظلم والغدر، ويومُ الصدقات والمبالغة في الحمد والشكر.

* مراقبات اليوم السابع عشر

إقبال الأعمال: الشيخ المفيد رضوان الله عليه: مولد سيّدنا رسول الله صلوات الله عليه عند طلوع الفجر من يوم الجمعة عام الفيل، وهو يومٌ شريف عظيم البركة، ولم تزل الشيعة على قديم الأوقات تعظّمه، وتعرف حقّه، وترعى حرمتَه، وتتطوّع بصيامه. وقد رُوي عن أئمّة الهدى من آل محمّد عليهم السلام أنّهم قالوا: مَن صام يوم السابع عشر من ربيع الأول، وهو يوم مولد سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، كتب الله له صيام سنة. ويُستحبّ فيه الصدقة، والإلمام بمشاهد الأئمّة عليهم السلام، والتطوّع بالخيرات، وإدخال السرور على أهل الإيمان. أقول: إنّ الذي ذكره شيخنا المفيد على سبيل الجملة من دون التفصيل، والذي أقوله إنّه ينبغي أن يكون تعظيم هذا اليوم الجميل على قدر تعظيم الرسول الجليل المقدَّم على كلّ موجود من الخلائق، المكمّل في السوابق والطرائق، فمهما عملت فيه من الخيرات، وعرفت فيه من المبرّات والمسرّات، فالأمر أعظم منه، وهيهات أن تعرف قدر هذا اليوم.

...ومن مهمّات هذا اليوم، زيارة الرسول صلى الله عليه وآله من قريب أو بعيد. وقد رُوي عنه صلوات الله عليه أنّه قال: «مَن زار قبري بعد موتي كان كمَن هاجر إليّ في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليّ بالسلام، فإنّه يبلغني».

... وأمّا زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عند ضريحه الشريف: فزُر مولانا وسيّدنا رسول الله ومولانا أمير المؤمنين عليّاً صلوات الله عليهما بالزيارة التي زارهما بها مولانا الصادق جعفر بن محمّد صلوات الله عليه وآله، حيث حضر عند ضريح مولانا عليّ عليه السلام في يوم سابع عشر ربيع الأول، مولد سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّها فاضلة فيما أشار إليه. (يُراجع كتابا "مفاتيح الجنان" و"إقبال الأعمال").

***

* وفي هذا اليوم الشريف أيضاً في سنة ثلاث وثمانين للهجرة وُلد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، في المدينة المنوّرة، فزاده شرفاً وفضلاً.

* صلاة اليوم السابع عشر من ربيع الأول

يُصلّي عند ارتفاع نهار يوم السابع عشر من ربيع الأول ركعتين، يقرأ في كلّ ركعة منهما الفاتحة مرة و(إنّا أنزلناه) عشر مرّات، والإخلاص (قل هو الله أحد) عشر مرّات، ثم تجلس في مصلّاك وتقول: أللّهمَّ أنت حيٌّ لا تموت، وخالقٌ لا تُغلب ... (الدعاء حوالي خمس صفحات، يُراجع كتاب "إقبال الأعمال").

معنى التأويل
في القرآن الكريم

د. محمد فاكر الميبدي*

ورد لفظ «التأويل» في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة، تندرج كلّها - على ما يرى الدكتور الميبدي - في معنيين رئيسين، التأويل البياني والتأويل الموئلي. ويتناول هذا المقال - إضافة لما سلف - معنى «التأويل» اصطلاحاً عند أعلام مفسّري الشيعة والسّنة.

استخدم القرآن لفظ «التأويل» في سبعة عشر موضعاً، كانت في بادئ الرأي على معانٍ متعددّة بالنحو التالي:

أوّلاً: مآل الأمر وعاقبته، وهو في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ النساء:٥٩. إنّ المراد بالتأويل ها هنا هو: مآل الأمر وعاقبتُه، ومعناه: أعوَد نفعاً وأحسن عاقبة.

ثانياً: حقيقة الأمر، وهو في قوله سبحانه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ..﴾ الأعراف:٥٣؛ إذ إنّ المراد بالتأويل ها هنا هو: حقيقة الأمر التي كانت هي الباعثة على سَوق بيان القرآن، وتشريع أحكامه، والإنذار، والتبشير.

ثالثاً: توجيه العمل المتشابه، ومنه تأويل أعمال صاحب موسى عليه السلام بقوله: ﴿..سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ الكهف:٧٨. فالإنباء بالتأويل إنباء عن السرّ المكنون في هذه الأعمال التي كانت بظاهرها أشياء نكرة أو أعمالاً بلا أُجرة، فوجّهها صاحب موسى عليه السلام بأنّها كذا وكذا.

رابعاً: إرجاع القول المتشابه، وهو في قوله عزّ وجلّ: ﴿.. مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ..﴾ آل عمران:٧. تأويل المتشابه هو المرجع يُرجع الذي إليه؛ إذ المراد بالمتشابه: كَون الآية بحيث لا يتعيّن مرادها لفهم السامع بمجرّد استماعها، بل يتردّد بين معنىً ومعنىً حتى يرجع إلى مُحكَمات الكتاب، فتعيّن معناها وتُبيِّنُها بياناً.

خامساً: تعبير الرؤيا، هو في قوله جلّ وعلا: ﴿..وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا..﴾ يوسف:١٠٠. إنّ الله عبّر عن تعبير الرؤيا بالتأويل.

هذه خلاصة ما قاله المفسّرون في تفسير الآيات.

ملحوظة

يبدو بالدقّة والتأمّل أنّ هذه المعاني تتلخّص في معنيين رئيسين:

المعنى الأوّل: التأويل البيانيّ، أي: بالمعنى المصدريّ، وهو بيان المرجع والموئل، كما في قصة صاحب موسى عليه السلام حيث قال: ﴿.. ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ الكهف:٨٢، فإنّه أشار بقوله ذلك إلى الإنباء نفسه عمّا سيقع، لا عن أمور لم تتحقّق بعد، وإلى هذا المعنى يرجع تأويل المتشابه قولاً.

المعنى الثاني: التأويل الموئليّ، أي ما يؤول إليه الشيء، وهي الحقيقة الخارجيّة، ﴿.. وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا..﴾ يوسف:١٠٠ فإنّ يوسف عليه السلام أشار بقوله هذا إلى الأمر نفسه، الخُرور والسجود الصادر عن أبويه وإخوته الأحد عشر. ويرجع إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿.. ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ النساء:٥٩؛ فإنّ إتيان التأويل لا يكون من مقولة القول، بل هو الأمر الخارجيّ نفسه.

وأمّا تأويل الرؤيا فله حيثيّتان، هما: الحيثيّة الموئليّة، وهي من الأمور الخارجيّة، أي: ما وقع في الخارج، مثل قوله تعالى: ﴿.. وَمَا

* مفكر إسلامي وباحث في الدراسات القرآنيّة

﴿نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ يوسف:٤٤، أي: لا نعلم حقيقة هذا الأمر، والحيثيّة البيانيّة، مثل قوله تعالى: ﴿..وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ..﴾ يوسف:٦، وعليه يعبّر عن تأويل الرؤيا بالتعبير مسامحة، ذلك أنّ المعبِّر يؤوِّل الرؤيا بما يقوله.

معنى التأويل اصطلاحاً

قال الطبرسيّ وهو من قدامى مفسّري الشيعة: «التأويل: ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر».

وقال العلّامة الطباطبائي: «إنّ التأويل ليس من المفاهيم التي هي مداليل للألفاظ، بل هي من الأمور الخارجيّة العينيّة». وقال في موضع آخر: «إنّ التأويل في عُرف القرآن هو الحقيقة التي يتضمنّها الشيء ويؤول إليها، ويُبتنى عليها، كتأويل الرؤيا: وهو تعبيرها، وتأويل الحكم: وهو مِلاكُه، وتأويل الفعل: وهو مصلحته وغايته الحقيقيّة، وتأويل الواقعة: وهو علّتها الواقعيّة».

وذهب السيّد الحكيم إلى أنّ التأويل يكون من مقولة المصداق، حيث قال: «إنّ المراد بالتأويل هو: تفسير معنى اللفظ، والبحث عن استيعاب ما يؤول إليه المفهوم العام، ويتجسّد به من صورة ومصداق».

وذهب الشيخ محمّد هادي معرفة إلى معنيين للتأويل:

المعنى الأوّل: «دفع الشبهة عن التشابه من الأقوال والأفعال، فمورده حصول شبهة في قول أو عمل أوجبت خفاء الحقيقة (الهدف الأقصى أو المعنى المراد)، فالتأويل إزاحة هذا الخفاء». وعبّر عنه في موضع آخر بـ «توجيه المتشابه، سواءٌ أكان كلاماً متشابهاً، أم عملاً مثيراً للرَّيب».

والمعنى الآخر: «المعنى الثانويّ للكلام، المعبّر عنه بالبطن، تجاه المعنى الأوّليّ المعبَّر عنه بالظهر».

وذهب مفسّرون آخرون من أهل السنّة إلى عدّة معانٍ للتأويل:

منها: ترادفه مع التفسير، وهو رأي الطبريّ. وكان دأبُه في تفسيره أنّه يقول: «تأويل القرآن، والقول في تأويل الاستعاذة، والقول في تأويل البسملة». وقال في كلّ آية «القول في تأويله»، فعليه سَمّى تفسيره بـ (جامع البيان في تأويل القرآن).

ومنها: تأويل الرؤيا، وهو حقيقتها الخارجيّة التي ضربت في عالم المثال.

ومنها: التأويل بمعنى العاقبة كما قيل في قوله تعالى: ﴿...إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء:٥٩، قيل: أحسن عاقبة؛ فإنّ عواقب الأمور هي حقائقها التي تؤول إليها، ومنه التأويل بمعنى التفسير؛ لأنّ تفسير الكلام هو بيان معناه وحقيقته التي يُراد منه. وقال بعضهم إنّ التأويل بمعنى التفسير يكون من مقولة العلم والكلام، فيما ذهب آخرون إلى أنّه من الحقائق الخارجيّة.

ومنها: ما قاله السيّوطي: «إنّ التأويل ما استنبطه العالمون لمعاني الخطاب، الماهرون في آلات العلوم».

ومنها: ما قاله الآلوسي: من «أنّ التأويل إشارة قدسيّة، ومعارف سبحانيّة تنكشف من سجف العبارات للسالكين، وتنهلّ من سحب الغَيب على قلوب العارفين». كما عبّر عنه محمود ربيع بأنّه: «علم إلهيّ، وأنّه ليس علماً مكتسَباً مثل علم الفقه وعلم التفسير...، كما أنّه ليس اجتهاداً شخصيّاً نتيجة لتأمّل أو تدريب».

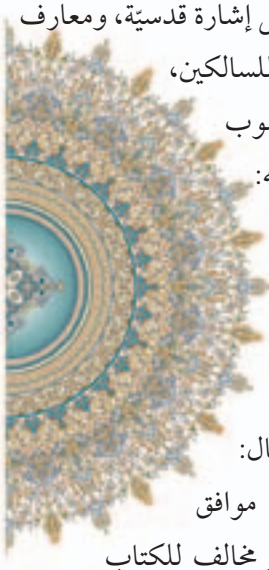

ومنها: ما ذهب إليه البغويّ، وقال: «التأويل: هو صرف الآية إلى معنىً موافق لما قبلها وما بعدها، تحمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنّة من طريق الاستنباط».

وحُكي عن عبد الله ابن قدامة أنّه قال: «التأويل: صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح به لاعتضاده بدليل، يصير به أغلب الظنّ من المعنى الذي دلّ عليه الظاهر».

ومنها أخيراً أنّ التفسير: ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل: ما كان راجعاً إلى الدراية؛ وذلك لأنّ التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلّا إذا ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي... أمّا التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويُتَوَصَّلُ إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها.

موجز في التعريف بالسور

سورة التوبة

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾

ذكر المفسِّرون لهذه السورة أسماء عديدة تبلغ العشرة، غير أنّ المشهور منها ثلاثة: سورة البراءة، وسورة التوبة، والسورة الفاضحة. ولكلٍّ من هذه التسميات سببٌ جليّ. فالبراءة، لأنّها تبتدئ بإعلان براءة الله من المشركين، والذين يَنقُضون عهدهم. والتوبة، لما ورد فيها من مزيد الكلام عن التوبة. والفاضحة، لما فيها من الآيات التي تكشف النِّقاب عن أعمال المنافقين لتعريَتهم وخزيهم وفضيحتهم. وهي أوّل سورة نزلت في المدينة دفعة واحدة، آياتها مائة وتسع وعشرون، وكلماتها أربعة آلاف وثمان وتسعون كلمة.

«تفسير نور الثّقلين»:

* النبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن قرأ سورة الأنفال والبراءة، فأنا شفيعٌ له وشاهدٌ يوم القيامة أنّه بريءٌ من النفاق، وأُعطي من الأجر بعدد كلّ منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات، ومُحِي عنه عشر سيّئات، ورُفع له عشر درجات، وكان العرش وحَمَلَته يصلّون عليه أيّام حياته في الدنيا**».

* الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن قرأ سورة الأنفال وسورة البراءة في كلّ شهر، لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام**».

* وعنه عليه السلام: «**الأنفال والبراءة واحد**».

* في كتاب (الخصال) عن الحارث بن ثعلبة قال: «قلت لسعد: أَشهِدْتَ شيئاً من مناقب عليٍّ عليه السلام؟ قال: نعم، شهِدتُ له أربع مناقب، والخامسة قد شهدتُها، لأنْ يكون لي منهنّ واحدة، أحبُّ إليّ من حُمر النَّعم. بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر ببراءة، ثمّ أرسل علياً عليه السلام فأخذها منه، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله أُنزلَ فيَّ شيء؟ قال: لا، إلاّ أنّه لا يبلّغ عنّي إلا رجلٌ منّي..».

«تفسير مجمع البيان»: «..لمّا نزلت الآيات من أوّل براءة، دفعها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكّة ويقرأها على النّاس بمِنى يوم النَّحر، فلمّا خرج أبو بكر، نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد، لا يؤدّي عنك إلا رجلٌ منك، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام في طلبه، فلحقه بـ «الرَّوحا» فأخذ منه الآيات، فرجع أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أنزل فيَّ شيء؟ فقال: لا، إنّ الله أمرني أن لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي».

«تفسير الميزان»: .. سورة التوبة أو سورة البراءة، وقد اختلف المفسّرون في كونها سورة مستقلّة أو جزءاً من سورة الأنفال، واختلافهم في ذلك ينتهي إلى اختلاف الصحابة ثمّ التابعين فيه. وقد اختلف في ذلك الحديث عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، غير أنّ الأرجح ما يدلّ من حديثهم على أنّها مُلحقة بسورة الأنفال. والبحث عن معاني آياتها وما اشتملت عليه من المضامين لا يَهدي إلى غَرَض واحد متعيّن، على حدّ سائر السوَر المشتمِلة على أغراض مشخّصة تؤمّها أوائلها، وتنعطف إليها أواخرها. فأوّلها آيات تؤذِنُ بالبراءة، وفيها آيات القتال مع المشركين، والقتال مع أهل الكتاب، وشطرٌ عظيم منها يتكلّم في أمر المنافقين، وآيات في الاستنهاض على القتال وما يتعرّض لحال المخلّفين، وآيات ولاية الكفّار، وآيات الزكاة وغير ذلك، ومعظمها ما يرجع إلى قتال الكفّار وما يرجع إلى المنافقين. وعلى أيّ حال لا يترتّب من جهة التفسير على هذا البحث فائدة مهمّة.

«تفسير الأمثل»: هذه السورة هي آخر سورة نزلت على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، أو من أواخر السوَر النازلة عليه في المدينة. والمعروف أنّ بداية نزول هذه السورة كانت في السنة التاسعة للهجرة، ويدلّ تتبُّع آياتها على أنّ قسماً منها نزل قبل معركة تَبوك، وقسماً آخر

نزل عند الاستعداد للمعركة أو الغزوة، وقسماً ثالثاً نزل بعد الرجوع من المعركة والفراغ منها.

ومن بداية السورة حتى الآية الثامنة والعشرين نزل قُبيل موسم الحجّ. والآيات الأولى والتي تتعلّق بِمَن بقي من المشركين، بلّغها أمير المؤمنين عليه السلام في موسم الحجّ.

محتوى السورة: لمّا كان نزول هذه السورة إبّان انتشار الإسلام في الجزيرة العربيّة، وتحطيم آخر مقاومة للمشركين، فقد كان لِما حَوَته من مفاهيم ومواضيع حسّاسة أهمّية بالغة. إذ يتعلّق قسم منها بالبقيّة الباقية من عَبَدة الأوثان والمشركين، وقطع العلاقات معهم، وإلغاء المعاهدات والمواثيق التي كانت بينهم وبين المسلمين، لِنَقْضهم لها مراراً، ليتمّ تطهير المحيط الإسلاميّ من رجس الوثنيّة إلى الأبد. وحيث إنّ بعض الأعداء عند انتشار رقعة الإسلام وتحطيم قوى الشرك، غيَّرَ مَظهرهُ بُغية النفوذ بين المسلمين، ولتوجيه ضربة قاضية للإسلام من قِبَل المنافقين، فإنّ قسماً مهمّاً من آيات هذه السورة يتحدّث عن المنافقين وعاقبتهم، ويحذّر المسلمين منهم. وبعض آيات هذه السورة يتحدّث عن الجهاد في سبيل الله وأهمّيته، لأنّ الغفلة عن هذا الأمر الحياتيّ في ذلك الظرف الحسّاس، تبعث على ضعف المسلمين وتقهقرهم أو انكسارهم. كما أنّ قسماً آخر من الآيات يكمل البحوث السابقة التي تناولت انحراف أهل الكتاب - اليهود والنصارى - عن حقيقة التوحيد، وتتكلّم عن انصراف علمائهم عن واجبهم في التبليغ وقيادة المجتمع. وفي بعض آيات هذه السورة حثٌّ للمسلمين على الاتّحاد ورصّ الصفوف، وتوبيخٌ للمتخاذلين المنحرِفين، أو الضعاف الذين يتذرّعون بذرائع واهية للتخلّص من هذا الواجب. ثمّ إنّ فيها ثناءً على المهاجرين السابقين إلى الهجرة، والصفوة من المؤمنين الصادقين. وحيث سبَّب انتشار الإسلام واتّساع رقعة مجتمعه آنئذٍ ظهورَ حاجات مختلفة ينبغي توفيرها، فقد عرضت بقيّة الآيات من هذه السورة موضوع الزكاة وتحريم تراكم الثروات واكتنازها، ووجوبَ طلب العلم أو التعلّم وتعليم الجَهَلة، وتناولت بحوثاً متنوّعة أخرى كقصّة هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله، والأشهر الحُرُم التي يَحرم فيها القتال، وأخذ الجزية من الأقليّات الدينيّة غير الإسلاميّة.

***

ترك البسملة في أوّلها قراءة وكتابة، وفيه أقوال، منها:

عن الإمام عليّ عليه السلام: «لم ينزل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ على رأس سورة براءة، لأنّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ للأمان والرّحمة، ونزلت براءة لدفع الأمان والسيف (لرفع الأمان بالسيف)».

..وتفيض عيناه إذا تهجّد

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوانٌ فيه النِعَم، وديوانٌ فيه الحَسنات، وديوانٌ فيه السيّئات، فيُقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرقُ النعم عامّةَ الحسنات، ويبقى ديوان السيّئات، فيُدعى بابن آدم المؤمن للحساب، فيتقدّم القرآنُ أمامه في أحسن صورة فيقول:

يا ربِّ، أنا القرآن وهذا عبدُك المؤمن، قد كان يُتعبُ نفسه بتلاوتي، ويُطيل ليلَه بترتيلي، وتَفيضُ عيناه إذا تهجَّد، فأَرْضِه كما أرضاني.

فيقول العزيز الجبّار: عبدي، أبْسط يمينك، فيملأها من رضوان الله العزيز الجبّار، ويملأ شماله من رحمة الله، ثمّ يُقال: هذه الجنّة مُباحةٌ لك، فاقرأ واصعَد، فإذا قرأ آية صعد درجة».

* *

قال الإمام السجاد، عليُّ بن الحسين عليه السلام:

«لو مات مَن بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي».

مناسبات شهر ربيع الأول

١ ربيع ١

* هجرة النبي صلى الله عليه وآله ومبيت الإمام علي عليه السلام على فراشه سنة ١٣ من البعثة.
* غزوة دومة الجندل سنة ٥ وقيل ٩ للهجرة.

٣/ع١/ ١٣ للبعثة

ليلة اليوم الرابع: خروج النبي صلى الله عليه وآله من غار ثور إلى يثرب (المدينة المنوّرة) سنة ١٣ من البعثة.

٥ /ع١/ ١١٧ هـ ج

وفاة السيدة سكينة بنت الحسين عليه السلام، شقيقة عبد الله الرضيع لأمهما الرباب بنت امرؤ القيس.

٨ /ع١/ ٢٦٠ هـ ج

* شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، (أنظر أبرز المناسبات)
* بداية إمامة بقية الله الأعظم صلوات الله عليه.

١٠/ع١

* زواج النبيّ صلى الله عليه وآله بالسيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام سنة ٢٨ قبل الهجرة.
* وفاة عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد عام الفيل بثماني سنوات.

١٢/ع١

* ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله برواية الكُلَيني.
* وصول رسول الله إلى (قبا) في المدينة المنورة.
* زوال الدولة الأموية سنة ١٣٢ للهجرة.
* أسبوع الوحدة الإسلامية (١٢-١٧ ع١).

١٤/ع١/٦٤هـج

هلاك الطاغية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

١٥/ع١/١٣ للبعثة

بناء مسجد قباء (أول مسجد في الإسلام).

١٧ ع١

* ميلاد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عام الفيل (سنة ٤٠ قبل البعثة، ٥٧١م). (أنظر الملف من هذا العدد).
* ولادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام بالمدينة المنورة سنة ٨٣ هـ.

١٨/ع١/١٣ للبعثة

بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة.

٢١/ع١

خسف مدائن لوط بعد وفاة إبراهيم الخليل عليه السلام.

٢٢/ع١/ ٤ هـ ج

غزوة بني النضير ونزول سورة الحشر.

٢٣/ع١/ ٢٠١ هـ ج

دخول السيدة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام إلى مدينة قم (على رواية).

٢٦/ع١/ ٤١ هـ ج

معاهدة الصلح (على رواية) بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان.

أبرز المناسبات

الليلة الأولى

*** الهجرة:**

- قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: « ..**والهجرة قائمة على حدّها الأوّل. ما كان لله في أهل الأرض حاجة من مستسرّ الأمّة ومعلنها، لا يقع اسم الهجرة على أحد إلّا بمعرفة الحجّة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر. ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أُذنه ووعاها قلبه. إنّ أمرنا صعب مُستصعب، لا يحمله إلّا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلّا صدور أمينة وأحلام رزينة**».

- «ذهب الأكثر إلى أنّ الهجرة باقية بعد الفتح، إلى الأئمّة، بل وإلى علمائهم لاقتباس أحكام الدين، وفي الأخبار دلالة عليه». (عوالي اللئالي - ابن أبي جمهور الأحسائي).

- «ويجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن إظهار شعائر الاسلام، مع المكنة. والهجرة باقية ما دام الكفر باقياً». (مسالك الأفهام - الشهيد الثاني).

- «فإنّ الهجرة باقية إلى يوم القيامة عندنا وعند جمهور العلماء وقوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لا هجرة بعد الفتح، أي لا هجرة من مكّة لأنّها صارت دار إسلام، أو لا هجرة فضلُها كفضل الهجرة قبل الفتح». (شرح مسلم – النووي).

*** مبيت عليّ عليه السلام ليلة الهجرة:**

قال ابن عباس: أنشدني أمير المؤمنين شعراً قاله في تلك الليلة:

وقيتُ بنفسي خير من وطيء الحصا
وأكرمَ خلقٍ طاف بالبيت والحِجْرِ
وبتُّ أراعي منهمُ ما يسوؤني
وقد صبَّرت نفسي على القتل والأسرِ
وبات رسولُ الله في الغار آمناً
وما زال في حفظ الإله وفي الستر.

وقد رُوي عنه عليه السلام ليلة مبيته على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله، ليلة الهجرة، دعاءٌ يعرف بدعاء الاعتصام. أنظر العدد السابق من «شعائر» ص ٢٠ تحت عنوان «عملٌ للأمن من الخوف»، كما تجده في (مفاتيح الجنان) تحت عنوان «فوائد تربة الحسين عليه السلام».

**

اليوم الأوّل

غزوة دومة الجندل سنة ٥ وقيل ٩ للهجرة:

* وفي السنة الخامسة غزا رسول الله صلى الله عليه وآله دومة الجندل في شهر ربيع الأول. وكان سببها أنّه صلى الله عليه وآله بَلَغَه أنّ جمعاً تجمّعوا بها ودنوا من أطرافه، فغزاهم حتىّ بلغ دومة الجندل، ولم يلقَ كيداً، وخلّف على المدينة سباع ابن عرفطة الغفاري.

* وجّه النبيّ صلى الله عليه وآله سريّةً إلى أكيدر بن عبد الملك بن عبد الحيّ بن أعيا بن الحارث بن معاوية بن خلاوة السكون الكندي، فأُسِر وقُتِل أخوه حسّان، وذلك سنة تسع للهجرة، ثمّ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله صالح أكيدر على دومة، وآمنه وقرّر عليه وعلى أهله الجزية.

* وفي المصادر حول ضبط الإسم وتحديد جغرافيّة دومة الجندل:

- دُومة الجندل وهي بالضمّ: حصن بين المدينة وبين الشام ومنهم من يفتح الدال.

- دومة الجندل، وهي مكان قرب تبوك.

- دومة الجندل : "..." وسمِّيت أيضا بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم، ودومان بن إسماعيل، وقيل: كان لإسماعيل ولد اسمه دوماء بن إسماعيل، قال: ولمّا كثر ولد إسماعيل عليه السلام بتهامة، خرج دوماء بن إسماعيل حتى نزل موضع دومة وبنى به حصناً فقيل دوماء، ونُسب الحصن إليه، وهي بين مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ودمشق. وقيل أيضاً: إنّما سمِّيت بدومة الجندل لأنّ حصنها مبني بالجندل. والجندل - بفتح النون وكسر الدال - الموضع فيه حجارة.

**

اليوم الرابع عشر

هلاك الطاغية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٤ للهجرة:

* في السنة الثالثة لحكمه أرسل يزيد بن معاوية جيشه بقيادة الحُصين بن النُّمير لضرب الكعبة بالمنجنيق سنة ٦٤ للهجرة.

* تمكّنت قريش من إيصال الانقلاب على الأعقاب إلى المرحلة التي صار فيها معاوية «ملك الوقت» كما يعبّر العالم الدياربكري في (تاريخ الخميس)، وفي حين أنّ معاوية لم يتظاهر بالإسلام إلّا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسة أشهر - كما أورد ابن أبي الحديد في شرح النهج - فإنّ يزيد بن معاوية قد جاهر بما كان يهمس به معاوية وأبو سفيان مع القَسَم باللّات والعُزّى: لا جنّة ثَمَّ ولا

نار، وإنّما هو المُلك، فقال يزيد: لعبتْ هاشمُ بالمُلك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل.

* إنّ يزيديّ اليوم وسفيانيّيه شرٌّ من يزيد، لأنّهم باعوا دينهم لدنيا غيرهم. والشيعة والسنّة منهم بُراء.

**

اليوم الثامن

شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ للهجرة:

قال ابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة) ٢/ ٦٠٠: «أبو محمّد الحسن الخالص. وجعل ابن خلّكان هذا هو العسكريّ. وُلد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ووقع لبهلول معه أنّه رآه وهو صبيّ يبكي والصبيان يلعبون، فظنّ أنّه يتحسّر على ما في أيديهم، فقال: أشتري لك ما تلعب به، فقال: يا قليل العقل ما لِلَّعب خُلقنا. فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة.

فقال له: من أين لك ذلك؟ قال: من قول الله عزّ و جلّ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون:١١٥.

ثمّ سأله أن يَعِظه، فوعظه بأبيات ثمّ خرَّ الحسن مغشيّاً عليه، فلمّا أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟ فقال: إليك عنّي يا بهلول، إنّي رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتّقد إلّا بالصغار، وإنّي أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنّم.

ولمّا حُبس، قحط الناس بسرّ مَن رأى قحطاً شديداً فأمر الخليفة المعتمد بن المتوكّل بالخروج للاستسقاء ثلاثة أيّام فلم يسقوا، فخرج النّصارى ومعهم راهب كلّما مدّ يده إلى السماء هطلت. ثمّ في اليوم الثاني كذلك، فشكّ بعضُ الجَهلة وارتدّ بعضهم، فشقّ ذلك على الخليفة، فأمر بإحضار الحسن الخالص وقال له: أدرِك أمّة جدّك رسول الله قبل أن يهلكوا. فقال الحسن: يخرجون غداً وأنا أُزيل الشكّ إن شاء الله. وكلّم الخليفةَ في إطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم. فلمّا خرج الناس للاستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارى، غيّمت السماء فأمر الحسن بالقبض على يده، فإذا فيها عظم آدميّ فأخذه من يده، وقال: استسقِ، فرفع يده فزال الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك فقال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمّد؟ فقال هذا عظم نبيّ، ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كُشف من عظم نبيّ تحت السماء إلّا هطلت بالمطر فامتحنوا ذلك، فكان كما قال وزالت الشبهة عن الناس. ورجع الحسن إلى داره، وأقام عزيزاً مكرّماً، وصِلات الخليفة تصل إليه كلّ وقت، إلى أن مات بسرّ من رأى ودُفن عند أبيه وعمّه، وعمره ثمانية وعشرون سنة، ويقال إنّه سُمَّ أيضاً.

ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمّد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة ويُسمّى القائم المنتظر، قيل لأنّه سُتِر بالمدينة وغاب، فلم يُعرف أين ذهب».

وختم ابن حجر بقوله: «ومرّ في الآية الثانية عشرة قول الرافضة فيه أنّه المهديّ، وأوردتُ ذلك مبسوطاً فراجعه فإنّه مهم..».

***

اليوم الخامس

وفاة السيدة سُكينة بنت الحسين عليها السلام سنة ١١٧ للهجرة:

ورد أنّ اسمها: آمنة، وقيل أمينة، أو أميمة، ولقّبتها أمّها بسُكينة لسكونها وهدوئها.

ولادتها: ٤٢ للهجرة.

زوجها: عبد الله ابن الإمام الحسن عليه السلام.

وفاتها: يوم الخميس لخمسٍ خلون من ربيع الأول سنة ١١٧ للهجرة = ٧٣٥ م، ولها من العمر ٧٥ سنة.

وكانت ولادتها وإقامتها ووفاتها بالمدينة المنوّرة.

كانت سيّدة نساء عصرها، أحسنهنّ أخلاقاً، وأكثرهنّ زهداً وعبادة.

لمّا أراد الحسن بن الحسن ابن عمّها أن يطلب يدها من عمّه، قال له عليه السلام: أمّا سُكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله، ثمّ اختار له أختها السيدة فاطمة.

ولكنّ الأقلام المسمومة، والنفوس المأجورة أمعنت في الوضع والاختلاق لتشويه صورة هذه السيّدة الفاطميّة الجليلة.

ومن الكتب المهمّة التي ينبغي للمؤمن قراءتها:

كتاب (السيّدة سُكينة) للسيّد عبد الرزاق المقرّم، وكتاب (سُكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام) للأستاذ محمد علي الدخيل، ط بيروت، وكتاب (أعلام النساء المؤمنات) للأستاذ محمد الحسون.

* وأوّل من وضع الأحاديث الشائنة حول السيّدة سكينة، هو مصعب الزبيري المتوفّى سنة ٢٣٦ للهجرة في كتابه (نَسَب قريش)، لينصرف المغنّون والشعراء عن ابنتهم، سُكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير، التي كانت تجتمع مع عمر بن أبي

ربيعة الشاعر الخليع والمغنّيات يُغنّين لهم، وزمر بها مرافقه في بغداد المدائني المتوفىّ سنة ٢٢٥، وزاد عليها الزبير بن بكار وابنه، وتلقّاها المبرد المتوفّى سنة ٢٨٥ عن هؤلاء الوضّاعين، وعنه أخذها تلميذه الزجاجي وغيره من دون تمحيص وتحقيق، فأضلّوا كثيراً من الكتّاب والمؤرّخين حتّى رَووها بلا إسنادٍ مُوهمين أنّها من المُسلَّمات، ثمّ جاء من بعدهم أبو علي القالي تلميذ الزجاجي، الأمويّ الفكرة والعقيدة، فسجّل في أماليه ما تلقّاه من أستاذه قصداً للحطّ من كرامة البيت العلويّ، خصوصاً وقد تقلّب في نعمة الناصر عبد الرحمن الأمويّ في الأندلس الذي استدعاه من بغداد، فأكرم مثواه، وعزّز منزلته، فألّف وكتب ما يروق للأمويّين الذين نكّل بهم الهاشميّون وبدّدوا مُلكَهم.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ لفظ «سُكينة» في رواية الزجاجي، ولفظ «سكين» في رواية أبي عليّ القالي في الأمالي لا إشعار فيه على إرادة سُكينة بنت الحسين عليها السلام، بل كان المقصود في شعر عمر بن أبي ربيعة هو (سكينة الزبيريّة). فإنّ صاحب الأغاني يروي عن رجاله، إنّ سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير، كانت تجتمع مع عمر بن أبي ربيعة ومعها ابنتها [أمة المجيد] زوجة محمّد بن مصعب بن الزبير، وجاريتان كانتا تغنّيان عندهم يُقال لإحداهنّ البغوم، وللأخرى أسماء. وقد تزوّج سُكينةَ بنت خالد بن مصعب بكيرُ بن عثمان بن عفان، فولدت له بنتاً يُقال لها أم عثمان تزوّجها عبد الله العرجي. ويحدّث ابن كثير: إنّ مصعب بن الزبير أولد سكينة وأمّها فاطمة بنت عبد الله بن السائب.

**

ونقرأ في كتاب (السيّدة سُكينة) للسيّد عبد الرزاق المقرّم (الصفحات ٦٣ - ٦٦) ما خلاصته: «والسيّدة سكينة حضنتها الحُجور الزاكية، وتلقّت من أبيها سيّد الشهداء التعاليم الراقية والآداب الإلهيّة، ودرست القِيم الإسلاميّة وجارت في المجاهدة والرياضة جدّتها الصدّيقة وعمّتها العقيلة، حتّى حازت أرقى مراتب العبادة التي يرضاها ربُّ العالمين. ومن هنا منحها الإمام الحجّة الواقف على نفسيّات البشر ومقادير أعمالهم أرقى صفة تليق بامرأة كاملة تفانت في الطاعة لله تعالى وهو: «خيرة النساء». من هذا وذاك صحبها «أبيُّ الضيم» إلى محلّ شهادته في جملة مَن انتخبهم الباري سبحانه دعاةً لدينه "..." ولو كان «أبيُّ الضيم» يعلم بضعف عزمها وتفكّك صبرها لما رافقها إلى محلّ تضحيته. "..." والسيّدة سكينة أبصرت كلّ ما جرى في ذلك اليوم، وسمعت صرخةَ أبيها المظلوم واستغاثتَه، وشاهدت حرائر النبوّة ومخدَّرات الإمامة يتراكضن في تلك البيداء المُقفرة حين شبّت النار في مضاربهم، ولا محامي يلُذنَ به إلّا زين العابدين وقد أنهكتْه العِلّة.

فلو أنّ أيّوباً رأى بعض ما رأى * لقال بلى هذا العظيمة بلواه».

* وقد عاشت السيّدة سُكينة في بيت أخيها السجّاد عليه السلام الذي لم يزل ليله ونهاره باكي العين على سيّد شباب أهل الجنّة، وكان جوابه لِمن يطلب منه التخفيف لئلّا تذهب عيناه: «إنّي كلّما نظرتُ إلى عمّاتي وأخواتي إلّا تذكرت فرارهنّ من خيمة إلى خيمة». وكان هذا دأبُه في البكاء على «قتيل العبرة» إلى أن استشهد صلوات الله عليه سنة ٩٥ للهجرة. وإذا كان عميد البيت لا يَفتر عن النياحة مدّة حياته، فما ظنّك بِمَن حواه البيت من النساء ومَن شأنهنّ الرقّة والجزع، والسيّدة سكينة في هذا البيت المفعم بالحزن والشجاء، وفي مسامعها نشيج أخيها الحجّة، وتبصر تساقط دموعه على خدّيه فتشاركه في الزفرة وتجاوبه بالعبرة ولا تبارح ذاكرتها الهياكل المضرّجة بالدماء، وقد شاهدتهم صَرعى مقطّعي الأوصال.

قد غيّر الطعن منهم كلَّ جارحة * إلّا المكارم في أمن من الغيرِ.

فهل تبقى لها لفتة إلى لوازم الحياة فضلاً عن عقد مجالس الأنس والفرح؟ بلى كانت السيّدة العفيفة مدّة حياة أخيها الإمام، وبعده باكية نادبة على أبيها المظلوم الممنوع من الورود، وأبو عبد الله حياة الكون وريّ الوجود. [والماء يصدر عنه الوحش ريّاناً] ولكنّ آل

الزبير تحدثوا وافتعلوا وأكثروا ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾.

والذي عليه أتباع مذهب أهل البيت، هو أنّ السيّدة سكينة لم تتزوّج غير ابن عمّها عبد الله بن الإمام الحسن عليه السلام، وهو الذي قُطعت أصابعه لمّا كان على صدر عمّه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء مستجيراً به.

وفاتها ومدفنها: في طبقات ابن سعد، وفي تذكرة الخواص: توفّيت بالمدينة وعليها خالد بن عبد الله بن الحارث بن الحكم والياً، ودُفنت بالبقيع كما في (شذرات الذهب)، نقلها السيد محسن الأمين في أعيانه، كانت وفاتها بالمدينة، الخميس لخَمسٍ خَلون من شهر ربيع الأوّل من سنة ١١٧ للهجرة.

أمّا القبر المنسوب إليها بدمشق في مقبرة الباب الصغير فهو غير صحيح، لإجماع أهل التاريخ أنّها دُفنت بالمدينة، ويوجد على القبر المنسوب إليها بدمشق صندوق من الخشب كُتبت عليه آية الكرسي بخطٍّ كوفيٍّ مشجَّر رأيتُه، وأخبرني الثقة الشيخ عباس القمّي النجفيّ، الذي هو ماهر في قراءة الخطوط الكوفيّة، بدمشق في رجب أو شعبان من سنة ١٣٥٦ للهجرة، أنّ الاسم المكتوب بآخر الكتابة التي على الصندوق هو «سكينة بنت الملك» وهذا بلا شكٍّ ولا ريب، فالقبر في الشام إذاً لإحدى بنات الملوك المسمّاة سكينة.

(من «كتاب العقيلة والفواطم»، الحاج حسين الشاكري، بتصرّف).

**

اليوم الثالث والعشرون

السيّدة فاطمة «المعصومة» بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام:

* الولادة: في المدينة المنوّرة غرّة ذي القعدة الحرام سنة ١٧٩ للهجرة.

* الوفاة: في العاشر من ربيع الثاني في سنة ٢٠١ في بلدة قم.

* سبب خروجها من المدينة ووفاتها: لمّا أخرج المأمون الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو لولاية العهد في سنة ٢٠٠ للهجرة، خرجت فاطمة أخته تقصده في سنة ٢٠١ للهجرة، فلمّا وصلت إلى ساوة مرضت، فسألت: كم بينها وبين قم؟ قالوا: عشرة فراسخ، فقالت: احملوني إليها، فحملوها إلى قم، وأنزلوها في بيت موسى بن خزرج بن سعد الأشعري.

في أصحّ الروايات أنّه لمّا وصل خبر وصولها إلى قم، استقبلها أشراف قم، وتقدّمهم موسى بن خزرج، فلمّا وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وجرّها إلى منزله، وكانت في داره سبعة عشر يوماً، ثمّ توفّيت رضوان الله عليها، فأمر موسى بتغسيلها وتكفينها وصلّى عليها ودفنها في أرضٍ كانت له، وهي الآن روضتُها، وبنى عليها سقيفة من البواري، إلى أن بَنَت زينب بنت الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام عليها قبّة.

وروى الحسن بن محمّد القمّي، بإسناده عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد: «أنّه لمّا توفّيت فاطمة رضوان الله عليها سنة ٢٠١ للهجرة وغُسّلت وكُفّنت، حملوها إلى مقبرة بابلان، ووضعوها على سردابٍ حُفر لها، فاختلف آل سعد في مَن ينزلها إلى السرداب، ثم اتفقوا على خادم لهم صالح كبير السنّ يُقال له قادر، فلمّا بعثوا إليه رأوا راكبين مقبلين من جانب الرملة وعليهما اللّثام، فلمّا قربا من الجنازة نزلا وصلّيا عليها، ثمّ نزلا السرداب وأنزلا الجنازة ودفناها فيه، ثمّ خرجا ولم يكلّما أحداً، وركبا وذهبا ولم يَدْرِ أحدٌ مَن هما».

وقال: «المحراب الذي كانت فاطمة رضوان الله عليها تصلّي فيه موجود إلى الآن في دار موسى بن خزرج ويزوره الناس». ولا يزال هذا المحراب إلى يومنا هذا يؤمّه الناس للصلاة والدعاء والتبرُّك، وهو الآن مسجد عامر في شارع (تَشِهار مَرْدان) بقم المقدّسة، وقد جُدِّدت عمارته أخيراً بشكل يناسب مقام السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

* **مشهدها رضوان الله عليها:** يُعدّ مشهد السيّدة فاطمة المعصومة رضوان الله عليها في مدينة قم اليوم من المشاهد المشهورة في العالم، وهو مبنيّ على طراز إسلاميّ رائع، ويقصده مُحِبُّو أهل البيت عليهم السلام من مختلف ديار الإسلام للزيارة والتوسل والدعاء. وببركة السيّدة فاطمة المعصومة رضوان الله عليها تعجّ مدينة قم المقدّسة بأعداد غفيرة من طَلَبة العلم، يختلفون إلى عشرات المدارس الدينيّة وفي مراحل مختلفة من أقطار شتّى، فهي اليوم جامعة علميّة دينيّة يتخرّج منها آلاف الطلبة كلّ عام، حتّى أصبحت مدينة قم مدينة العلم والاجتهاد.

فضل زيارتها رضوان الله عليها:

١ - روى ابن قولويه والشيخ الصدوق بالإسناد عن سعد بن سعد، قال: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن زيارة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام، فقال: **مَن زارها فله الجنّة**».

٢ - وروى ابن قولويه عن ابن الرضا عليه السلام، قال: «**من زار قبر عمّتي بقُم فله الجنّة**».

٣ - عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، قال: «يا سعد، عندكم لنا قبر. قلت له: جُعلت فداك، قبر فاطمة بنت موسى عليه السلام. قال: **نعم، مَن زارها عارفاً بحقّها فله الجنّة**».

٤ - أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**إن لله حَرَماً وهو مكّة، وإنّ**

للرّسول ﷺ حَرَماً وهو المدينة، وإنّ لأمير المؤمنين عليه السلام حَرَماً وهو الكوفة، وإنّ لنا حَرَماً وهو بلدة قم، وستُدفن فيها امرأة من أولادي تُسمّى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنّة».

* **المدفونات في مشهدها**: قال الحسن بن محمّد القمّي: ثمّ ماتت أم محمّد بنت موسى بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام، فدفنوها في جنب فاطمة عليها السلام، ثمّ تُوفيت ميمونة أختها فدفنوها هناك أيضاً، وبنوا عليهما قبّة متصلة بقبّة فاطمة عليها السلام. وفي هاتين القبّتين ستّة قبور، هي: في القبّة الأولى قبر السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام، وقبر أم محمّد بنت موسى أخت محمّد بن موسى عليه السلام، وقبر أم إسحاق جارية محمّد بن موسى. وفي القُبّة الثانية قبر أم حبيب جارية أبي عليّ محمّد بن أحمد بن موسى بن محمّد بن الرضا عليه السلام، وهي أمُّ "أمّ كلثوم" بنت محمّد، وقبر أم القاسم بنت عليّ الكوكبي، وقبر ميمونة بنت موسى أخت محمّد بن موسى عليه السلام.

(المصدر السابق نقلاً عن موسوعة المصطفى والعترة).

دعاءٌ بعد صلاة العصر

عن الإمام الصادق عليه السلام:

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّدٍ خاتم النبيّين وعلى آله الطاهرين.

أللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ في اللّيل إذا يغشى، وصلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ في النهار إذا تجلّى، وصلِّ على محمّدٍ وآل محمدٍ في الآخرة والأولى، وصلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ ما لاحَ الجديدان (اللّيل والنهار)، وما اطَّردَ الخافقان (المشرق والمغرب)، وما حدا الحاديان (الليل والنهار يحدوان بالناس إلى الموت)، وما عَسْعَسَ ليلٌ (أقبل ظلامُه) وادْلَهَمَّ ظلامٌ، وما تنفَّسَ صُبحٌ وما أضاءَ فجرٌ.

أللّهمّ اجعلْ محمّداً خطيبَ وفدِ المؤمنين إليك، والمكسوَّ حُلَلَ الإيمان إذا وقف بين يديك، والناطقَ - إذا خَرِسَت الألسنُ - بالثناء عليك.

أللّهمّ أَعْلِ منزلتَه، وارفع درجتَه، وأَظهِر حُجَّتَه، وتقبّل شفاعتَه، وابعَثْهُ المقامَ المحمودَ الذي وعدتَه، واغفرْ ما أحدثَ المُحْدِثون من أُمّتِه بعده.

أللّهمّ بلِّغ روحَ محمّدٍ وآل محمّدٍ عنّي التحية والسلام، واردُدْ عليَّ منهم التحيةَ والسلامَ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ والفضلِ والإنعامِ.

أللّهمّ إنّي أعوذ بك من مُضلّاتِ الفِتَن، ما ظهرَ منها وما بَطَن، والإثمِ والبَغيِ بغير الحقّ، وأن أُشرِكَ بك ما لم تُنَزِّل به سُلطاناً، وأن أقول عليك ما لا أعلم، أللّهمّ إنّي أسألك مُوجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، والغنيمةَ من كلّ بِرّ، والسلامةَ من كلّ إثم، وأسألك الفوزَ بالجنّة والنجاةَ من النار.

«مصباح المتهجّد - الشيخ الطوسيّ».

قراءة القرآن
جلاء القلوب

القرآن عهد الله تعالى إلى خلقه، والمواظبة على قراءته حفظٌ للعهد وأداءٌ للأمانة وتعاهدٌ للميثاق. وبمقدار علاقة المسلم بالقرآن تكون ثقافتُه إلهيّة، وتكون خطاه ثابتة في الصراط المستقيم.

تمسّ الحاجة دائماً إلى تذكير أنفسنا بالحثّ النبويّ المؤكّد على تلاوة القرآن الكريم.

* * *

رسول الله صلى الله عليه وآله:

* «إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن».

* «عليك بقراءة القرآن، فإنّ قراءتَه كفّارةٌ للذنوب، وسَترٌ في النار، وأمانٌ من العذاب».

* «يا بنيّ (يا بن أمّ سليم)، لا تغفل عن قراءة القرآن، فإنّ القرآن يُحيِي القلب، ويَنهى عن الفحشاء والمنكر والبَغْي».

* «مَن قرأ القرآن فكأنّما أُدرِجت النبوّةُ بين جَنبَيه، غير أنّه لا يُوحى إليه».

* «إذا أحبّ أحدُكم أن يُحدّث ربّه، فليقرأ القرآن».

* «مَن قرأ عشرَ آيات في ليلة، لم يُكتب من الغافلين، ومَن قرأ خمسين آية كُتب مَن الذاكرين، ومَن قرأ مائة آية كُتب من القانتين، ومَن قرأ مائتي آية كُتب من الخاشعين، ومَن قرأ ثلاث مائة آية كُتب من الفائزين، ومَن قرأ خمس مائة آية كُتب من المجتهدين، ومَن قرأ ألف آية كُتب له قنطار من بِرّ، والقنطار خمسة عشر مثقالاً من الذّهب، والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً أصغرُها مثلُ جبل أُحد، وأكبرُها ما بين السّماء والأرض».

أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن أَنِس بتلاوة القرآن لم تُوحشْه مفارقةُ الإخوان».

الإمام الصادق عليه السلام: «مَن قرأ في المصحف، مُتِّع ببَصره وخُفِّف عن والديه ولو كانا كافِرَين».

* «في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ..﴾ البقرة:١٢١، يُرتّلون آياته، ويَتفهّمون معانيَه، ويَعملون بأحكامه، ويَرجون وعدَه، ويَخشون عذابَه، ويَتمثّلون قِصصَه، ويَعتبرون أمثالَه، ويَأتون أوامره، ويَجتنبون نواهيَه، ما هو والله بحفظِ آياته وسَرْدِ حروفه، وتلاوةِ سوَرِه، ودرسِ أعشاره وأخماسه، حَفِظوا حروفَه وأضاعوا حدودَه، وإنّما هو تدبّرُ آياته، يقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ..﴾ ص:٢٩».

*«إذا قُرِىء شيءٌ من العزائم الأربع فسمعتَها، فاسجدْ وإن كنتَ على غير وضوء، وإن كنت جُنُباً، وإن كانت المرأة لا تصلّي، وسائر القرآن أنت فيه بالخيار».

قال العلماء

* قال الشيخ الطوسيّ عليه الرحمة: سجدات القرآن خمس عشرة: في الأعراف، والرّعد، والنّحل، وبني إسرائيل، ومريم، والحجّ موضعان، والفرقان ﴿..وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾ آية:٦٠، والنّمل، وألم تنزيل، وص، وحم السّجدة، والنّجم، وإذا السّماء انشقّت، واقرأ باسم ربّك. أربع فرض وهي: سجدة لقمان (أي سجدة ألم تنزيل، المتصلة بسورة لقمان) وحم السّجدة، والنّجم، واقرأ باسم ربّك، ووجوبها على القارئ والمستمِع، ويُستحبّ للسامع، والباقي ندب.

مستحبّات
بعد الدفن*

استكمالاً لما نُشر في العدد السابق من مستحبّات ما قبل وحين الدفن – عشرون مستحبّاً – بين يديك، مستحبّات بعد الدفن، تُستهَلُّ من حيث انتهت سابقاتها.

***

الحادي والعشرون: أن يُجعل على القبر علامة.

الثاني والعشرون: أن يُرشّ عليه الماء، والأَولى أن يستقبل القبلة ويبتدأ بالرَّش من عند الرأس إلى الرِجل، ثم يدور به على القبر حتى يرجع إلى الرأس، ثم يُرشُّ على الوسط ما يفضل من الماء، ولا يبعدُ استحباب الرشّ إلى أربعين يوماً أو أربعين شهراً.

الثالث والعشرون: أن يضع الحاضرون بعد الرشّ أصابعهم مفرَّجات على القبر بحيث يبقى أثرُها، والأولى أن يكون مستقبل القبلة، ومن طرف رأس الميت، واستحباب الوضع المذكور آكَدُ بالنسبة إلى مَن لم يُصلِّ على الميت، وإذا كان الميت هاشميّاً فالأولى أن يكون الوضع على وجهٍ يكون أثر الأصابع أزيد، بأنْ يزيد في غمز اليد، ويُستحبُّ أن يقول حين الوضع: «بسم الله، ختمتُك من الشيطان أن يدخلك»، وأيضاً يُستحبّ أن يقرأ مستقبلاً للقبلة سبع مرّات ﴿إنّا أنزلناه..﴾، وأن يستغفر له ويقول: «أللّهمّ جافِ الأرض عن جَنبيه، وأصعِد إليك روحَه، ولقِّه منك رضواناً، وأسكِن قبره من رحمتك ما تُغنيه به عن رحمة مَن سواك». ولا تختصّ هذه الكيفيّة بهذه الحالة، بل يُستحبُّ عند زيارة كلّ مؤمن قراءة «القدر» سبع مرّات وطلب المغفرة وقراءة الدعاء المذكور.

الرابع والعشرون: أن يُلقّنه الوليُّ أو من يأذنه تلقيناً آخر بعد تمام الدفن ورجوع الحاضرين، بصوتٍ عالٍ بنحو ما ذُكر، فإنّ هذا التلقين يوجب عدم سؤال النكيرَيْن منه، فالتلقين يُستحبُّ في ثلاثة مواضع: حال الاحتضار، وبعد الوضع في القبر، وبعد الدفن ورجوع الحاضرين، وبعضُهم ذكر استحبابه بعد التكفين أيضاً. ويُستحبُّ الاستقبال حال التلقين، وينبغي في التلقين بعد الدفن وضعُ الفم عند الرأس، وقبضُ القبر بالكَفّين.

الخامس والعشرون: أن يُكتب اسم الميت على القبر، أو على لوحٍ أو حجر، ويُنصب عند رأسه.

السادس والعشرون: أن يجعل في فمه فصّ عقيق مكتوبٌ عليه: «لا إله إلاّ الله ربّي، محمّد نبيّي، عليّ والحسن والحسين – إلى آخر الأئمة – أئمّتي».

السابع والعشرون: أن يُوضَع على قبره شيءٌ من الحصى على ما ذكره بعضهم، والأولى كونها حمراً.

الثامن والعشرون: تعزيةُ المصاب وتسليتُه قبل الدفن وبعده، والثاني أفضل، والمرجع فيها العرف، ويكفي في ثوابها رؤية المصاب إيّاه، ولا حدّ لزمانها. ولو أدّت إلى تجديدِ حزنٍ قد نُسي كان تركها أولى. ويجوز الجلوس للتعزية، ولا حدّ له أيضاً، وحدَّه بعضهم بيومين أو ثلاثة، وبعضهم على أنّ الأزيَد من يوم مكروه، ولكن إن كان الجلوس بقصد قراءة القرآن والدعاء لا يبعد رجحانه.

التاسع والعشرون: إرسال الطعام إلى أهل الميت ثلاثة أيام، ويُكره الأكل عندهم، وفي خبر «إنّه عمل أهل الجاهليّة».

الثلاثون: شهادة أربعين أو خمسين من المؤمنين للميت بخير بأن يقولوا: «أللّهمّ إنّا لا نعلمُ منه إلاّ خيراً، وأنت أعلم به منّا».

الواحد والثلاثون: البكاء على المؤمن.

الثاني والثلاثون: أن يسلّي صاحب المصيبة نفسَه بتذكّر موت النبيّ صلّى الله عليه وآله فإنّه أعظمُ المصائب.

الثالث والثلاثون: الصبر على المصيبة والاحتساب والتأسّي بالأنبياء والأوصياء والصُلحاء، خصوصاً في موت الأولاد.

الرابع والثلاثون: قول «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» كلّما تذكّر.

الخامس والثلاثون: زيارة قبور المؤمنين والسلام عليهم بقول: «السلام عليكم يا أهل الديار..»، وقراءة القرآن وطلب الرحمة والغفران لهم، ويتأكّد في يوم الاثنين والخميس، خصوصاً عصره، وصبيحة السبت، للرجال والنساء، بشرط عدم الجزع والصبر، ويُستحبّ أن يقول: «السلام على أهل الديار من المؤمنين، رحم الله المتقدِّمين منكم والمتأخِّرين، وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون». ويُستحبّ للزائر أن يضع يده على القبر، وأن يكون مستقبلاً، وأن يقرأ ﴿إنّا أنزلناه..﴾ سبع مرّات، ويُستحبُّ أيضاً قراءة الحمد والمعوذتين وآية الكرسي كلٌّ منها ثلاث مرّات. والأَولى أن يكون جالساً مستقبِل القبلة، ويجوز قائماً، ويُستحبّ أيضاً قراءة سورة يس...

السادس والثلاثون: طلب الحاجة عند قبر الوالدين.

السابع والثلاثون: إحكام بناء القبر. **الثامن والثلاثون**: دفن الأقارب متقارباً.

التاسع والثلاثون: التحميد والإسترجاع وسؤال الخَلَف عند موت الولد.

الأربعون: صلاة الهدية ليلة الدفن. (أنظر "لولا دعاؤكم" من العدد السابق).

* العروة الوثقى، السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي

من توجيهات شيخ الفقهاء العارفين الشيخ بهجت قدس سره

داوموا على صلاة جعفر

تواصل «شعائر» تقديم إجابات المرجع الدينيّ الراحل المقدّس الشيخ محمّد تقي بهجت، وقد نشرنا في العدد السابق ثلاثة أسئلة وإجاباتها، وفي ما يلي إجابته رحمه الله على عدد آخر من أسئلة المؤمنين في مجال تهذيب النفس.

***

س ـ ماذا أفعل كي لا تقع صلاة الصبح قضاءً؟ قد نتأخّر في النهوض ونصلّي قضاءً وذلك يؤلمنا.

ج- من يُصلّي بقيّة الصلوات في أوّل وقتها، سيوفّقه الله ويقوم من نومه لصلاة الصبح.

س ـ أُدعُ لنا يا شيخ، نحن بحاجة ماسّة إلى دعائكم لنكون من أهل العمل.

ج ـ أنا أدعو لكم فالدعاء ليس صعباً حتى لا أقوم به .. ولكن هذا ليس كافياً .. فبعض المطالب تحتاج للدواء، وليس للدعاء فقط.

س_ يا شيخ إذا كان ممكناً أن تضعوا لنا درس أخلاق حتى نستفيد من وجودكم المبارك، أو تُعطينا تعاليم ونصائح تنفعنا.

ج ـ وأين هو العامل يا سيّد؟ أين هو العامل؟؟

س ـ بعض الأوقات يقع مني الرياء في العبادة وهذا يُسبّب لي ألماً وغمّاً.

ج- علاجُ الرياء هو أن تُرائي!! ولكنْ إذا وقفت أمام المَلِك والعبد، فليكن رياؤك للمَلك، فافهم إنْ كنتَ من أهله.

س ـ إن كان هناك نصيحة لنا يا شيخ؟

ج ـ وهل عملتَ بالنصائح التي سمعتها لحدّ الآن حتى تطلب منّا نصيحة جديدة؟

س ـ ماذا نفعل لزيادة المحبّة والتعلّق بصاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

ج- لا تُذنب، وصلِّ في أول الوقت.

س ـ ماذا نفعل لحلّ المشكلات الصعبة؟

ج- داوموا على صلاة جعفر الطيّار، يوفّقْكم الله تعالى.

أقول لكم شيئاً واحداً.. أينما تكونون فهو هذا ولا شيء غيره: إذهبوا، ولا تعصوا الله.

الإنسان الكامل .. سرّ الخلق

المحتويات

* الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله ..... من الصلوات الكبيرة
* أوَّلُ ما خلق الله نورُ نَبيِّك يا جابر ..... من دروس «المركز الإسلامي»
* بشَّرت الرُسُل بظهوره وخُلقت الأنوار كلُّها بعدَ نوره ..... من دروس «المركز الإسلامي»
* النبيّ صلى الله عليه وآله بعيون الحكمة والعرفان ..... الشيخ علي جابر
* مولد سيّد النبيّين صلى الله عليه وآله ..... إعداد: أسرة التحرير
* بين الحبيب والخليل ..... العلامة ابن شهر اشوب
* .. كما صلّيتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيم ..... إعداد: محمد العبدالله
* دروس عمليّة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ..... تنسيق: طالب صلاح
* ماذا نعرف عن الإمام الصادق عليه السلام؟ ..... المرجع الشيخ الخراساني
* من أسرار الصلاة على محمّد وآل محمّد ..... عن الإمام الكاظم عليه السلام

الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله

أللّهمّ صَلِّ على مُحمَّدٍ كما حَمَلَ وَحْيَكَ ، وبَلَّغَ رِسالاتِكَ ، وصَلِّ على مُحَمَّدٍ كَما أحَلَّ حَلالَكَ وحَرَّمَ حَرامَكَ ، وعَلَّمَ كتابَكَ ، وصَلِّ على مُحَمَّدٍ كما أقامَ الصلاةَ ، وأدَّى الزكاةَ ، ودَعا إلى دِينِكَ ، وصَلِّ على مُحَمَّدٍ كَمَا صَدَّقَ بِوعدِكَ ، وأَشْفَقَ من وعِيدِكَ .

وصَلِّ على مُحَمَّدٍ كما غَفَرْتَ بِهِ الذُّنوبَ ، وسَتَرْتَ به العُيوبَ ، وفَرَّجْتَ بِهِ الكُروبَ ، وصَلِّ على مُحَمَّدٍ كَما دَفَعْتَ به الشقاءَ ، وكَشَفْتَ به العَماءَ ، وأَجَبْتَ به الدُّعاءَ ، ونَجَّيْتَ به من البَلاءِ .

وصَلِّ على مُحَمَّدٍ كَما رَحِمْتَ به العِباد ، وأَحْيَيْتَ بِهِ البلاد ، وقَصَمْتَ به الجَبابِرةَ ، وأَهْلَكْتَ به الفراعِنة .

وصَلِّ على مُحَمَّدٍ كَما أَضْعَفْتَ به الأموالَ ، وحَذَّرْتَ بِهِ من الأَهْوالِ ، وكَسَرْتَ بِهِ الأصنامَ ، ورَحِمْتَ به الأنامَ ، وصَلِّ على مُحَمَّدٍ كَما بَعَثْتَهُ بِخَيْرِ الأَدْيانِ ، وأَعْزَزْتَ به الإيمانَ ، وتَبَّرْتَ بِهِ الأَوْثانَ ، وعَصَمْتَ به البيتَ الحرامَ .

وصَلِّ على مُحَمَّدٍ وأهلِ بَيتِهِ الطاهِرينَ الأخيارَ وسَلَّم تَسليماً .

من الصلوات الكبيرة على المعصومين عليهم السلام

إملاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام على بعض أصحابه

أوَّلُ ما خلق اللّٰه

نورُ نَبيِّك يا جابر

حقائق أربع لا بدّ من التنبُّه لها:

الأولى: الخَلَل المنهجيّ لدى كثيرين في التعامل مع عظمة رسول الله ﷺ، بما آتاه الله تعالى، ويتمثّل هذا الخلل في تغييب أو جهل ما ورد في القرآن الكريم والروايات حول أنّه ﷺ أوّلُ ما خلق الله تعالى ..

الثانية: إجماع المسلمين على أنّه ﷺ سِرُّ الخَلق وعِلّة الإيجاد «لولاكَ ما خَلقتُ آدم»، «كنتُ نبيّاً وإنّ آدم لَمُنجَدِلٌ في طينته».

الثالثة: أنّ الحديث عن الخَلق وما قبله، شأن تخصُّصيّ بالغ الخَفاء، لا يجوز الرجوع فيه إلى غير المختصّ من العلماء الربّانيّين الذين عرفوا تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف.

الرابعة: أنّ محاولة التعرّف على رسول الله ﷺ، كما نتعرّف على أيّ شخص، من خلال: البلد، العشيرة، الأَبَوان، الولادة، النشأة، محطّات بارزة، هي محاولة لا تنسجم مع شخصيّة سيّد الأوّلين والآخرين، ولا يمكن أن تُوصل إلى حسن الاقتداء به ﷺ، بل ولا إلى حسن الاعتقاد!

ما يلي إضاءة على إجماع المسلمين حول أنّه ﷺ أوّل ما خلق الله تعالى.

عن جابر بن عبد الله قال: «قلت لرسول الله ﷺ: أوّل شيء خلق الله ما هو؟ فقال: نورُ نبيّك يا جابر، خلقه الله ثمّ خلق منه كلَّ خَير، ثمّ أقامه بين يديه في مقام القُرب ما شاء الله، ثمّ جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم، والكُرسيّ من قسم، وحَمَلة العرشِ وسَكَنة الكُرسيّ من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحبّ ما شاء الله، ثم جعله أقساماً، فَخَلَق القلم من قسم، واللّوح من قسم، والجنّة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله، ثمّ جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله، ثم جعله أجزاء، فخلق العقل من جزء، والعلم والحلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيبة فَرَشَح ذلك النور وقَطَرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله من كلّ قطرة روحَ نبيٍّ ورسول، ثم تنفّستْ أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين».

* عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد ﷺ قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسيّ واللّوح والقلم والجنّة والنار، وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام، وكلّ مَن قال الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ..﴾ الأنعام:٨٤، إلى قوله: ﴿.. وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الأنعام:٨٧، وقبل أن خلق الأنبياء كلّهم بأربع مائة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة، وخلق عزّ وجلّ معه اثني عشر حِجاباً: حِجاب القدرة، وحِجاب العَظَمة، وحِجاب المنّة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة، وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة، وحجاب الهداية، وحِجاب النبوّة، وحِجاب الرِّفعة، وحِجاب الهَيبة، وحِجاب الشفاعة. ثمّ حَبَس نُور محمّد ﷺ في حِجاب القدرة اثني عشر ألف سنة، وهو يقول: «سبحان ربّي الأعلى»، وفي حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنة وهو يقول: «سبحانَ عالم السرّ»، وفي حجاب المنّة عشرة آلاف سنة وهو يقول:

العلّامة الطباطبائي:

إيّاك أن ترمي أمثال هذه الأحاديث الشريفة المأثورة عن معادن العلم ومنابع الحكمة بأنّها من اختلاقات المُتصوّفة وأوهامهم، فَللخلقة أسرار، وها هم العلماء من مختلف الشعوب لا يألون جهداً في البحث عن أسرار الطبيعة، منذ أخذ البشر في الانتشار، وكلّما لاح لهم معلوم واحد بانت لهم مجاهيل كثيرة، مع أنّ ميدان بحثهم هو عالم الطبيعة الذي هو أضيق العوالم وأخسّها، فما ظنّك بما وراء الطبيعة، وهي عوالم النُّور والسعة».

«سبحانَ مَن هو قائمٌ لا يلهو»، وفي حِجاب الرّحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحانَ الرّفيع الأعلى»، وفي حِجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول: «سبحانَ مَن هو دائمٌ لا يسهو»، وفي حِجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحانَ مَن هو غنيٌّ لا يفتقِر»، وفي حِجاب المنزلة ستّة آلاف سنة وهو يقول: «سبحانَ العليم الكريم»، وفي حِجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول: «سبحانَ ذي العرش العظيم»، وفي حجاب النبوّة أربعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحانَ ربِّ العزة عمّا يصفون»، وفي حجاب الرّفعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول: «سبحانَ ذي المُلك والملكوت»، وفي حِجاب الهَيْبة ألفيْ سنة وهو يقول: «سبحانَ الله وبحمده»، وفي حِجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول: «سبحانَ ربِّي العظيم وبحمده». ثمّ أظهر اسمه على اللّوح فكان على اللّوح منوّراً أربعة آلاف سنة، ثمّ أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبّتاً سبعة آلاف سنة، إلى أن وَضعه الله عزّ وجلّ في صُلب آدم عليه السلام، ثمّ نقله من صُلب آدم عليه السلام إلى صُلب نوح عليه السلام، ثمّ من صُلبٍ إلى صُلبٍ، حتّى أَخرجَه الله عزّ وجلّ من صُلبِ عبد الله بن عبد المطّلب، فأكرمه بستِّ كرامات: ألبسه قميص الرِّضا، ورَداه برداء الهيبة، وتوّجه بتاج الهداية "..." . ثمّ قال: يا محمّد إذهب إلى الناس فَقُل لهم: قولوا: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله "..." فقبل الله عزّ وجلّ توبة آدم عليه السلام بذلك القميص، وردّ خاتم سليمان عليه السلام به، وردّ يوسف عليه السلام إلى يعقوب عليه السلام به، ونجّى يونس عليه السلام من بطن الحوت به، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام أنجاهم من المِحَن به، ولم يكن ذلك القميص إلّا قميص محمّد صلى الله عليه وآله».

> **الألوسي:**
> «إشارة إلى الحقيقة المحمّديّة والتعيّن الأوّل المُشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله: «أوّل ما خلق الله نور نبيّك يا جابر»، وبواسطته حصلت الإفاضة كما يشير إليه «لولاك ما خلقتُ الأفلاك»، ولِكَون الغالب عليه، عليه الصلاة والسلام، صفة الرحمة، لا سيّما على مؤمني الأمّة كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿..بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾».

من كلمات المختصّين

قال العلّامة الطباطبائيّ في (تفسير الميزان): «والأخبار في هذه المعاني كثيرة متضافرة، وأنت إذا أَجَلْت نظرة التأمّل والإمعان فيها وجدْتَها شواهد على ما قدّمناه، وإيّاك أن ترمي أمثال هذه الأحاديث الشريفة المأثورة عن معادِن العِلم ومنابع الحكمة بأنّها من اختلاقات المُتصوّفة وأوهامهم، فَلِلخلقة أسرار، وها هم العلماء من مختلف الشعوب لا يألون جهداً في البحث عن أسرار الطبيعة، منذ أخذ البشر في الانتشار، وكلّما لاح لهم معلوم واحد بانت لهم مجاهيل كثيرة، مع أنّ ميدان بحثهم هو عالم الطبيعة الذي هو أضيق العوالم وأخسّها، فما ظنّك بما وراء الطبيعة، وهي عوالم النُّور والسعة».

وقال العلّامة الآلوسي في تفسيره شارحاً معنى «نور نبيّك يا جابر»: «إشارة إلى الحقيقة المحمّديّة والتعيّن الأوّل المُشار إليه بقوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «أوّل ما خلق الله نور نبيّك يا جابر»، وبواسطته حصلت الإفاضة كما يشير إليه «لولاك ما خلقتُ الأفلاك»، ولِكَون الغالب عليه، عليه الصلاة والسلام، صفة الرحمة، لا سيّما على مؤمني الأمّة كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء:١٠٧ وقوله تعالى: ﴿..بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ التوبة:١٢٨».

وقال المرجع الراحل السيّد الخوئي رحمه الله، في كتابه (البيان في تفسير القرآن): «ابتدأ الله كتابه التدوينيّ بذكر اسمه، كما ابتدأ في كتابه التكوينيّ باسمه الأتمّ، فخلق الحقيقة المحمديّة ونور النبيّ الأكرم قبل سائر المخلوقين. وإيضاح هذا المعنى: أنّ الاسم هو ما دلّ على الذات، وبهذا الاعتبار تنقسم الأسماء الإلهيّة إلى قسمين: تكوينيّة، وجعليّة. فالأسماء الجعليّة هي الألفاظ التي وُضعت للدّلالة على الذات المقدّسة، أو على صفة من صفاتها الجماليّة والجلاليّة، والأسماء التكوينيّة هي المُمكنات الدالّة بوجودها على وجود خالقها وعلى توحيده، ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ الطور:٣٥، ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ..﴾ الأنبياء:٢٢. ففي كلّ شيءٍ دلالة على وجود خالقه وتوحيده، وكما تختلف الأسماء الإلهيّة اللفظيّة من حيث دلالتها، فيدلّ بعضها على نفس الذات بما لها من صفات الكمال، ويدلّ بعضها على جهة خاصّة من كمالاتها على اختلافٍ في العظمة والرفعة، فكذلك تختلف الأسماء التكوينيّة من هذه الجهة، وإن اشترك جميعُها في الكَشف عن الوجود والتوحيد، وعن العلم والقدرة، وعن سائر الصفات الكماليّة. ومنشأ اختلافها: أنّ الموجود إذا كان أتمّ كانت دلالته أقوى، ومن هنا صحّ إطلاق الأسماء الحسنى على الأئمّة الهداة، كما في بعض الروايات. فالواجب جلّ وعلا قد ابتدأ في أكمل كتاب من كتبه التدوينيّة بأشرف الألفاظ وأقربها إلى اسمه الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، كما بدأ في كتابه التكوينيّ باسمه الأعظم في عالم الوجود العينيّ، وفي ذلك تعليم البشر أن يبتدئوا في أقوالهم وأفعالهم باسمه تعالى».

* من دروس «المركز الإسلامي»

بشَّرت الرُسُل بظهوره
وخُلقت الأنوار كلُّها بعدَ نوره

حتى لا تبقى معرفة الكثيرين بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله مبتورة، تبدأ مع ولادته، ثمّ النشأة، وصولاً إلى تعبُّده في غار حراء ونزول الوحي عليه، لا بدّ من تصحيح العقيدة وفق إجماع المسلمين، على ما أكّده القرآن الكريم والحديث الشريف، من أنّه صلى الله عليه وآله، سرّ الوجود، وعلّة الإيجاد بإذن الله تعالى. كان نبيّاً قبل خلق آدم عليه السلام، ولولاه لما خلق آدم ولما كان إنسان، هو الإنسان الأوّل والإنسان الكامل، والمحمّدية تعني العقل والإنسانيّة.
ما يلي نصٌّ يُضيء على هذه الحقائق، وهو لفقيهٍ عَلَم من كبار فقهاء الأمّة الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه، في كتابه: (المسائل السَّروية).

وجّه بعض المؤمنين السؤال التالي حول الأشباح والذرّ والأرواح، إلى الشيخ المفيد قدّس سرّه.

* ما قوله - أدام الله تأييده - في معنى الأخبار المرويّة عن الأئمّة الهادية عليهم السلام **في الأشباح، وخلقِ الله تعالى الأرواح قبل خلقِه آدمَ عليه السلام بألْفَي عام، وإخراج الذريّة من صُلبه على صُوَر الذرّ؟**

* **جواب الشيخ المفيد رحمه الله تعالى:**

«**الصحيح من حديث الأشباح**، هو الرواية التي جاءت عن الثقاة: بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورُها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه أنّها:

أشباحُ رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وأعلَمَه أن لولا الأشباح التي رآها ما خلقه، ولا خلق سماءً ولا أرضاً».

* **ما هو السرّ في ذلك؟**

* «**والوجهُ في ما أظهره الله تعالى من الأشباح، والصُّوَر لآدم** عليه السلام أن دلَّه على تعظيمِهم وتبجيلِهم، وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدّمةً لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أنّ مصالح الدِّين والدنيا لا تتمّ إلّا بهم. ولم يكونوا في تلك الحال صُوَراً محيّاة، ولا أرواحاً ناطِقة، لكنّها كانت صُوَراً على مثل صُوَرِهم في البشريّة تدلّ على ما يكونون عليه في المستقبل من الهَيئة، والنُّور الذي جعله عليهم يدلّ على نور الدِّين بهم، وضياء الحقّ بحُجَجِهم».

* أسماؤهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش

«وقد رُوي أنَّ أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأنّ آدم عليه السلام لمّا تاب إلى الله عزّ وجلّ وناجاه بقبول توبته، سأله بحقِّهم عليه ومحلّهم عنده فأجابه.

وهذا غير مُنكَر في العقول ولا مضادّ للشرع المعقول، وقد رواه الصالحون الثقاة المأمونون، وسلّم لروايته طائفةُ الحقّ، ولا طريق إلى إنكاره، والله وليّ التوفيق».

* «أمّا الحديث في إخراج الذريّة من صُلب آدم عليه السلام على صورة الذرّ، فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه.

**والصحيح أنّه أخرج الذريّة من ظهره كالذرّ، فملأ بهم الأُفُق، وجعل على بعضهم نوراً لا يَشوبُه ظُلمة، وعلى بعضهم ظُلمة لا يَشوبُها نور، وعلى بعضهم نوراً وظُلمة. فلمّا رآهم آدم عليه السلام عَجب من كثرتهم وما عليهم من النُّور والظُّلمة، فقال: "يا ربِّ، ما هؤلاء؟". قال الله عزّ وجلّ له: "هؤلاء ذريّتك"، يريد تعريفه كثرتَهم وامتلاء الآفاق بهم، وأنّ نسله يكون في الكثرة كالذرّ الذي رآه ليُعرِّفه قدرته، ويُبشِّره باتصال نسله وكثرتهم. فقال آدم عليه السلام: "يا ربِّ، ما لي أرى على بعضهم نوراً لا ظُلمة فيه، وعلى بعضهم ظُلمة لا يَشوبها نور، وعلى بعضهم ظلمةً ونوراً؟" فقال تبارك وتعالى: "أمّا الذين عليهم النُّور منهم بلا ظُلمة، فهم أصفيائي من وُلدك، الذين يُطيعوني ولا يُعصونني في شيءٍ من أمري، فأولئك سكّان الجنّة. وأمّا الذين عليهم ظُلمة لا يَشوبها نور، فهم الكفّار من وُلدك الذين يُعصونني ولا يُطيعونني في شيءٍ من أمري، فهؤلاء حَطَب جهنّم. وأمّا الذين عليهم نور وظُلمة، فأولئك الذين يُطيعونني من وُلدك ويُعصونني، فيخلطون أعمالهم السيّئة بأعمالٍ حسنة، فهؤلاء أمرهم إليّ، إن شئتُ عذّبتهم فَبِعدلي، وإن شِئتُ عَفَوْتُ عنهم فَبِفَضلي". فأنبأه الله تعالى بما يكون من وُلده، وشبههم بالذرّ الذي أخرجه من ظهره، وجعله علامة على كثرة ولده. ويُحتمَل أن يكون ما أخرجه من ظهره أصول أجسام ذريّته من دون أرواحهم، وإنّما فعل الله تعالى ذلك ليدلّ آدم عليه السلام على العاقبة منه، ويُظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صُنعه، وأعلمَه بالكائن قبل كَوْنه ليزداد آدم عليه السلام يقيناً بربِّه، ويدعوه ذلك إلى التوفّر على طاعته، والتمسُّك بأوامره، والاجتناب لزواجره».

* من دروس «المركز الإسلامي»

النبيّ صلى الله عليه وآله
بعيون الحكمة والعرفان

الشيخ علي جابر *

ينظر الحكماء والعرفاء إلى النبوّة والنبيّ نظر القداسة والروحانيّة باعتبارها مرتبة قدسيّة من مراتب الوجود، وليست مجرّد سفارة بين الخالق وخلقه؛ فجوهر النبوّة أنّها مجمع الأنوار العقليّة والنفسيّة والحسيّة، وهي العوالم الثلاثة في كلّ الخلق. فالكائنات إمّا حسيّة وإمّا نفسيّة (مثاليّة) وإمّا عقليّة (مجرّدة)، والنبوّة منزلة جامعة لأنوار هذه العوالم وكمالات وجودها.

والعالم العقليّ هو عالم الملائكة، والعالم النفسيّ هو عالم الأفلاك وبرزخ الأنفس، والعالم الحسّيّ هو عالم المُلك الظاهر. ولذا يقول صدر الدين الشيرازي: «فالنبيّ بشخصيّة الوحدانيّة كأنّه مَلَك وفَلَك ومَلِك، فهو جامع النشآت الثلاث بكمالها؛ فبروحه في الملكوت الأعلى، وبنفسه في الملكوت الأوسط، وبطبعه في الملكوت الأسفل. فهو خليفة الله ومجمع مظاهر الأسماء الإلهيّة وكلمات الله التامّات، كما قال نبيّنا صلى الله عليه وآله: أوتيتُ جوامع الكَلِم». (الشواهد الربوبيّة في المناهج السلوكيّة).

وبالتأكيد، فإنّ هذا المعنى يرقى على كلام المتكلّمين وتعريفهم وفهمهم للنبوّة، حيث ينظرون إليها كوظيفة تشريعيّة عن الله تعالى، بعيداً عن المحتوى الروحيّ وسُمُوّ الوجود فيها وما تعنيه الذات النبويّة الشريفة.

وباستطاعتنا أن نتوقّع فهماً آخر حينئذٍ للنبيّ من المنظور الحكميّ العرفانيّ. إنّ النبيّ هو ذاك الإنسان الجالس في الحدّ المشترك بين عالَميْ المُلك والملكوت، أي أنّه نوع إنسانيّ خاصّ يقع ما بين الإنسان والملك، ويشارك كلّاً منهما بخصوصيّته: فهو كالملائكة في إطّلاعهم على ملكوت السماوات والأرض، وكالبشر في أحوالهم البشريّة، فهو يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ..﴾ الكهف:١١٠.

يقول الشيرازي في (أسرار الآيات): «فهُم عليهم السلام وإن كانوا من حيث الأبدان بشريّين أرضيّين، فهم من حيث الأرواح ملكيّون سماويّون، قد أُيِّدوا بقوّة روحانيّة قدسيّة، خُصّوا بها كما قال في عيسى عليه السلام: ﴿..وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ..﴾ البقرة:٨٧، وقال في محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ الشعراء:١٩٣-١٩٤.

وتخصيصهم بهذا الروح ليمكنهم أن يقبلوا من الملائكة بما بينهم من المناسبة الروحانيّة، ويفيدوا للأمّة بما بينهم من المناسبة البشريّة، فلذلك قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا..﴾ الأنعام:٩».

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ينتمي إلى أرومتين: واحدة بشريّة طينيّة، وأخرى معنويّة هي شجرة الفضائل والكمالات، وهو ما يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**أُسرته خير أُسرة، وشجرتُه خير شجرة، أغصانها معتدلة وثمارها مُتهدّلة، مولده بمكّة وهجرته بطيبة، علا بها ذكرُه، وامتدّ منها صوته**».

وإذا كان الأنبياء بالإضافة إلى عامّة الناس هم كالإنسان بالإضافة إلى عامّة الحيوانات، وكالقلب في البدن بالإضافة إلى سائر الأعضاء والجوارح. فالنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله هو أفضل الأنبياء والخلق أجمعين، حيث يقول صلى الله عليه وآله: «**ما خلق الله خَلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي**».

إنّ هذا الوجود الأكمل والأتمّ والأفضل والأكرم للإنسان هو ما يُطلق عليه العرفاء «الإنسان الكامل»، والذي يمثّل المرآة التي تتجلّى فيها كلُّ العوالم ومراتب الوجود التي خلقها المولى تعالى، ومعرفة هذا الإنسان الكامل هي معرفة لها بنحوٍ إجماليٍّ، وبتعبير الشيرازي: «فالإنسان الكامل كأنّه نسخة مختصرة جامعة لجميع العوالم الكونيّة والعقليّة وما بينهما، مَن عرفها فقد عرف الكلّ، ومَن جهلها فقد جهل الكلّ». (مفاتيح الغيب).

وهذا الإنسان الكامل هو الحقيقة المحمّديّة المسمّاة في العالم الأرضيّ بمحمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، كما صرّح به كبار المتصوّفة

* أستاذ في الحوزة العلمية- لبنان

والعرفاء والحكماء كالشيرازي، وعبد الكريم الجيلي، والسيّد حيدر الآملي، والشيخ محي الدين بن عربي، وغيرهم من الأعلام.

وأولى خصائص الإنسان الكامل أنّه يقيم العبوديّة الحقّ للمولى تعالى بخالص التوحيد، وبعيداً عن لوثة الشرك الخفيّ، فضلاً عن الظاهر.

فهو العبد الحقيقيّ الذي يعرف الحقّ في جميع المشاهد والمشاعر، ويقيم عبادته في كلّ المواطن وبكلّ المظاهر، «فهو عبدالله يعبده بجميع أسمائه وصفاته، ولهذا سُمّي بهذا الإسم أكمل أفراد الإنسان محمّد ﷺ». (تفسير القرآن الكريم لصدر الدين الشيرازي).

ومن خصائص الإنسان الكامل أنّه برهان الحقّ تعالى، ولِنَقل كما تقدّم إنّه محمّد ﷺ. فالعرفاء والحكماء يقرّرون في المباحث الإلهيّة أنّ الحقّ تعالى هو بنفسه برهانٌ على كلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿.. أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت:٥٣، والنبيّ الأعظم ﷺ هو غاية الخلق كما في الحديث القدسيّ: «لولاك لما خلقتُ الأفلاك»، فهو البرهان من الحقّ تعالى على كلّ شيء، وهو ما عبّر عنه القرآن بالشهادة كما في قوله تعالى: ﴿.. وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ النساء:٤١، بل إنّ القرآن قد جعل نفس النبيّ الخاتم برهاناً، فقال تعالى: ﴿..قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ..﴾ النساء:١٧٤، في حين أنّ باقي الأنبياء كانت براهينهم أشياء غير أنفسهم كالعصا لموسى عليه السلام.

وتتجلّى البراهين النبويّة في ذاته الشريفة كما ورد في الأحاديث، فكان برهانُ عينه في قوله: «**لا تسبقوني بالركوع، فإنّي أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي**»، **وبرهان بصره كما في قوله**: «**زُويت لي الأرض فأُريت مشارقها ومغاربها**»، وغيرها من البراهين في دلائل نبوّته وخاصّة برهان قوّة علمه كما سنوضح.

ويُلقي العرفاء والحكماء الضوء على جانب آخر من مزايا الحقيقة النبويّة المحمّديّة هي مقام الشفاعة. والشفيع كما يقولون، هو النافع المؤثّر الواقع في سلسلة الإيجاد والعلل الطوليّة بسبب كمال وجوده، فله نحو من السببيّة، ولذا لا شفاعة إلّا بإذنه تعالى.

إنّ النبيّ هو ذاك الإنسان الجالس في الحدّ المشترك بين عالَمَيْ المُلك والملكوت، أي أنّه نوع إنسانيّ خاصّ يقع ما بين الإنسان والملك، ويشارك كلاً منهما بخصوصيّته: فهو كالملائكة في إطّلاعهم على ملكوت السماوات والأرض، وكالبشر في أحوالهم البشريّة، فهو يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق

والمأذون أوّلاً وبالذات هو الحقيقة المحمّديّة المسمّاة في البدايات بالعقل الأوّل، والقلم الأعلى، والعقل القرآنيّ عند وجودها الصوريّ التجرّديّ، وفي النهاية بمحمّد بن عبد الله خاتم الأنبياء عند ظهورها البشريّ الجسمانيّ. ولذا قال ﷺ: «**كنتُ نبيّاً وآدم بين الماء والطين**»، وقال: «**أنا سيّد وُلد آدم، وصاحب اللّواء، وفاتح باب الشفاعة يوم القيامة**».

من هنا، فقد جاوز النبيّ الخاتم كلّ منازل الأنبياء ومقاماتهم في السماوات السبع، كما يظهر في حديث ليلة الإسراء والمعراج.

وتتجلّى في النفس النبويّة برهان العلم بأجلى وأبهى صورة يحكيها الإمام عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام بقوله المشهور: «**علّمني رسول الله ألف بابٍ من العلم، فاستنبطتُ من كلّ باب ألف باب**». ويعتقد العرفاء أنّ النبيّ ﷺ كان يعاين عياناً كشفيّاً سجود الأشياء وتسبيحها للحقّ تعالى في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ..﴾ الحج:١٨، وإن كانت بالنسبة إلينا إيماناً علميّاً بمقتضى المتابعة للكتاب، وليس السماع كالعيان.

إنّ هذه النفس القدسيّة تنفتح في كلّ عوالم الغيب وأسرار الوجود وما كان وما هو كائن وما سيكون، والذي يجتمع كلّه في لوحَيْ القضاء والقدر، أو اللّوح المحفوظ، ولوح المحو والإثبات. فالنبيّ مطّلعٌ على القضاء الإلهيّ والقدر الرّبانيّ، ويشاهد اللّوح والقلم، كما حكاه عن نفسه في حديث الإسراء. وقد فسّر الشيرازي قوله تعالى: ﴿..لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الإسراء:١، بسماعه لصرير الأقلام، ومعاينته اللّوح المحفوظ المصون عن التغيّر والتبدّل أو النسخ والتحريف، ولوح المحو والإثبات الذي هو محلّ نسخ الأحكام.

ولكن لا يرشح من حقيقة العلم هذه إلّا ما يناسب عقول الناس كما قال ﷺ: «**إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**»، لأنّ ذلك مقتضى الحكمة التي هي من كمال عقله العمليّ، كما في باقي خصاله التي بُعث بها أيضاً حيث قال ﷺ:

«**إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»، وفي آخر: «**بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**».

وللقلب النبويّ الشريف أسراره عنده العرفاء، ولا يقصدون بالطبع القلب اللحميّ الصنوبريّ الذي محلّه الصدر، فإنّ له وظائف عضويّة معروفة، وإنّما يقصدون القلب المعنويّ الذي محلّه النفس أو الصدر المعنويّ، وهو موضع الاعتقادات والإيمان وأثار الأعمال من الطاعات والعصيان.

إنّ هذا القلب ليس كسائر القلوب، لأنّه ومنذ بداية أمره له بابان: الباب «الداخلانيّ» كما يسمّونه، والموصِل إلى مطالعة اللّوح المحفوظ والذكر الحكيم، فيعلم كلّ ذلك على نحو اليقين مضافاً لأحوال يوم القيامة والحشر والحساب والجنّة والنار، وهو باب مفتوح للأولياء الذين يقدرون على الانقطاع إلى عالم الغيب ويذكرون الله تعالى على الدوام. والباب الثاني هو نحو الخارج وعالم الظاهر، فيطّلع منه على أحوال الخلق ليهديهم إلى الصراط المستقيم. يقول الشيرازي تعقيباً على ذلك: «فيكون بما أفاضه الله على قلبه وعقله المفارق وليّاً من أولياء الله وحكيماً إلهيّاً، وبما يفيض منه إلى قوّته المتخيّلة والمتصرّفة رسولاً منذراً بما سيكون، ومخبراً بما كان، وبما هو الآن موجود، وهذا أكمل مراتب الإنسانيّة». (الشواهد الربوبيّة في المناهج السلوكيّة).

إنّ هذا القلب لا يغفو ولا ينام ولا تعنيه الأوقات والجهات، لأنّه يتجاوز بسعته الوجوديّة حدود الزمان والمكان وسائر حيثيّات العالم الماديّ، فيشرق على الأشياء كيفما كانت، ولذا قال صلى الله عليه وآله كما رُوي عنه: «**إنّا معاشر الأنبياء تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا، ونرى من خلفنا كما نرى من بين أيدينا**». وقال لبعض أصحابه ايضاً - كما تقدم - : «**لا تسبقوني بالركوع، فإنّي أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي**».

ويشير العرفاء هنا إلى التأييدات الخاصّة الربانيّة للأنبياء، ولاسيّما مَن له منصب الخاتميّة. فالأنبياء مؤيَّدون من المولى تعالى بروح القدس الأدنى إضافة إلى روح الإيمان التي للمؤمن وإلى روح النامية، وروح الشهوة، وروح القوّة الفكريّة التي لكلّ الناس. فالأنبياء مؤيَّدون بخمسة أرواح. وأمّا الحضرة الختميّة وآلها صلوات الله عليهم أجمعين فمؤيَّدة بستّة أرواح، والسادس هو روح القدس الأعلى. فمنزلة سائر الأنبياء بمنزلة المجالي والمرايا لنبوّته صلى الله عليه وآله، وله فوق ذلك منزلة خاصّة أخرى هي منزلة الخلافة الإلهيّة والربوبيّة، ولذا قالوا: «إنّ آدم أبي البشر خليفته صلى الله عليه وآله بل خليقته»، كما نقل الحكيم المولى عليّ النوري في تعليقاته على (أسرار الآيات).

صلّى الله وسلّم على مَن له فوق كلّ مقامٍ مقام، وبعد كلّ منزلةٍ منزلة إلى ما شاء الله تعالى، وأحاط به علمُه، وعلى آله الطاهرين خلفائه في الأرض وقرآنه الناطق ولسانه الصادق.

بهم تُسقى أُمّتي الغَيْث..

عن أبي جعفر - الإمام الباقر - عليه السلام، (عن آبائه) قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وآله، لأمير المؤمنين عليه السلام: أكتُب ما أملي عليك، فقال: يا نبيَّ الله، وتخافُ عليَّ النسيان؟ فقال: لستُ أخاف عليك النسيان، وقد دعوتُ اللهَ لك أن يحفظك ولا يُنسيك، ولكنْ أكتب لشركائك. قال: قلتُ: ومَن شركائي يا نبيَّ الله؟! قال: الأئمّة من ولدك، بهم تُسقى أمّتي الغيث، وبهم يُستجابُ دعاؤهم، وبهم يصرفُ الله عنهم البلاء، وبهم يُنزِّلُ الرحمةَ من السماء، وهذا أوّلهم، وأومى إلى الحسن، ثمّ أومى إلى الحسين عليهما السلام، ثمّ قال: الأئمّة من وُلْده عليهما السلام.

«الإمامة والتبصرة - إبن بابويه القميّ - ص ٥٤»

مولد
سيّد النبيّين صلى الله عليه وآله

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب:٥٦

في أجواء أسبوع الوحدة الإسلامية، تقدّم «شعائر» هذا النص حول المولد النبويّ، هدية إلى جميع المسلمين الذين تعمُرُ قلوبَهم الفرحةُ الأعظم بذكرى مولد سرّ النعم الإلهيّة، وسرِّ الحياة والوجود صلى الله عليه وآله. والمرجوُّ أن يهتمّ المؤمنون بتلاوة هذا المولد في المجالس العامّة والخاصّة، مع مراعاة الضوابط الشرعية واجتناب «مزامير الشيطان»، والإكثار من الصلوات.

وقد راعينا في إعداد المادّة إمكانية اختصارها بطرق متعدّدة، لتتناسب مع الأوقات المختلفة التي تُخصّص لقراءة المولد الشريف.

**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وحده لا شريك له شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاَصُهَا "..."، نَتَمَسَّكُ بها أَبَداً ما أَبْقانَا، وَنَدَّخِرُهَا لأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّها عَزِيمَةُ الإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، "..." مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلاَمَةِ. قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ."..."

أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللاَّمِعِ، وَالأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، "..." حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، "..." وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً. "..." أَللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بَنَاءِ الْبَانِينَ بَنَاءَهُ، "..." وَشَرِّفْ لديك مَنْزِلَتَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ .

وقالت الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سيِّدة نساء العالمين عليها السلام:

«وأَشهدُ أنَّ أبي مُحمَّداً عَبْدُهُ ورَسولُهُ، اختارَهُ قبل أنْ يَجْتبِلهُ، واصْطَفاهُ قبلَ أنْ يَبْتَعِثَهُ، وسَمَّاهُ قبل أن يَسْتَنْجِبَهُ، إذ الخَلائِقُ في الغَيْبِ مَكْنونَةٌ، وبِسَدِّ [بستر] الأَوْهامِ مَصُونَةٌ، وبِنِهايَةِ العَدَمِ مَقرونَةٌ، عِلْماً من اللهِ في غامِضِ الأمورِ، وإحاطةً من وَراءِ حَادِثَةِ الدُّهُورِ، ومَعْرِفةً بِمَواقِعِ المَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ إتْماماً لِعِلْمِهِ، وعَزيمَةً على إمضاءِ حُكْمِهِ، فَرأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نِيرانِها، عابِدَةً لأوْثانِها، مُنْكِرَةً للهِ مع عِرْفانِها، فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ ظُلَمَها، وفَرَّجَ عن القُلوبِ بُهَمَها، وجَلا عن الأبْصارِ عَمَهَها، وعن الأنْفُسِ غِمَمَها».

أنتَ الهُدى والنُّورُ أنتَ مُحمَّد الأوصافِ، محمودُ الشَّمائلْ
حاشا يَخيبُ إذا أتاكَ مؤمِّلٌ ويُرَدُّ سائلْ
ها قد أتيتُ يقودُني أملي أفَهَل أعودُ بِدونِ طائلْ
مَولايَ عبدُكَ قد أساءَ وإنَّ عَفوَكَ خَيرُ نائلْ
عَمَلي هباءٌ لستُ أرجوه لِتحقيقِ المَسائلْ
إلَّا الصلاة على الحبيبِ وآلِهِ الغُرِّ الأفاضِلْ

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :

«أحبُّ الأنبياء إلى الله تعالى وأكرمُهم عليه محمّد بن عبد الله ﷺ. في حَوْمة العزِّ مولدُه، وفي دَوْمة الكرم مَحتِدُه، غيرَ مَشوبٍ حَسَبُه، ولا مَمزوجٍ نَسَبُه، ولا مجهولٍ عند أهل العلم صِفَتُه، بَشَّرت به الأنبياءُ في كُتبها، ونَطقتْ به العُلماءُ بِنَعتِها، وتأمَّلته الحكماءُ بِوصفِها، مُهذَّبٌ لا يُدانى، هاشميٌّ لا يُوازى، أبْطحيٌّ لا يُسامى، شِيمتُه الحياء وطبيعته السخاء، مَجْبولٌ على أوْقارِ النُّبوّةِ وأخلاقِها، مطبوعٌ على أوصافِ الرسالةِ وأحلامِها، إلى أن انتهتْ به أسبابُ مَقاديرِ الله إلى أوقاتِها، وجرى بأمرِ اللهِ القضاءُ فيه إلى نهاياتِها، أدَّاه مَحتومُ قضاءِ الله إلى غاياتِها، تُبَشِّرُ به كلُّ أمَّةٍ مَن بعدها، ويَدفعُه كلُّ أبٍ إلى أبٍ من ظَهْرٍ إلى ظَهْرٍ، لم يَخلِطْه في عُنصرِه سِفاحٌ، ولم يُنَجِّسهُ في ولادتِه نِكاحٌ، مِن لَدُن آدمَ إلى أبيهِ عبد اللهِ، في خيرِ فِرقةٍ وأكرمِ سِبْطٍ وأمنعِ رَهطٍ وأكلإِ حَمْلٍ وأودعِ حِجْرٍ.

اصطفاهُ اللهُ وارْتضاهُ واجْتباهُ، وآتاهُ من العِلمِ مفاتيحه ومن الحكم ينابيعه، ابْتعثَهُ رحمةً للعبادِ وربيعاً للبلادِ، وأنزلَ اللهُ إليهِ الكتابَ فيه البيانُ والتِّبيانُ، قرآناً عربيّاً غير ذي عِوَجٍ لعلَّهم يَتَّقون، قد بَيَّنَه للنَّاسِ ونَهجه بعلمٍ قد فصَّلَه، ودينٍ قد أوْضَحَهُ، وفَرائضَ قد أوجَبَها، وحدودٍ حَدَّها للناس وبَيَّنَها، وأمُورٍ قد كَشَفَها لِخَلقِه وأعلنَها، فيها دلالةٌ إلى النجاةِ ومعالمُ تدعو إلى هُداه، فبلَّغ رسولُ الله ﷺ ما أُرسِلَ به، وصَدَعَ بِما أُمِرَ، وأدَّى ما حُمِّل من أثقالِ النبوَّةِ، وصَبَرَ لِرَبِّهِ وجَاهَدَ في سبيلِه، ونَصَحَ لأُمَّتِه ودَعاهُم إلى النَّجاةِ، وحَثَّهُم على الذِّكرِ ودَلَّهُم على سَبيلِ الهُدَى، بمَناهِجَ ودَواعٍ، أسَّسَ لِلعِبادِ أساسَها، ومَنار رفعَ لَهُم أعلامَها كَيْلا يَضلُّوا من بعدِه، وكان بهم رؤوفاً رحيماً».

* أبو طالب ينقل عن عبد المُطَّلب

قال أبو طالب رضي الله عنه، نقلاً عن أبيه شيبة الحمد عبد المُطَّلب أنّه قال: «بينا أنا نائمٌ في الحجر إذ رَأيتُ رؤياً هالتْني، فأتَيتُ كاهنة قُريش وعليَّ مِطرفُ خزّ ومجمتي تضرب منكبي، فلمّا نَظرَتْ إليَّ عرفت في وجهي التّغيُّر، وأنا يومئذٍ سيِّدُ قَوْمي، فقالت: ما شأنُ سيِّدِ العَرَب مُتغيِّرَ اللَّون؟ هل رابَهُ من حَدَثانِ الدَّهر رَيْب؟

قلتُ: بلى، رأيتُ اللّيلة وأنا نائم في الحجْر كأنَّ شجرة قد نَبتت على ظهري، وقد نالَ رأسُها السماء، وضَربَتْ بأغصانِها الشرق والغرب، ورأيتُ نوراً يظهر منها أعظمَ من نور الشمس سبعين ضِعفاً. ورأيتُ العرب والعجم ساجدةً لها، وهي كلَّ يوم تزداد عِظَماً ونوراً، ورأيتُ رَهْطاً من قُريش يُريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شابٌّ من أحسن الناس وجهاً وأنظفِهم ثياباً، فيأخذهم ويكسر ظهورهم ويقطع أعينهم "‥" فانتبهتُ مذعوراً فَزِعاً مُتغيِّر اللّون. فرأيتُ لون الكاهنة قد تغيَّر، ثمّ قالت: لَئِن صدقتَ لَيَخرُجَنَّ من صُلبِك ولدٌ يَملكُ الشرق والغرب، ويُنبأ في الناس.. فتسرّى عنّي غَمّي».

وكان أبو طالب يحدِّث بهذا الحديث والنبيّ ﷺ قد خرج، ويقول: «كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين».

طَـأطـأ كُـلُّ الأنـبـيـا لِطهَ ... ذلـك عِـزٌّ عَـزَّ أن يُضاهَى
تُقُبِّلَتْ توبةُ آدم الصفي ... بِيُمْنِهِ أَكـرِمْ بِـهِ مِن خَلَفِ
وسَجْدَةُ الأمْـلاكِ لا لِغُرَّتِهِ ... بَلْ نُـورُ ياسين بَدا في غُرَّتِهِ
بِـهِ نَجَا نُـوحٌ من الطُّوفانِ ... بِمُرسَلاتِ اللُّطْفِ والإحسانِ
نَجَى من الرِّيحِ العَقيمِ هُودُ ... لانَ لِـــداودَ بِـه الحَـديـدُ
وفـازَ إبـراهـيـمُ بـالإمـامَـهْ ... ومِـنـهُ نـالَ هَـذِهِ الـكَـرامَـهْ
بِـهِ نَجَا مِن كُـلِّ كَيْدٍ وبَلا ... يُوسفُ واسْتَوَى على العرشِ العُلا
وكـانَ لُقمانُ رَقيقَ نِعمَتِهْ ... أُعطِيَ رَمْزاً من دَقيقِ حِكْمَتِهْ
بِـهِ نَجاةُ يُونُس المَسجُونِ ... مِن ظُلمةِ البَحرِ وبَطْنِ النُّونِ
حَجر على كُـلِّ نَـبيٍّ وَوَلي ... خَلاصه إلّا بِـهِ مِمَّا ابْتُلي
ومـا ابـنُ مريم البتول إلا ... مُـبـشِّراً مـن الـعَـلِيِّ الأعْـلى
وآلُ عِـمْـران على مائِدتِهْ ... بل يَستفيدُ الكُلُّ من فائِدَتِهْ
والإنْسُ والجِنُّ رِجالاً ونِسَا ... على بِساطِهِ صَباحاً ومَسا

**

وابن عبّاس ينقل عن أبيه العبّاس:

قال ابْن عباس: «سَمعتُ أبيَ العبّاسَ يُحدِّث قائلاً: وُلِد لأبي عبد المطَّلب عبدُ الله، فرأينا في وجهه نوراً يظهر كَنُور الشمس، فقال أبي: إنَّ لهذا الغُلام شأناً عظيماً.

قال العبّاس بن عبد المطّلب: فرأيتُ في منامي أنَّه خرج من منخره طائر أبيض، فطار فبلغ المشرق والمغرب، ثمّ رجع راجعاً حتى سقط على بيت الكعبة، فَسجدَتْ له قُريشٌ كلُّها. فبينما الناس يتأمَّلونَه إذ صار نوراً بين السماء والأرض، وامتدَّ حتّى بلغ المشرق والمغرب، فلمّا انتبهتُ سألتُ كاهنة بني مخزوم، فقالت: يا عبّاس، لئن صَدَقَتْ رؤياك لَيَخرُجَنَّ من صُلبِه ولدٌ يصير أهلُ المشرق والمغرب تبعاً له، فقال أبي: فَهَمَّني أمرُ عبد الله إلى أن تزوَّج بآمنة، وكانت من أجمل نساء قريش وأتمِّها خُلُقاً، فلمّا مات عبد الله ووَلدت آمنة رسول الله ﷺ، أتيتُه ورأيتُ النور بين عينيه يُزهِر فحملتُه، وتفرَّستُ في وجهه فوجدتُ منه ريح المسك، وصرتُ كأنِّي قطعة مِسْك من شدَّة ريحي، فحدَّثتني آمنة، وَقالت لي:

إنّه لَمّا أخذني الطَّلق واشتدَّ بي الأمر، سَمِعتُ جَلَبة وكلاماً لا

محمد ﷺ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

يُشبه كلام الآدميّين، ورأيتُ عَلَماً من سُنْدُسٍ على قضيب من ياقوت قد ضُرِبَ بين السماءِ والأرضِ، ورأيتُ نوراً يَسطع من رأسه حتّى بَلَغ السماء، ورأيتُ قُصور الشّامات كأنّها شُعلة نار، ورأيتُ حولي من القطاة [صنفٌ من الحمام ذوات أطواق] أمراً عظيماً، قد نَشرَت أجنحتها حولي، ورأيتُ شَعيرة الأسَديَّة قد مرَّت وهي تقول: آمنة.. ما لقيَتِ الكُهَّانُ والأصنامُ من وَلدِكِ!

ورأيتُ رجلاً شابّاً من أَتمِّ الناس طولاً، وأشدّهم بياضاً، وأحسنهم ثياباً، ما ظننتُه إلّا عبد المطّلب، قد دنا منّي فأخذ المولود، واستنْطَقه فنَطَقَ، فلم أفهم من كلامه إلّا قولَه: في أمان الله وحِفظه وكِلاءته، مُلِئَ قلبُك إيماناً وعلماً وحِلماً ويقيناً وعقلاً وشجاعةً. أنت خيرُ البشر، طوبى لِمَنِ اتَّبعك، ووَيْلٌ لِمَن تَخَلَّف عنك، ثمّ أخرج صرَّة من حريرة بيضاء، ففتحها فإذا فيها خاتم، فضرب على كَتِفِه، ثمّ قال: أمرني ربّي أن أنفخَ فيك من رُوح القُدُس فنفخ فيه، وألبسه قميصاً، وقال: هذا أمانُك من آفات الدنيا، وخَتمتْ أمّ النبيّ آمنة قائلة: فهذا ما رأيتُ يا عبّاس.

قال العباس: وأنا يومئذٍ أقرأ، فكشفتُ عن ثوبه، فإذا خاتم النبوّة بين كَتِفيه، فلم أزل أكتُم شأنه وأُنسيتُ الحديث، فلم أذكُره إلى يوم إسلامي، حتّى ذكّرني رسول الله ﷺ».

الإمام الصادق عليه السلام يتحدَّث عن المولد الشريف:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان إبليس لعنه الله يخترق السماوات السبْع، فلمّا وُلِد عيسى عليه السلام حُجِب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلمّا وُلِد رسول الله ﷺ حُجِب عن السبع كلّها، ورُمِيَت الشياطين بالنُّجوم، وقالت قريش هذا قيام الساعة التي كنّا نسمع أهل الكُتب يذكرونه. وأصبحت الأصنام كلّها صبيحة وُلِد النبيّ ﷺ ليس منها صَنَمٌ إلّا وهو مُنكبٌّ على وجهه. وارتجس في تلك اللّيلة إيوان كِسْرى، وسَقَطتْ منه أربع عشرة شرفة.

وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام.

ورأى الموبذان - وهو قاضي القضاة عند الفرس - في المنام إبلاً صِعاباً تقود خيلاً عِراباً، حتّى عَبَرَتْ دِجلة وانسرَبَتْ في بلادهم، وانفصم طاق الملك كِسرى من وسطه، وانخرَقَت عليه دِجلة، وانتشر في تلك اللّيلة نورٌ من قِبَل الحجاز، ثمّ استطار حتّى بلغ المشرق، ولم يبقَ سرير لِمَلِكٍ من ملوكَ الدُّنيا إلّا أصبح مَنكوساً والمَلِكُ مُخْرَساً لا يتكلَّم يومه ذلك، فانتُزِع عِلمُ الكَهَنَة وبَطل سِحْرُ السَّحَرَة، ولم تَبقَ كاهِنةٌ في العرب إلّا حُجِبَتْ عن صاحبها، وعَظُمَتْ قُريش في العرب، وسُمُّوا آل الله عزّ وجلّ».

هـو النـبيّ حيـنَ لا آدم بـلْ ... ولا وُجود غيره عـزّ وجَـلْ
في كـفِّهِ تُـسَبِّحُ الحَصاةْ ... فَهيَ لِكُلِّ مُمْكِنٍ حَياةْ
ومَا الكَليمُ مَا العَصا وما الحَجَرْ ... فَهُوَ بِسُبابَتِهِ شَقَّ القَمَرْ
لَـهُ لِواءُ الحَمْـدِ والـنَّصرُ معهْ ... فَازَ بِظِلِّهِ غَداً مَن تَبِعَهْ
ولِايـــةُ اللهِ لَـهُ على الـوَرَى ... مِن غيرِ حَدٍّ أوَّلاً وآخِرا
وكيف؟ وهـو ظِـلُّهُ المَـمْدودُ ... أنّى لَهُ الحُدودُ والقُيُودُ؟
كلُّ نـبيٍّ هـو تحـت رايـتـهْ ... كلُّ وَلِيٍّ هو في ولايتهْ
وكـلُّ شـيءٍ خـاضِـعٌ لأمـرِهْ ... وكلُّ وَصْفٍ هو دون قَدْرِهْ

وحدَّثت مولاتنا السيدة آمنة (برواية الإمام الصادق عليه السلام):

«إنّ ابني والله سقط فاتّقى الأرض بيده، ثمّ رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثمّ خرج منّي نورٌ أضاء له كلُّ شيء، وسمعتُ في الضَّوْء قائلاً يقول: إنّكِ قد وَلَدْتِ سيّدَ الناس، فسمِّيه محمّداً.

وأُتِيَ به عبدُ المطّلب لينظر إليه، وقد بلغه ما قالت أمّه، فأخذه، ووضعه في حِجْره ثمّ قال:

الحمدُ لله الذي أعطاني ... هذا الغُلامَ الطيّب الأردانِ
قد سادَ في المهد على الغلمانِ

ثمّ عوَّذه بأركان الكعبة وقال فيه أشعاراً. وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته فاجتمعوا إليه، وقالوا: ما الذي أفزعك يا سيّدنا؟ فقال لهم: ويلكم لقد أنكرتُ السماءَ والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حَدَثٌ عظيم، ما حدث مثله منذ رُفِع عيسى بنُ مريم، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث؟

فافترقوا ثمّ اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس لعنه الله: أنا لهذا الأمر، ثمّ انغمس في الدنيا فجالها حتّى انتهى إلى الحَرَم، فوجد الحَرَم محفوظاً بالملائكة. فذهب ليدخل، فصاحوا به فرجع، ثمّ صار مثل الصرّ، وهو العصفور، فدخل من قبل حِراء، فقال له جبرئيل: ما وراك لعنك الله؟ فقال له: حرفٌ أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟

فقال: وُلِد مُحَمَّد ﷺ، فقال إبليس: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال ففي أمّته؟ قال: نعم، قال: رَضيتُ».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «نزل جبرئيل على النبيّ ﷺ، فقال: يا محمّد، إنّ الله جلّ جلاله يُقرؤك السلام، ويقول: إنّي قد حرَّمتُ النَّار على صُلْبٍ أنزلك، وبطنٍ حَمَلك، وحِجْرٍ كَفِلك، فقال النبيّ ﷺ: يا جبرئيل بَيِّن لي ذلك، فقال: أمّا الصُّلب الذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطّلب، وأمّا البطن الذي حَمَلك فآمنة بنت وَهَب، وأمّا الحجْر الذي كفلك، فأبو طالب بن عبد المطّلب وفاطمة بنت أسد».

وعنه عليه السلام: «سُئِل النبيّ ﷺ: أين كُنتَ وآدم في الجنَّة؟ قال: كُنتُ في صُلبه، وهُبِط بي إلى الأرض في صُلبه، وركبتُ السفينة في صُلب أبي نوح، وقُذِف بي في النار في صُلب أبي إبراهيم. لم يلتقِ لي أبوان على سفاح قطّ، لم يَزَلِ الله عزّ وجلّ ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة، هادياً مهديّاً حتّى أخذ الله بالنبوّة عهدي وبالإسلام ميثاقي، وبَيَّن كلَّ شيءٍ من صِفَتي، وأثبتَ في التوراةِ والإنجيلِ ذِكري، ورَقَى بي إلى [illegible] أسمائه، أمّتي الحمّادون، فذو العرش محمود وأنا مُحمَّد».

وعنه عليه السلام: «قالت آمنة بنت وهب: لمّا قرُبت ولادة رسول الله ﷺ، رأيتُ جناح طاير أبيض قد مسح على فؤادي، وكان قد تداخلني رُعب فذهب الرُّعب عنّي، وأُوتيتُ بِشُربَةٍ بيضاء ظَنَنتُها لَبَناً وكنتُ عطشى، فَنُوولْتُها فَشَرِبْتُها، فأصابَني نُور عالٍ. ثمّ رأيتُ نِسْوة كالنَّخل طُولاً تُحدِّثْنَني. فَعَجِبْتُ وجَعلتُ أقول في نفسي: من أين عِلمُهُنَّ هؤلاء بموضعي؟ ثمّ اشتدّ الأمر. حتّى رأيتُ كالدِّيباج الأبيض قد ملأ ما بين السماء والأرض، وقائلٌ يقول: خُذوه من أعزِّ الناس، ثمّ كَشَفَ عزّ وجلّ لي عن بصري ساعتي تلك، فرأيتُ مشارق الأرض ومغاربها، ورأيتُ ثلاثة أعلامٍ مضروبة: عَلَماً في المشرق، وعَلَماً في المغرب، وعَلَماً على ظهر الكعبة. ثمّ وُلِد رسولُ الله ﷺ فَخَرَّ ساجِداً، ورفع إصبعه إلى السماء كالمُتضرِّع المُبتهِل، ورأيتُ سَحابةً بيضاء تَنزل من السماء حتّى غَشِيَتْهُ، فَسَمِعْتُ مُنادياً يُنادي: طوفوا بِمحمَّد ﷺ شرق الأرض وغربها والبحار ليعرفوه باسمه ونَعْتِه وصورته، ثمَّ انجلت عنه الغمامة، فإذا أنا به في ثوب أبيض أشدّ بياضاً من اللّبن، وتحته حريرة خضراء، وقد قَبَضَ على ثلاثة مفاتيح من اللّؤلؤ الرّطب، وقائل يقول: قَبَضَ مُحَمَّدٌ ﷺ على مفاتيح النُّصرة، ومفاتيح الرِّيح، ومفاتيح النبوَّة. ثمّ أقبلَتْ سحابة أُخرى أَنوَر من الأولى، حتّى غَشِيَتْهُ فَغُيِّبَ عن وجهي أطول من المرّة الأولى، وسمعتُ منادياً يقول: طوفوا بِمُحمَّدٍ ﷺ الشرق والغرب، واعرضُوه على روحانيّ الجنّ والإنس والطير والسِّباع وأَعطوه صفاء آدم، ورِقَّة نوحٍ، وخِلَّة إبراهيم، ولسان إسماعيل، وكمال يوسف، وبُشرى يعقوب، وصوت داود، وصبر أيُّوب، وزُهد يحيى، وكَرَم عيسى. ثمّ انكَشف عنه، فإذا أنا به وبيده حريرةٌ خضراء قد طُوِيَت طيّاً شديداً، وقد قَبَضَ عليها وقائلٌ يقول: قد قَبَضَ مُحَمَّد على الدنيا كلّها، فَلَم يبقَ شيء إلّا دخل في قبضته. ثمّ إنّ ثلاثة نَفَر كأنّ الشمس تطلع من وجوههم، في يد أحدهم إبريق فِضّة ورائحته كَرائحة المسك، وفي يد الثاني طِست من زُمرّدة خضراء لها أربعة جوانب، مَن كُلِّ جانبٍ لؤلؤة بيضاء، وقائلٌ يقول: هذه الدُّنيا فاقبِضْ عليها يا حبيب الله، فَقَبَضَ على وسطها، فقال قائلٌ قبضَ على الكعبة. ورأيتُ في يد الثالث حريرة بيضاء مطويّة، فنشرها فأخرجَ منها خاتماً تَحارُ أبصار الناظرين فيه، ثمّ حمل ابني فَغُسِّل بذلك الماء من الإبريق سبع مرّات، وخُتِمَ بين كتفيه بالخاتم، ولُفّ في الحريرة، وأُدخِل بين أجنحتهم ساعة، وكان الفاعل ما فُعِلَ به رضوان عليه السلام. ثمّ انصرف، وجعل يلتفت إليه ويقول: أبشر يا عزّ الدنيا والآخرة يا مُحمّد».

نبيَّ الهُدى يا أبا القاسمِ ... وعِـلَّـةَ آدمَ والـعـالَـمِ
ويا أيَّ مبتدأٍ خاتمٍ ... تَخـيّرك اللهُ مـن آدمِ
وآدمُ لولاك لم يُخلقِ
بنورك لو لم يكن يستضيءْ ... لما كان للرُّشد يوماً يَفيءْ
لأنّك في الغيب قبلَ المجيءْ ... بجبهته كنتَ نوراً تُضيءْ
كما ضاءَ تاجٌ على مِفرقِ

معرفة أُمم الأنبياء به ﷺ

* قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ البقرة:١٤٦.

* قال الراوي: سمعتُ جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: «لمّا وُلِدَ النبيّ عليه السلام، وُلِدَ ليلاً. أتى رجل من أهل الكتاب إلى الملإ

من قُريش وهم مجتمعون، وهم: هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة، وعُتبة، وشيبة، فقال: أوُلِد فيكم اللّيلة مولود؟ قالوا: لا، وما ذاك؟ قال: لقد وُلد فيكم اللّيلة أو بفلسطين مولودٌ اسمه أحمد، به شامة، يكون هلاكُ أهلِ الكتاب على يديه، فسألوا فأُخبروا فطلبوه، فقالوا: لقد وُلِد فينا غلام، فقال: قبل أن أُنبئكم أو بعد؟ قالوا: قبل، قال: فانطلقوا معي أنظر إليه، فأتوا أمّه وهو معهم فأخبرتهم كيف سقط، وما رأت من النور، قال اليهوديّ: فأخرجيه، فنظر إليه، ونظر إلى الشامة فَخَرَّ مَغشِيّاً عليه، فأدخلته أمّه، فلمّا أفاق قالوا له: ويلك ما لك؟ قال: ذَهبَتْ نُبوّة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله مُبيرُهُم، ففَرِحَتْ قُريش بذلك، فلمّا رأى فرحهم قال: والله، لَيَسطُوَنَّ بكم سطوة يتحدّث بها أهل الشرق وأهل الغرب».

وقال عليه السلام: «وكان بمكّة يهوديّ يُقال له يوسف، فلمّا رأى النجوم تُقذف وتتحرّك ليلة وُلِد النبيّ صلى الله عليه وآله قال: نَجِدُ في كتبنا أنّه إذا وُلِد آخر الأنبياء، رُجِمَت الشياطين وحُجِبُوا عن السماء. فلمّا أصبح كان يبحث عن المولود، فدلّوه على عبد المطّلب فأتاه، فلمّا نظر إلى عينَي المولود، وكشف عن كتِفيه وعليها شعرات، وقع مَغْشيّاً عليه فقال: ذَهَبَت النبوّة عن بني إسرائيل، فتعجّبَت منه قُريشٌ وضحكوا منه».

* قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لمّا وُلِد رسول الله صلى الله عليه وآله، أُلقِيَت الأصنام في الكعبة على وجوهها، فلمّا أمسى النهار سُمِع صيحة من السماء: جاء الحقّ وزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً».

وورد أنّه أضاء تلك اللّيلة جميع الدنيا، وضحك كلّ حجر ومَدَر وشَجَر، وسَبَّح كلُّ شيءٍ في السماوات والأرض لله عزّ وجلّ، وانهزم الشيطان وهو يقول: خير الأُمم، وأكرم العبيد، وأعظم العالم مُحَمَّد.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لمّا وُلِد رسول الله صلى الله عليه وآله، جاءت فاطمة بنت أسد إلى أبي طالب ضاحكةً مُستبشرة، فأعلمتْهُ ما قالته آمنة، فقال لها أبو طالب: إصبري لي سَبتاً آتيكِ بمثله إلّا النبوّة. قالوا: والسبت ثلاثون سنة..» وقد وُلِد الإمام عليّ عليه السلام بعد ثلاثين سنة من مولد سيّد الخلائق أجمعين نبيّنا الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «خلق الله عزّ وجلّ نطفتي بيضاء مكنونة. فَنَقلها من صُلبٍ إلى صُلبٍ، حتّى نُقلت النطفة إلى صُلب عبد المطّلب، فجعل نصفين، فصيَّر نصفها في عبد الله ونصفها في أبي طالب، فأنا من عبد الله وعليٌّ من أبي طالب، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان:٥٤».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لمّا خلق الله السماوات والأرضين، استوى على العرش فأمر نوريْن من نوره فطافا حول العرش سبعين مرّة، فقال عزّ وجلّ: هذان نوران لي مُطِيعان، فخلق الله من ذلك النور محمّداً وعليّاً والأصفياء من وُلدِه عليهم السلام، وخَلَق من نورهم شيعتَهم، وخَلَق من نور شيعتِهم ضوءَ الأبصار».

وعنه عليه السلام: «إنّ الله كان إذ لا كان، فَخَلق الكان والمكان، وخلق الأنوار، وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نُوِّرَت منه الأنوار، وهو النور الذي خَلَق منه محمّداً وعليّاً. فلم يزالا نورين أوّلين، إذ لا شيء كُوِّن قبلهما. فلم يزالا يجريان طاهرَين مُطهَّرين في الأصلاب الطاهرة، حتّى افترقا في أطهر طاهرَين، في عبد الله وأبي طالب».

عن مولاتنا أمّ المؤمنين أمّ سَلَمة، قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمّا أُسري بي إلى السماء نظرت فإذا مكتوبٌ على العرش: لا إله إلّا الله، محمّدٌ رسول الله، أيّدتُه بعليٍّ ونصرتُه بعليّ. ورأيتُ أنوار عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، وأنوارَ عليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، ورأيت نور الحجّة يتلألأ بينهم كأنّه كوكب دُريّ، فقلتُ: يا ربِّ مَن هذا؟ ومَن هؤلاء؟ فنُوديت: يا محمّد، هذا نور عليٍّ وفاطمة، وهذا نور سِبطيْك الحسن والحسين، وهذه أنوار الأئمّة من وَلدِك الحسين، مطهَّرون معصومون، وهذا نور الحجّة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً».

هُمُ النُّورُ نورُ اللهِ جلَّ جلالُه ... هُمُ التِّينُ والزيتونُ والشَّفْعُ والوتْرُ
مَهابِطُ وَحْيِ اللهِ خُزّانُ عِلْمِه ... مَيامِينُ في أبياتِهم نَزَلَ الذِّكْرُ
وأسماؤهم مَكتوبةٌ فوق عرشِه ... ومكنونةٌ مِن قبلِ أنْ يُخلق الذرُّ
ولَولاهم لَم يَخلُقِ اللهُ آدماً ... ولا كان زيدٌ في الأنامِ ولا عَمرو
ولا سُطِحتْ أرضٌ ولا رُفِعت سما ... ولا طَلَعَتْ شمسٌ ولا أشْرَقَ البدرُ
ونوحٌ بِهِ في الفُلْكِ لَمّا دعا نجا ... وغِيضَ به طوفانُه وانقضى الأمرُ
ولَوْلاهُم نارُ الخليلِ لَما غَدَتْ ... سلاماً وبَرداً وانْطَفى ذلكَ الجَمْرُ
ولَوْلاهُم يعقوبُ ما زالَ حُزْنُه ... ولا كان عن أيُّوب يَنْكَشِفُ الضُرُّ

بين
الحبيب والخليل

في سياق تفسير معنى «سيد النّبيين»، تزخر المصادر الإسلامية بمقاربات طريفة، تركّز على عظمة كلّ الأنبياء، ثمّ تُوضح أنّ عظمة سيد النّبيين أمر مختلفٌ كليّاً. والفائدة العمليّة من ذلك، أن ندرك سموّ مراتب جميع الأنبياء عليهم السلام، ونحاول التعرّف على ما يُمكننا الوصول إليه من فرادة سيّد النبيّين صلى الله عليه وآله.

في ما يلي تقدّم «شعائر» بتصرّف، مقارنة بين الحبيب والخليل، للعَلَم الحجة إبن شهراشوب في كتابه (مناقب آل أبي طالب).

* * *

* **الخليل**: من يخالُك، **والحبيب** من تخالُه فلا جَرَم ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ الضحى:٥.

* **الخليل**: المُريد، **والحبيب**: المُراد.

* **الخليل**: عطشان، **والحبيب**: ريّان.

* **الخليل** طالب، قال: ﴿..إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الصافات:٩٩، **والحبيب** مطلوب ﴿..أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ..﴾ الاسراء:١.

* **الخليل** قال: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي ..﴾ الشعراء:٨٢، وقيل **للحبيب**: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ..﴾ الفتح:٢.

* **الخليل** قال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي ..﴾ الشعراء:٨٧، **وللحبيب**: ﴿..يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ..﴾ التحريم:٨.

* **الخليل** وسط النار قال: «حسبي الله» **وقيل للحبيب**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ..﴾ الأنفال:٦٤.

* **الخليل** قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ ..﴾ الشعراء:٨٤، وقيل **للحبيب**: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ الشرح:٤.

* **الخليل** قال: ﴿. وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ..﴾ البقرة:١٢٨، **وقيل للحبيب**: ﴿..لِنُرِيَهُۥ..﴾ الاسراء:١.

* **الخليل** قال: ﴿ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الشعراء:٨٥، **وللحبيب** قيل: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ ..﴾ الضحى:٤.

* **الخليل** قال: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى ..﴾ الشعراء:٧٩، **وللحبيب** قيل: ﴿.. أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ..﴾ قريش:٤، لأجْلك.

* **الخليل** لم يطلب لأعدائه الرزق فقال: ﴿..وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ..﴾ البقرة:١٢٦، **والحبيب** صلى الله عليه وآله سخا على الأعداء حتى عُوتب: ﴿..وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ..﴾ الاسراء:٢٩.

* **الخليل** قال: «أقسم بالله» و﴿.. وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ..﴾ الأنبياء:٥٧، وأقسم الله **بالحبيب**: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ ..﴾ الحجر:٧٢.

* **للخليل** قال سبحانه: ﴿..أَوَلَمْ تُؤْمِن ..﴾ البقرة:٢٦٠، **وللحبيب** قال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ .. ﴾ البقرة:٢٨٥.

* أمر الله سبحانه باتّخاذ مَقام **الخليل** قبلة: ﴿..وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ..﴾ البقرة:١٢٥، وجعل الله تعالى أحوال **الحبيب** وأفعاله وأقواله قبلة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ .. ﴾ الأحزاب:٢١.

* **الخليل** طلب ابتداء الوصلة: ﴿..قَالَ هَٰذَا رَبِّي ..﴾الأنعام:٧٦، **والحبيب** طلب بقاء الوصلة: ﴿..وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ يونس:٧٢، والبقاء أفضل من الابتداء.

* **الخليل** عليه السلام كسر أصنام قوم بالخفية غضباً لله، **والحبيب** كسر عن الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً.

* **الخليل** قال ﴿.. وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم:٣٥، **وللحبيب** قيل: ﴿..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ..﴾ الأحزاب:٣٣.

.. كما صلّيتَ
على إبراهيمَ وآلِ إبراهيم

إعداد: محمد العبدالله

اتّفق المسلمون على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد نهى عن الصلاة «البتراء»؛ أي التي لا يُذكر فيها «آل محمّد» صلى الله عليه وآله. واتّفقوا على أنّ أفضل صِيَغ الصلاة على النبيّ وآله: «أللّهمّ صلِّ على مُحمّد وآل مُحمّد، كما صلّيتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيم، وبارك على محمّدٍ وآلِ محمّد كما باركتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيم، إنّك حميدٌ مجيد».

* إشكالٌ مشهور

* قال الشيخ البهائي قُدّس سرّه:

«ثمّ في تشبيه الصلاة على نبيّنا صلّى الله عليه وآله مع المعطوفات الثلاث بالصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم مع المعطوفات إشكالٌ مشهور؛ هو أنّ المُشبَّه به ينبغي أن يكون أقوى وأشدَّ من المشبَّه، والأمر هنا بالعكس، فإنّ درجة نبيّنا صلّى الله عليه وآله لا ريب أنّها أعظم من درجة إبراهيم عليه السلام، فالصلاة عليه صلّى الله عليه وآله أقوى وأكمل وأتمّ وأكثر من الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم سلام الله عليهم».

وقد أورد الشيخ البهائي سبعة أجوبة، على هذا الإشكال، فقال قدّس سرّه في (مفتاح الفلاح):

١- وينبغي إذا قلت ذلك: [أي.. كما صلّيت إلخ] أن تلاحظ أنّه صلّى الله عليه وآله من جملة آل إبراهيم، فالصلاةُ عليه حاصلةٌ أوّلاً في ضمن الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم، ويكون الغَرض من التشبيه أن يختصّ نبيُّنا وآله صلوات الله عليهم بصلاة أخرى، على حِدة، مماثلة للصلاة التي عمّتهم مع غيرهم "..".

٢- وقد يُوجَّه هذا التشبيه [أي قد يُفسَّر: كما صلّيت إلخ] تارةً بأنّ الصلاة على إبراهيم من حيث الأقدميّة أقوى [لِتَراكُم ثوابها عبر الأقدميّة] وهو كافٍ في التشبيه. ويُضعَّف [هذا الجواب] بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**كنتُ نبيّاً وآدمُ بين الماء والطين**».

٣- ".." وأخرى بأن المشبّه إنّما هو الصلاة على الآل وحدهم. ويضعَّفُ بأنّه خلافُ المتبادر إلى الأفهام. كيف وسؤالُهم إنّما هو عن كيفيّة الصلاة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم [يقصد: جاء قول النبيّ: ..كما صلّيت.. في جواب مَن سأله: كيف نصلّي عليك؟].

أضاف الشيخ البهائي عليه الرحمة: وقد يُوجَّه هذا التشبيه بتوجيهاتٍ أُخرى، ذكرنا بعضها في بحث التشهّد من كتاب (الحبل المتين).

وقال في (الحبل المتين):

٤- وقد يُجاب بأنّ أَشَديّة المشبَّه به أغلبيّتُه، وليست أمراً لازماً، بل قد يتحقّق التشبيه بدونها، كما يقول أحدُ الأخوين لأبيه: أعطني ديناراً كما أعطيتَ أخي ديناراً. وقد يُعدُّ منه قوله تعالى: ﴿..كُتِب عليكم الصيام كما كُتب على الذين مِن قَبلكم..﴾، [أي ليست الأشديّة في المشبّه به لازمة، فقد لا تكون موجودة، ويتحقّق التشبيه ويقع صحيحاً، كما في المثالين].

٥- أو [يُجاب]: بأنّ الأشديّة حاصلة، ويقرّر ذلك بوجهين:

الأول: أنّه لمّا كان نبيُّنا صلّى الله عليه وآله من جملة آل إبراهيم - كما أنّ جماعة من الأنبياء أيضاً كذلك - كانت الصلاة على نبيّنا وآله صلوات الله عليهم حاصلةً في ضمن الصلاة على آل إبراهيم على الوجه الأكمل الأتمّ والمطلوب، بقولنا: «أللّهمّ إلخ..»، أنْ يُخَصّوا من الله سبحانه بصلاة أخرى على حِدة، مماثلة للصلاة التي عمّتهم وغيرَهم، والصلاة العامّة للكلّ من حيث العموم أقوى من الخاصّة بالبعض.

٦- **الثّاني**: أنّ إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام كان أفضل من

الأنبياء قبله، كانت الصلاة عليه أفضل من الصلاة على جميع مَن قبله، وإذا كانت الصلاة على نبيّنا وآله صلوات الله عليهم مثل تلك الصلاة، فلا جَرَمَ تكون أفضل من الصلاة على جميع مَن قبله من الأنبياء وغيرهم، ومنهم إبراهيم وآله، وأنت خبيرٌ بأنّ هذا الأخير لا يحسم مادة الإشكال إلا إذا ثبتَ أنّ فضل الصلاة (على إبراهيم على مَن قبله أزيد من فضل الصلاة) على نبيّنا صلّى الله عليه وآله على مَن قبله، وإثباتُه مُتعسّرٌ أو متعذّرٌ والله أعلم.

٧- وقد يُجاب بأنّ المُشبّه في قولنا: أللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ كما صليّت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّما هو الصلاة على آل محمد، فقولُنا: أللّهمّ صلِّ على محمّد (وآل محمد) كلامٌ تامٌّ غيرُ متّصلٍ بما بعدَه، وقولُنا: وآل محمد كما صلّيتَ، كلمةُ ابتداء كلام، وهذا الجواب مع ما فيه من التكلُّف لا يجري في العبارة التي نحن فيها إلا مع تكلُّفٍ آخر لتوسُّط الجُمل المتعاطفة والله أعلم. انتهى

* والجواب الثامن الذي يُضاف هنا، ولعلّه يقدّم الجواب الشافي على هذا الإشكال، هو التالي:

إنّ الأشديّة القائمة في المشبّه به ليست في فضل النبيّ إبراهيم على سيّد النبيّين، ولا في فضل الآل على الآل، بل هي أشديّة ناشئةٌ من عدم الفصل بين إبراهيم وآل إبراهيم، كما حاول كثيرون أن يفصلوا بين محمد وآل محمد، فهي أَشديّةُ اقترانٍ وتلازمٍ، وعدمِ فصل.

وبهذا يتّضحُ أنّ قوله صلّى الله عليه وآله: «**قولوا أللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّد كما صلّيت على إبراهيمَ وآلِ إبراهيم**»، هو - في بعض دلالاته - بمعنى: «**لا تُصلُّوا عليَّ الصلاةَ البتراء**».

من دروس «المركز الإسلاميّ»

مبدأ الظهور وغايته

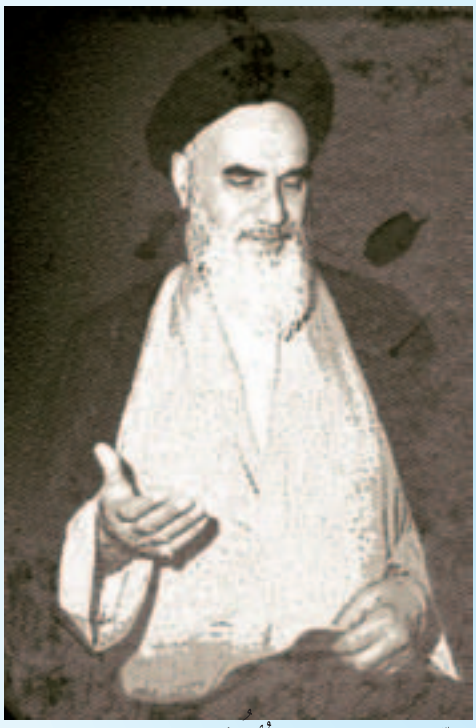

صلاةٌ على رسول الله صلى الله عليه وآله، وآله المعصومين، لاسيّما بقيّة الله في الأرضين، كما وردت في إجازة فلسفية كتبها الإمام الراحل روح الله الخميني قدّس سرّه لبعض طلابه،عام ١٣٥٧هجري قمري. قال رحمه الله تعالى:

«. . وصلِّ اللّهمّ على مبدأ الظهور وغايته، وصورة أصل النور ومادّته، الهيولى الأولى، والبرزخ (الأكبر)، الذي دنا فرفض التعينات، فتدلّى فكان قاب قوسَي الوجود، وتمام دائرة الغيب والشهود أو أدنى، الذي هو مقام العماء - بل لا مقام هنا على الرأي الأسنى - وعلى آله مفاتيح الظهور، ومصابيح النور، بل نورٌ على نور، غصنُ الشجرة المباركة، الزيتونة و(سدرة) المنتهى وأصلها، وجنس الكون الجامع، والحقيقة الكليّة وفصلها، سيّما خاتم الولاية المحمديّة ومقبض فيوضات الأحمديّة، الذي يظهر بالربوبية، بعدما ظهر آباؤه عليهم السلام بالعبودية، فإنّ العبودية جوهرةٌ كُنْهُها الربوبيّة، خليفة الله في المُلك والمَلكوت، وإمام أئمة قُطّانِ الجبروت، جامع أحديّة الأسماء الإلهية، ومظهر تجليّات الأوليّة والآخريّة، الحجّة الغائب المنتظر، ونتيجة من سلف وغبر، أرواحنا له الفداء، وجعلنا الله من أنصاره».

"شعائر"

دروس عمليّة

من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله

تنسيق: طالب صلاح

* تنظيم الوقت

سأل الإمام الحسين أباه أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: «**كان إذا أوى إلى منزله جَزَّأَ دُخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه. ثمّ جزّأ جزءه بينه وبين الناس، ويقول: لِيُبلِّغ الشاهدُ الغائب، وأبلغوني حاجة مَن لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنّه مَن أبلغ سلطاناً حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها إيّاه، ثَبَّتَ اللهُ قدميْه يوم القيامة**».

* معاملة الناس

- وكان يَخزن لسانه إلّا ممّا يعنيهم ويؤلّفهم ولا يُفرّقهم، أو قال يُنفِّرهم.
- ويُكرم كريم كلّ قوم، ويُوَلِّيه عليهم.
- ويُحذِّر الناس ويَحترِس منهم، من غير أن يَطوي عن أحدٍ بِشره ولا خُلُقه.
- ويتفقَّد أصحابه، ويسأل الناس عمّا فيه الناس، ويُحسِّن الحُسن ويُقوِّيه، ويُقبِّح القبيح ويوهِنُه.
- أفضلُ الناس عنده أعمّهم نصيحة.
- وأعظمُهم عنده منزلةً أحسنُهم مواساةً ومؤازرة.

* مع الجلساء

- يُعطي كلّ واحد من جلسائه نصيبَه، حتّى لا يحسب جليسُه أنّ أحداً أكرم عليه منه. مَن جالسه أو قاوَمَه في حاجةٍ صَابَرَهُ، حتّى يكون هو المنصرف عنه. ومَن سأله حاجة لم يردّه إلا بها، أو بميسورٍ من القول.
- قد وَسِع الناس منه بَسْطهُ وخُلُقهُ، فصار لهم أباً وصاروا في الحقّ عنده سواء.
- مجلسه مجلس حِلمٍ وحياء وصبر وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تُؤبَّن فيه الحُرَم [أي لا يُعاب الناس في مجلسه ولا تُنتهك الحرمات فيه]، ولا تُثْنَى فلتاتُه [إنْ بَدَرَ من شخصٍ ما لا ينبغي، فلا يتكرّر].
- يُوقِّرون فيه الكبير، ويَرحمون الصغير، ويُؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.
- وكان دائم البِشْر، سهلَ الخُلُق، لَيِّنَ الجانب، ليس بِفَظٍّ ولا غليظٍ، ولا صخَّابٍ ولا فحَّاشٍ ولا عيّابٍ.
- قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يَذمّ أحداً، ولا يُعيِّره، ولا يطلب عورته.

وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله بالهُدى ودين الحقّ، ارتضاه لذلك، وكان أهلَه، واصطفاه لتبليغ رسالته، وجعلَه رحمةً منه على خَلْقه، فكان كعلمه فيه رؤوفاً رحيماً. أكرمُ خلقِ الله حَسَباً، وأجملُهم مَنظراً، وأسخاهم نفساً، وأبرُّهم لوالد، وأوصلُهم لِرَحِم، وأفضلُهم علماً، وأثقلُهم حِلماً، وأوفاهم لِعَهد، وآمنُهم على عَقد. لم يتعلَّق عليه مُسلمٌ ولا كافرٌ بمَظلمة قطّ، بل كان يُظلَم فيَغفِر، ويقدِرُ فيَصفَح، حتّى مضى صلّى الله عليه وآله وسلّم مُطيعاً لله صابراً على ما أصابَه، مجاهداً في الله حقَّ جهاده، حتّى أتاه اليقين، صلى الله عليه وآله، فكان ذهابُه أعظمَ المصيبةِ على أهل الأرض: البرّ والفاجر...

* وقت الصلاة:

قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحدّثنا ونُحدِّثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا، ولم نعرفه.

* الركوع:

عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: «**إذا ركعتَ فَضع كفَّيك على ركبتيك، وابسط ظهرك، ولا تُقنع رأسك ولا تُصوِّبه**» (**ولا تَمِله**)، **وقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ركع، لو صُبَّ على ظهره ماءٌ لاستقرّ**».

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**فإذا ركعتَ فمُدَّ ظهرك ولا تنكس رأسك** – إلى أنْ قال – **ويكون نظرُك في وقت القراءة إلى موضع سجودك، وفي وقت الركوع بين رِجليك**».

* التبرّك بفضل وضوئه:

عن جابر بن عبد الله قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله في قبة من أدم (جِلد)، ورأيتُ بلالاً الحبشيّ وقد خرج مَن عنده ومعه فضل

وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله، فابتدره الناس، فمَن أصاب منه شيئاً تمسّح به وجهه، ومن لم يُصِب منه شيئاً، أخذ من يدي صاحبه فمسح به وجهه».

قال الشيخ الحرّ العاملي قدّس سرّه: وكذلك فُعل بفضل وضوء أمير المؤمنين عليه السلام.

* التواضع لله في كلّ شيء:

سُئل الإمام الصادق عليه السلام: هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل متّكئاً على يمينه وعلى يساره؟ فقال: «**ما أكل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله متّكِئاً على يمينه ولا على شماله، ولكن كان يجلس جلسة العبد**، قلتُ ولِمَ ذاك؟ قال: **تواضعاً لله عزّ وجلّ**».

* صوم الإثنين والخميس:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم الإثنين والخميس، فقيل له: لِمَ ذلك؟ فقال صلّى الله عليه وآله: «**إنّ الأعمال تُرفع في كلّ اثنين وخميس، فأُحِبُّ أن يُرفع عملي وأنا صائم**».

* الهديّة:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يأكل الهديّة، ولا يأكل الصدقة، ويقول: تهادوا، فإنّ الهديّة تسلّ السخائم، وتُجلي ضغائن العداوة والأحقاد**».

دعاؤه لطلب الحاجة

* «يا مَنْ أظهَرَ الجَميلَ وسَتَرَ القَبيحَ، يا مَن لَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ ولم يُؤاخِذْ بالجريرة، يا عظيمَ العفوِ، يا حَسَنَ التَّجاوُزِ، يا واسعَ المَغفرةِ، يا بَاسِطَ اليَدينِ بالرحمةِ، يا صاحِبَ كُلِّ نَجْوى ومُنْتَهى كُلِّ شَكوى، يا مُقيلَ العَثَراتِ، يا كَريمَ الصَّفْحِ، يا عَظيمَ المَنِّ، يا مُبْتَدِئاً بالنِّعَمِ قبل استحقاقِها، يا ربَّاهُ يا سيِّداهُ يا أمَلاهُ يا غايةَ رَغبَتاهُ، أسألُكَ بك يا الله أن لا تشوِّهَ خَلْقي بالنَّار، وأن تَقضي لي حَوائِجَ آخِرتي ودُنياي وتَفعل بي كذا وكذا . . وتُصلّي على محمّدٍ وآل محمّدٍ . وتدعو بِما بدا لك».

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «**جاء رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّي ذو عِيال، وعليَّ دَيْنٌ وقد اشتدّت حالي، فعلِّمني دعاءً أدعو الله عزّ وجلّ به ليرزقني ما أقضي به دَيْني، وأستعين به على عِيالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبد الله، توضّأ وأَسْبِغ وضوءك، ثمّ صَلِّ ركعتين تُتِمّ الركوع والسجود، ثمّ قل: يا ماجِدُ يا واحدُ يا كريمُ يا دائمُ، أَتوجَّه إليكَ بِمُحمّدٍ نبيّك نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله، يا مُحمّدُ يا رسولَ الله، إنّي أتوجّه بك إلى الله ربّك وربّي وربّ كلّ شيء، أن تُصلّي على مُحمّدٍ وأهلِ بيتِه، وأسألُك نفحةً كريمةً من نَفَحاتِك، وفَتْحاً يسيراً، ورِزقاً واسعاً أَلُمُّ به شَعْثِي، وأقضي به دَيْني، وأستعينُ به على عيالي**» (الكافي:٢/ ٥٥٢).

* لوسوسة الصدر والفقر:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، قد لقيتُ شِدَّة من وسوسة الصدر، وأنا رجل مَدين مُعيل مُحوج، فقال له: كرّر هذه الكلمات: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، توكّلتُ على الحيّ الذي لا يموت، والحمدُ لله الذي لم يتّخذ صاحبةً ولا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً، فلم يلبث أنْ جاءه فقال: أَذْهَبَ الله عنّي وسوسة صدري، وقضى عنّي ديني، ووسّع عليَّ رزقي**» (الكافي:٢/ ٥٥٤).

* لتسكين الوجع:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، كان ينشر (يَرقي) بهذا الدعاء: تضع يدك على موضع الوجع وتقول: أيُّها الوجع أُسكن بسكينة الله، وقَرَّ بوقار الله، وانْحَجِز بحاجز الله، واهدَأ بهداء الله، أُعيذك أيُّها الإنسانُ بِما أعاذ اللهُ عزَّ وجلَّ به عرشَه وملائكَتَه، يوم الرَّجفةِ والزَّلازِل. تقول ذلك سبع مرات ولا أقلّ من الثلاث**» (الكافي:٢/ ٥٦٧).

ماذا نعرف عن
الإمام الصادق عليه السلام؟

المرجع الديني الشيخ وحيد الخراساني

في السابع عشر من ربيع الأول ذكرى ولادة الإمام الصادق عليه السلام، ولاقتران هذه الذكرى بذكرى ولادة رسول الله صلّى الله عليه وآله، كانت «شعائر» قد أفردت في العدد الخامس، ملفّاً خاصاً عن الإمام الصادق عليه السلام، ليكون ملف ربيع الأول حول ذكرى ولادة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله. ما يلي مقتطفٌ ممّا ورد في كتاب (الحق المبين) للمرجع الدينيّ الشيخ وحيد الخراساني دام ظلّه، نقله إلى العربية، سماحة العلامة الشيخ علي الكوراني.

نتخيّل أنّنا نعرف الكثير عن الإمام الصادق عليه السلام مع أنّ تصوّر حياته وظروفه مشكِل، فكيف بمعايشتها ؟!

عاش الإمام محاطاً بظروف اضطهاد شديدة من دولة بني أمية، ثم من دولة بني العباس! وكان أبو العباس السفاح عدواً شديداً لأهل البيت عليهم السلام مع أنه كان يُعظِّم الإمام الباقر عليه السلام، ويعترف بفضله عليه! وهذا نموذج من التشديد والرقابة التي كان يعيش فيها الإمام عليه السلام، فقد كان السفاح ومَن بعده يُحضرونه إلى الحيرة – وكانت عاصمتهم قبل بغداد – ويُبقونه مدّة طويلة، ويمنعون الناس من الإتصال به مع أنه في عاصمتهم!

يصف أحد الرواة الأجلاء كيف احتاج إلى مسألة شرعية، فاضطُرّ إلى استعمال الحيلة لكي يصل إلى الإمام الصادق عليه السلام ليسأله عنها. قال هارون بن خارجة: «كان رجلٌ من أصحابنا طلّق امرأته ثلاثاً، فسأل أصحابنا فقالوا: ليس بشيء. فقالت امرأته: لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله عليه السلام وكان بالحيرة إذ ذاك أيّام أبي العباس.

قال: فذهبتُ إلى الحيرة ولم أقدر على كلامه إذ منع الخليفة الناس من الدخول على أبي عبد الله عليه السلام، وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه، فإذا سوادِيٌّ (أي رجلٌ من أهل العراق، وكان العراق يُسمّى السواد) عليه جبّة صوف يبيع خياراً، فقلت له: بكم خيارك هذا كلّه؟ قال: بدرهم، فأعطيتُه درهماً، وقلت له: أعطِني جُبَّتك هذه، فأخذتُها ولبستُها وناديت: من يشتري خياراً؟! ودنوتُ منه، فإذا غلامٌ من ناحية ينادي: يا صاحب الخيار.

فقال عليه السلام لي لمّا دنوتُ منه: ما أجودَ ما احتَلت! أيَّ شيءٍ حاجتُك؟ قلت: إنّي ابتُليتُ فطلّقت أهلي ثلاثاً في دفعة، فسألت أصحابنا، فقالوا ليس بشيء. وإن المرأة قالت لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله عليه السلام، فقال: إرجع إلى أهلك فليس عليك شيء».

في مثل هذه الأجواء كان يعيش الإمام الصادق عليه السلام، وعندما سنحت له فرصة قصيرة ظهر منه من العلوم ما ملأ الآفاق، من بحوث التوحيد ونفي التعطيل والتجسيم والتشبيه، إلى بحوث علم الباري تعالى وقدرته وإرادته ومشيئته، إلى بحث الذات المقدّسة، والصفات والأفعال والأسماء . . إلى مباحث العقل، والمعاد، والنبوّة العامّة والخاصّة، وتاريخ الأنبياء عليهم السلام، ومباحث الاحتجاجات في الإمامة الكبرى وتطبيقها . . إلى المباحث المتعلّقة بالسماء والعالم، مضافاً إلى بحوث الفقه من باب الطهارة إلى الديات، في كلّ أبواب العبادات والمعاملات. ظهر منه في هذه الفترة القصيرة ما ملأ العالم، من أعلى العلوم وأبواب العلم بالله تعالى، إلى أعمقها وأغربها في ذلك الزمن كعلم الكيمياء والإكسير! فكم روى عنه محمد بن مسلم الثقفي في الفقه! وكم روى عنه جابر بن يزيد الجعفي في الغيبيّات! وقال له زرارة ذات يوم: جعلني الله فداك، أسألك في الحجّ منذ أربعين عاما فتُفتيني! فقال: يا زرارة، بيتٌ يُحجُّ قبل آدم عليه السلام بألفي عام، تريد أن تفنى مسائلُه في أربعين عاماً؟

أما جابر بن حيان أبو الكيمياء والجبر فهو تلميذ الإمام الصادق عليه السلام! فأين تعلّم الإمام الكيمياء وأطلق في العالم أصولها حتى صار تلميذُه جابر يعرف في جامعات الغرب باسم أب الكيمياء، ويُقام له تمثال في جامعاتها؟!

لقد اعترف الجميع من العامّة والخاصّة والأجانب، أنّ علم الجبر الذي هو مفتاح استكشاف المجهولات وعلم ما يكون، من إملاء الإمام الصادق عليه السلام على جابر بن حيان!

هذه الموسوعيّة في العلوم التي كانت معروفة في عصره وغير المعروفة، من أين أتى بها الإمام الصادق عليه السلام؟! إنّ الحديث عن

شخصية الإمام الصادق عليه السلام فوق قدرتنا، لأننا لا نستطيع أن نصل إلى فهمه وتعريفه، فما زالت كثيرٌ من أسرار شخصيته غائبة عنا!

والذي يستطيع تعريف الإمام الصادق عليه السلام هو الشخص الأول في العالم جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، الذي بشّر به أمّته قبل زمانه! كانت شخصيّته عليه السلام متميّزة عن كلّ أهل عصره، كما هو الحال في شخصيّات المعصومين عليهم السلام، وكان الإمام محلّ تعظيمٍ وإعجابٍ حتى من أعدائه ومُخالفيه! فقد رووا عن أئمة المذاهب إعجاباً كبيراً به لا يُشبهه إعجابهم بأحد!

قال الصدوق أعلى الله مقامه (عن) مالك بن أنس فقيهِ المدينة: كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد، فيقدّم لي مخدّة ويعرف لي قدراً ويقول: يا مالك إني أُحبّك، فكنت أُسرُّ بذلك وأحمد الله عليه. وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً، وإما قائماً، وإما ذاكراً، وكان من عظماء العُبّاد، وأكابر الزهّاد، الذين يخشون الله عزّ وجلّ، وكان كثير الحديث، طيّب المُجالسة، كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله، اخضرّ مرّةً واصفرّ أخرى، حتى يُنكره من يعرفُه! ولقد حججتُ معه سنةً فلمّا استوت به راحلتُه عند الإحرام، كان كلّما همَّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد يخرُّ من راحلته، فقلت: قل يا ابن رسول الله، فلا بدّ لك من أن تقول. فقال: يا ابن أبي عامر، كيف أجسر أن أقول: لبّيك اللّهمّ لبّيك، وأخشى أن يقول عزّ وجلّ لي: لا لبّيك ولا سَعديك!

«فإذا قال: قال رسول الله، اخضرّ مرّة واصفرّ أخرى»، إنتبهوا لكي نفقه هذه الكلمة لمالك بن أنس، فإنه لا يُمكن أن يحدث هذا التغيُّر في البدن عند ذكر اسم النبيّ صلى الله عليه وآله بدون أن يكون صاحبُه متّصلاً بالملأ الأعلى بروح النبيّ صلى الله عليه وآله، روح الشخص الأوّل في العالم المحيطة بالوجود! فلا بدّ أن يحدث انقلاب في الروح أولاً حتى يحدُث في البدن، وذلك بقانون العلاقة الجدليّة بين الروح والبدن، والتأثير والتأثّر بينهما! لا بدّ أن تكون نفس الإمام الصادق عليه السلام مستغرقة مع النفس العليا لخاتم الرُسل صلى الله عليه وآله في عالم الملكوت، حتى يحدث هذا التحوّل والإنقلاب! «كان كلّما همَّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد يخرّ من راحلته»! والذي يفهم هذا الموقف، هو الذي يفهم معنى قوله عندما كرّر قراءة ﴿إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين﴾، في صلاته فخرَّ مغشيّاً عليه! فسُئل عن ذلك فقال: «ما زلتُ أُردّد الآية حتى سمعتُها من المتكلِّم بها».

إن هذا الاستغراق في عالم الأنوار، فوق تعقّل البشر، بل وفوق تصوّرهم! واسمعوا إلى هذه الشهادة من أبي جعفر المنصور... «قال جعفر بن محمد الأشعث لابن أبي عمير: أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر [ولاية أهل البيت عليهم السلام] ومعرفتنا به، وما كان عندنا فيه ذكرٌ ولا معرفة شيء ممّا عند الناس؟

قال قلت: ما ذاك؟ قال: إنّ أبا جعفر يعني أبا الدوانيق قال لأبي، محمد الأشعث: يا محمد، إبغِ لي رجلاً له عقلٌ يؤدّي عني. فقال له أبي: قد أصبتُه لك، هذا فلان بن مهاجر خالي، قال فأتني به.

قال فأتيتُه بخالي فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر، خذ هذا المال – فأعطاه ألوف دنانير أو ما شاء الله من ذلك – وائتِ المدينة، والقَ عبد الله بن الحسن، وعدّةً من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد، فقل لهم إنّي رجلٌ غريبٌ من أهل خراسان، وبها شيعة من شيعتكم وجّهوا إليكم بهذا المال، فادفع إلى كلّ واحدٍ منهم على هذا الشرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال فقل إني رسولٌ وأحبّ أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم منّي! قال فأخذ المال وأتى المدينة، ثم رجع إلى أبي جعفر، وكان محمد بن الأشعث عنده، فقال أبو جعفر: ما وراءك؟ قال: أتيتُ القوم وفعلتُ ما أمرتني به، وهذه خطوطهم بقبضهم، خلا جعفر بن محمد فإنّي أتيتُه وهو يصلّي في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فجلستُ خلفَه وقلت ينصرف فأذكُرُ له ما ذكرتُ لأصحابه، فعجّل وانصرف، ثم التفت إليّ فقال: يا هذا، اتّقِ الله ولا تغرَّنَّ أهل بيت محمدٍ صلى الله عليه وآله، وقل لصاحبك: اتقِ الله ولا تغرنَّ أهل بيت محمّدٍ فإنّهم قريبو العهد بدولة بني مروان، وكلّهم محتاج! قال فقلت: وماذا أصلحك الله؟! فقال: أَدْنُ منّي، فأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك، حتى كأنه كان ثالثنا! قال، فقال أبو جعفر: يا ابن مهاجر، إعلم أنّه ليس من أهل بيت نبوّة إلا وفيهم محدَّث، وإنّ جعفر بن محمد محدَّث اليوم! فكان هذه دلالة أنّا قلنا بهذا المقالة». هذا الإعتراف من المنصور الدوانيقي أعدى أعداء الإمام عليه السلام، إذعانٌ منه بأن الإمام محدَّث من ربّه! والمحدَّث هو الإنسان ذو الجَنبتين، فهو بين المُلك والمَلكوت، بين الناسوت واللاهوت، بين الغيب والشهادة! فكم هو مظلومٌ الإمام الصادق عليه السلام، من أولئك الجبّارين، ومنّا أيضاً!

من أسرار
الصلاة على محمّد وآل محمّد

* للصلاة على النبيّ وآله صيَغٌ كثيرة جداً، وتُعتبر هذه الصيغة من أبرزها. رواها الشيخ الصدوق عن الإمام الكاظم عليه السلام، وقد جاء في الرواية: من صلّى على النّبيّ بهذه الصّلاة هُدمَتْ ذُنُوبُهُ، وغُفِرَتْ خطاياهُ، ودام سُرورُهُ، واستُجيبَ دُعاؤهُ، وأُعْطِيَ مسؤولَهُ، وبُسِطَ لهُ في رزقه، وأُعينَ على عَدُوِّه، وهُيِّئَ لهُ سَبَبُ أنواعِ الخَيْرِ، ويُجْعَلُ من رُفَقاءِ نَبِيِّهِ في الجِنانِ الأعلى. يقولهنّ ثلاث مرّات غدوة، وثلاث مرّات عشيّة.

***

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ في الأوَّلينَ، وصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ في الآخِرِينَ، وصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ في المَلأِ الأعلَى، وصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ في النَّبِيِّينَ والمُرسَلينَ. أللَّهُمَّ أعْطِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله الوَسِيلَةَ والشَّرَفَ والفَضيلَةَ والدَّرجَةَ الكَبيرةَ. أللَّهُمَّ إنِّي آمَنْتُ بِمُحَمَّدٍ عليْهِ وآلِهِ السَّلامُ وَلَمْ أرَهُ، فَلا تَحْرِمْني يَوْمَ القِيامَةِ رؤْيَتَهُ، وارْزُقْني صُحْبَتَهُ، وتَوَفَّني على مِلَّتِهِ، واسْقِني مِن حَوْضِهِ مَشْرَباً رَوِيّاً لا أظْمَأُ بَعْدَهُ أبداً، إنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ. أللَّهُمَّ كمَا آمَنْتُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَلَمْ أرَهُ، فَعَرِّفْني في الجِنانِ وَجهَهُ. أللَّهُمَّ أَبْلِغْ رُوحَ مُحَمَّدٍ عَنِّي تحيّةً كثيرةً وسَلاماً.

التقرّب إلى آخر أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله

بأداء حقوق الإخوان

الفقيه الميرزا محمد تقي الأصفهاني رحمه الله

يُعدُّ كتاب (مكيالُ المكارم في فوائد الدعاء للقائم) للفقيه الراحل الميرزا محمد تقي الأصفهاني (ت ١٣٤٨ هـ) من الكُتب المرجعيّة في باب العلاقة بالإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، ما يلي بعضُ ما أورده الميرزا الأصفهاني حول أداء حقوق الإخوان.

ممّا يُتقرَّبُ به إليه عجل الله فرجه الشريف، ويسرّه، ويزلف لديه من الأمور المُنتسبَةِ إليه، الاهتمام بأداء حقوق الإخوان فإنّه نُصرةٌ له، وتمسُّكٌ بحبل ولايته، وإدخالُ السرور عليه، والإحسان إليه، وتدلّ عليه طوائف من الروايات:

منها: رواية شريفة رواها زيد النرسي في (أصله) لاشتمالها على فوائد جمّة وأمور مهمّة، قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: نخشى أن لا نكون مؤمنين. قال عليه السلام: «ولِمَ ذاك؟»، فقلت: ذلك أنّا لا نجد فينا مَن يكون أخوه عنده آثر من درهمه وديناره، ونجد الدينار والدرهم آثر عنده من أخٍ قد جمعَ بيننا وبينه موالاةُ أمير المؤمنين عليه السلام.

قال عليه السلام: «كلّا، إنّكم مؤمنون، ولكنْ لا تُكملون إيمانكم حتى يخرج قائمُنا، فعندها يجمع الله أحلامَكم فتكونون مؤمنين كاملين، ولو لم يكن في الأرض مؤمنون كاملون إذاً لَرَفَعَنا اللهُ إليه، وأنكرتُم الأرضَ وأنكرتُم السماء. بل والذي نفسي بيده إنّ في الأرض في أطرافها مؤمنين، ما قدْرُ الدنيا كلُّها عندهم تعدلُ جناح بعوضة، ولو أنّ الدنيا بجميع ما فيها وعليها ذهبةٌ حمراء على عُنُق أحدهم، ثمّ سقط عن عُنُقه، ما شعر بها أيّ شيء كان على عُنُقه، ولا أيّ شيء سقط منها لهوانها عليهم، فهمُ الخفيُّ عيشُهم، المنتقلةُ ديارُهم من أرضٍ إلى أرض، الخميصةُ بطونُهم من الصيام، الذَبِلة شفاهُهم من التسبيح، العُمشُ العيون من البكاء، الصفرُ الوجوه من السهر، فذلك سيماهم مثلاً ضربه الله في الإنجيل لهم، وفي التوراة، والقرآن، والزبور، والصُحف الأولى، وصفهم فقال: ﴿.. سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ ..﴾ الفتح:٢٩، عنى بذلك صُفرةَ وجوههم من سهر الليل، هم البَررة بالإخوان في حال اليُسر والعُسر، المُؤثرون على أنفسهم في حال العُسر، كذلك وصفهم الله فقال: ﴿..وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر:٩، فازوا والله وأفلحوا، إنْ رأوا مؤمناً أكرموه، وإنْ رأوا منافقاً هجروه، وإذا جنَّهم الليل اتّخذوا أرض الله فراشاً، والترابَ وساداً، واستقبلوا بجباههم الأرضَ يتضرّعون إلى ربّهم في فَكاك رقابهم من النار، فإذا أصبحوا اختلطوا بالناس لم يُشَر إليهم بالأصابع، تنكّبوا الطُرق واتّخذوا الماء طيباً وطهوراً، أنفسُهم متعوبةٌ وأبدانُهم مكدورة، والناس منهم في راحة، فهم عند الناس شرارُ الخلق، وعند الله خيار الخلق، إنْ حدَّثوا لم يُصدَّقوا، وإنْ خطبوا لم يُزوَّجوا، وإنْ شَهدوا لم يُعرفوا، وإنْ غابوا لم يُفقدوا، قلوبهُم خائفةٌ وَجِلَةٌ من الله، ألسنتُهم مسجونة، وصدورهم وعاءٌ لسرّ الله، إنْ وجدوا له أهلاً نبذوه إليه نبذاً، وإنْ لم يجدوا أهلاً ألقوا على ألسنتهم أقفالاً غيّبوا مفاتيحها وجعلوا على أفواههم أوكية. صُلبٌ صِلاب، أصلبُ من الجبال، لا يُنحت منهم شيء، خُزّان العِلم ومعدنُ الحلم والحكَم، وأتباع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، أكياسٌ يحسَبُهم المنافقُ خُرَساء عُميَاء بُلَهاء، وما بالقوم من خَرَسٍ ولا عمىً ولا بَلَه، إنّهم لأكياسُ فصحاءُ حلماءُ حكماءُ، أتقياءُ بَرَرَة، صفوةُ الله، أسكتَتْهُم الخَشيةُ لله، وأَعْيَتْهُم ألسنتُهم خوفاً من الله وكتماناً لسرّ الله. فوا شوقاه إلى مُجالستهم ومُحادثتهم، ويا كَرْباه لِفَقدِهم، ويا كشفَ كرباه لمُجالستهم، اطلبوهم، فإنْ وجدتموهم واقتبستم من نورهم اهتديتُم، وفزتُم بهم في الدنيا والآخرة، هم أعزُّ في الناس من الكبريت الأحمر، حِليتُهم طولُ السكوت بكتمان السرّ، والصلاة، والزكاة، والحجّ، والصوم، والمواساة للإخوان في حال اليُسر والعُسر، فذلك حليتُهم ومحبّتهم، يا طوبى لهم وحسن مآب، هم وارثو الفردوس خالدين فيها، ومَثلهم في أهل الجنان مَثَلُ الفردوس في الجنان، وهم المطلوبون في النار، المحبورون في الجنان، فذلك قول أهل النار: ﴿..مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ ص:٦٢، فهم أشرار الخلق عندهم، فيرفع الله منازلهم حتى يروهم، فيكون ذلك حسرةً لهم في النار، فيقولون يا ليتنا نُردّ فنكون مثلهم، فلقد كانوا هم الأخيار، وكنّا نحن الأشرار، فذلك حسرةٌ لأهل النار».

من أدعية
النبيّ صلّى الله عليه وآله

دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله بعد عودته من الطائف

اللّهمّ إنّي أشكو إليك ضعفَ قوّتي وهَواني على الناس، أنتَ أرحمُ الرّاحمين، إلى مَن تكلُني، إلى عدوٍّ يَتجهّمني، أم إلى قريبٍ مَلّكتَهُ أمري، إنْ لم تكن غضباناً عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتَك أوسعُ لي. أعوذُ بوجهك الذي أشرَقَتْ له الظلماتُ وصَلُحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة أنْ يَنزلَ بي غضبُك أو يَحلَّ بي سَخَطُك، لك العُتبى حتّى ترضى، ولا قوّة إلّا بالله.

دعاؤه صلى الله عليه وآله يوم بدر

اللّهمّ أنتَ ثقتي في كلِّ كَرْب، وأنتَ رَجائي في كلِّ شدّة، وأنت لي في كلِّ أمرٍ نَزَلَ بي ثِقَةٌ وعُدَّةٌ، كَمْ من كَرْبٍ يَضعُفُ عنهُ الفؤادُ، وتقِلُّ فيه الحيلةُ ويَخْذُلُ فيه القريبُ، ويَشْمَتُ به العَدُوُّ وتُعييني فيه الأمورُ، أنزَلْتُهُ بك وشكَوْتُهُ إليك، راغبًا فيه إليك عَمَّن سِواك، ففَرَّجْتَهُ وكَشَفْتَهُ عنّي وكَفَيْتَنيه، فأنتَ وليُّ كلِّ نعمة، وصاحبُ كلِّ حاجَة، ومُنْتهى كلِّ رَغبة، فَلَكَ الحَمْدُ كثيراً ولكَ المَنُّ فاضلاً.

دعاؤه صلى الله عليه وآله يوم أُحُد

لمّا تفرّق الناس عن النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحُد قال: اللّهمّ لكَ الحَمْدُ، وإليكَ المُشتَكى، وأنتَ المُستَعانُ. فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمّد، لقد دعوتَ بدعاء إبراهيم حين أُلقيَ في النار، ودعا به يونس حين صار في بطن الحوت.

دعاؤه صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب

يا صَريخَ المَكروبين، ومُجيبَ دَعوة المُضطَرين، ومُفَرِّجاً عن المَغمومين، إكشِفْ عنّي هَمّي وغَمّي وكَرْبي، فَقَدْ تَرى حالي وحالَ أصحابي، اللّهمّ ارزُقْني الصلاةَ والصَّومَ والحجَّ والعُمْرَةَ، وصِلةَ الرَّحِم، وعَظِّمْ رزقي ورزقَ أهلِ بَيْتي في عافية. اللّهمّ أنتَ اللهُ قبلَ كلِّ شيءٍ، وأنتَ اللهُ بعدَ كلِّ شيءٍ، وأنتَ اللهُ تَبقى ويَفْنى كلُّ شيءٍ، إلهي أنتَ الحليمُ الذي لا يَجْهل، وأنتَ الجوادُ الذي لا يَبْخَل، وأنتَ العَدْلُ الذي لا يَظلِمُ، وأنتَ الحكيمُ الذي لا يَجُورُ، وأنتَ المَنيعُ الذي لا يُرامُ، وأنتَ العزيزُ الذي لا يُستَذَلُّ، وأنتَ الرفيعُ الذي لا يُرَى، وأنتَ الدائمُ الذي لا يَفنَى، وأنتَ الذي أحَطْتَ بكلِّ شيءٍ علماً، وأحصَيْتَ كلَّ شيءٍ عدداً، أنتَ البَديعُ قبلَ كلِّ شيءٍ، والباقي بعدَ كلِّ شيءٍ، خالقُ ما يُرَى وخالقُ ما لا يُرَى، عالِمُ كلِّ شيءٍ بغيرِ تعليم، وأنتَ الذي تُعطي الغَلَبَةَ مَنْ شِئْتَ، تُهلِكُ مُلوكاً وتُمَلِّكُ آخَرينَ، بيَدِكَ الخَيْرُ وأنتَ على كلِّ شيءٍ قَديرٌ، أنتَ مولانا فانْصُرْنا على القَوم الكافرينَ، وأدْخِلْنا برَحمَتِكَ في عِبادِكَ الصالحينَ، واخْتِمْ لي بالسَعادَة، واجْعَلني مِن عُتَقائِكَ وطُلَقائِكَ من النار، آمينَ ربَّ العالَمينَ.

دعاؤه صلى الله عليه وآله يوم حُنين

ربِّ كُنْتَ وتكونُ حيّاً لا تَموتُ، تَنامُ العُيونُ، وتَنْكَدِرُ النُّجُومُ، وأنتَ حيٌّ قَيُّومٌ لا تَأخُذُكَ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ.

دعاؤه صلى الله عليه وآله في الصباح والمساء

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم، بسم الله خَيْرِ الأسماء، بسم الله ربِّ الأرْض والسماء، بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه سَمٌّ ولا داءٌ، بسم الله أصْبَحْتُ وعلى الله تَوَكَّلْتُ، بسم الله على قلبي ونَفسي، بسم الله على ديني وعَقلي، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على ما أعْطاني ربّي، بسم الله الذي لا يَضُرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميعُ العليمُ. اللهُ اللهُ ربّي حَقّاً لا أُشرِكُ به شيئاً، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أعزُّ وأجَلُّ مِمّا أخافُ وأحْذَرُ، عزّ جارُكَ وجَلَّ ثناؤكَ وتَقدّسَتْ أسْماؤكَ ولا إلهَ غيرُكَ. اللّهمّ إنّي أعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ نَفسي، ومن شَرِّ كلِّ سُلطانٍ شَديد، ومن شَرِّ كلِّ شَيطانٍ مَريد، ومن شَرِّ كلِّ جَبّارٍ عَنيد، ومن شَرِّ قَضاءِ السُّوء، ومن شَرِّ كلِّ دابّةٍ أنتَ آخِذٌ بناصيَتِها إنّكَ على صِراطٍ مُستَقيم، وأنتَ على كلِّ شيءٍ حَفيظٌ. إنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الذي نَزّلَ الكتابَ وهُوَ يَتولّى الصّالحينَ، فإنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إلهَ إلّا هُوَ عليه تَوَكَّلْتُ وهُوَ ربُّ العَرْشِ العَظيم.

(وهو ممّا يُدعى به في المساء أيضاً بإبدال لفظ أصبحْتُ بلفظ أمسيْتُ).

مستحبّات السجود

إعداد: الشيخ علي المسترشد

«ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود، ولو كان في العمر مرّة واحدة، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبيهاً بمخادع نفسه، غافلاً لاهياً عمّا أعدّه الله للساجدين من أُنس العاجل وراحة الآجل. ولا بَعُدَ عن الله أبداً من أحسنَ تقرّبه في السجود، ولا قَرُب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته، بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده».

الإمام الصادق عليه السلام

***

مستحبّات السجود، أمور:

الأوّل: يُستحبُّ التكبير للسجود حال الانتصاب من الركوع قائماً أو قاعداً. **الثاني**: رفع اليدين حال التكبير.

الثالث: السبق باليدين إلى الأرض عند الهويّ إلى السجود. (للرجال). **الرابع**: استيعاب الجبهة على ما يصحّ السجود عليه، بل استيعاب جميع المساجد. **الخامس**: الإرغام بالأنف، وهو وضع الأنف على ما يصحّ السجود عليه. **السادس**: بسطُ اليدين مضمومتَيْ الأصابع حتى الإبهام حذاء الأُذنين، متوجّهاً بهما إلى القبلة.

السابع: شغل النظر إلى طرف الأنف حال السجود.

الثامن: الدعاء قبل الشروع في الذكر: «أللّهمّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكّلت، وأنت ربّي، سجد وجهي للذي خَلَقَه، وشقّ سمعَه وبصرَه، والحمد لله ربِّ العالمين، تبارك الله أحسن الخالقين». **التاسع**: تكرار الذكر. **العاشر**: الختم على الوتر.

الحادي عشر: اختيار التسبيح من الذكر، والكبرى من التسبيح «سبحان ربّي الأعلى وبحمده»، وتثليثها أو تخميسها أو تسبيعها، وهو الأحوط عند بعض الفقهاء.

الثاني عشر: أن يسجد على الأرض بل التراب، دون مثل الحجر والخشب.

* **ملاحظة**: أفضل ما يُسجد عليه هو التربة الحسينيّة، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحُجُب السبع**»، وعنه عليه السلام: «**السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينوّر إلى الأرضين السبعة**». والسجود على الأرض أفضل من السجود على النبات، ولعلّ السجود على تراب الأرض أفضل من السجود على الحجر.

الثالث عشر: مساواة موضع الجبهة مع الموقف، بل مساواة جميع المساجد. **الرابع عشر**: الدعاء في السجود أو السجود الأخير بما يريد من حاجات الدنيا والآخرة، وخصوص طلب الرزق الحلال بأن يقول: «يا خير المسؤولين، ويا خير المُعطين، ارزُقني وارزقْ عيالي من فضلك فإنّك ذو الفضل العظيم».

الخامس عشر: التورُّك في الجلوس بين السجدتين وبعدهما، أي: يجلس على فخذه الأيسر جاعلاً ظهر القدم اليمنى في بطن اليسرى.

السادس عشر: أن يقول في الجلوس بين السجدتين: «أستغفر الله ربّي وأتوب إليه».

السابع عشر: التكبير بعد الرفع من السجدة الأُولى بعد الجلوس مطمئناً، والتكبير للسجدة الثانية وهو قاعد. **الثامن عشر**: التكبير بعد الرفع من الثانية كذلك. **التاسع عشر**: رفع اليدين حال التكبيرات. **العشرون**: وضع اليدين على الفخذين حال الجلوس اليمنى على اليمنى، واليُسرى على اليسرى.

الحادي والعشرون: التجافي حال السجود، بمعنى رفع البطن عن الأرض. (للرجال). **الثاني والعشرون**: التجنّح، بمعنى تجافي الأعضاء حال السجود بأن يرفع مرفقيه عن الأرض مفرجاً بين عضديه وجنبيه، ومبعداً يديه عن بدنه جاعلاً يديه كالجناحين. (للرجال). **الثالث والعشرون**: أن يصلّي على النبيّ وآله في السجدتين. **الرابع والعشرون**: أن يقوم سابقاً برفع ركبتيه قبل يديه. (للرجال). **الخامس والعشرون**: أن يقول بين السجدتين: «أللّهمّ اغفر لي وارحمني وأجِرني وادفع عنّي، فإنّي لِما أنزلتَ إليّ من خيرٍ فقير، تبارك الله ربّ العالمين».

السادس والعشرون: أن يقول عند النهوض للقيام: «بحول الله وقوّته أقوم وأقعد»، أو: «أللّهمّ بحولك وقوّتك أقوم وأقعد».

السابع والعشرون: أن لا يعجن بيديه عند إرادة النهوض، أي لا يقبضهما بل يبسطهما على الأرض معتمداً عليهما للنهوض.

الثامن والعشرون: إطالة السجود والإكثار فيه من التسبيح والذكر.

التاسع والعشرون: مباشرة الأرض بالكفّين، أي وضع الكفّين على الأرض لا على البساط أو السجاد.

الثلاثون: زيادة تمكين الجبهة وسائر المساجد في السجود.

فاذكُروني .. أذكرْكم

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «قال الله سبحانه: إذا علمتُ أنّ الغالب على عبدي الاشتغال بي، نقلتُ شهوتَه في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك وأراد أن يسهو، حلْتُ بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقّاً، أولئك الأبطال حقّاً، أولئك الذين إذا أردتُ أن أُهلك أهل الأرض بعقوبة، زويتُها عنهم من أجل أولئك الأبطال».

أوردَ هذا الحديث القدسيّ، العلّامة الطباطبائي في (تفسير الميزان)، في معرض تفسير الآية المباركة: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة:١٥٢.

تُقدّم «شعائر» في ما يلي، بعض ما أكّد عليه قدّس سرّه، حول «ذكر الله تعالى».

هذه دعوةٌ منه سبحانه للنبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين، إلى ذِكره وشُكره، ليُذكّرهم بنعمته على ذكرهم إيّاه بعبوديّته وطاعته، ويزيدهم على شكرهم لنعمته وعدم كفرانهم، وقد قال تعالى: ﴿..وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ الكهف:٢٤، وقال:﴿..لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ..﴾ إبراهيم:٧.

ثم إنّ الذكر ربّما قابل الغفلة، كقوله تعالى: ﴿..وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ..﴾ الكهف:٢٨، والغفلة انتفاء العلم بالعلم، مع وجود أصل العلم، فالذكر خلافُه، وهو العلم بالعلم.

وربّما قابل النسيان، وهو زوال صورة العلم عن خزانة الذهن، فالذكر خلافه، ومنه قوله تعالى: ﴿..وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ..﴾ الكهف:٢٤، وهو حينئذٍ كالنسيان معنىً، ذو آثار وخواصّ تتفرّع عليه، ولذلك ربّما أُطلق الذكر كالنسيان في موارد تتحقّق فيها آثارهما وإن لم تتحقّق أنفسهما، فإنّك إذا لم تنصُر صديقك - وأنت تعلم حاجته إلى نصرك - فقد نسيته، والحال أنّك تذكره، وكذلك الذِكر. والظاهر أنّ إطلاق الذكر على الذكر اللفظيّ من هذا القبيل، فإنّ التكلّم عن الشيء من آثار ذكره قلباً، قال تعالى: ﴿.. قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف:٨٣، ونظائره كثيرة. ولو كان الذكر اللفظيّ أيضاً ذكراً حقيقة، فهو من مراتب الذكر، لأنّه مقصورٌ عليه ومُنحصِر فيه.

للذكر - إذاً - مراتب، كما قال تعالى: ﴿..أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد:٢٨، وقال: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ..﴾ الأعراف:٢٠٥، وقال تعالى: ﴿..فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ..﴾ البقرة:٢٠٠، فالشدّة إنّما يتّصف بها المعنى دون اللفظ، وقال تعالى: ﴿.. وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ الكهف:٢٤.

وذيلُ هذه الآية دلّ على الأمر برجاء ما هو أعلى منزلة ممّا هو فيه، فيؤول المعنى إلى: أنّك إذا تنزّلتَ من مرتبةٍ مِن ذكره إلى مرتبة هي دونها، وهو النسيان، فاذكر ربّك، وارجُ بذلك ما هو أقرب طريقاً وأعلى منزلةً. فينتج: أنّ الذكر القلبيّ ذو مراتب في نفسه، وبذلك يتبيّن صحّة قول القائل أنّ الذكر حضور المعنى عند النفس، فإنّ الحضور ذو مراتب.

وقد رُوي بطُرُق مختلفة أنّ ذكر الله حَسنٌ على كلّ حال.

وروي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد خرج على أصحابه فقال: «**ارتعوا في رياض الجنّة**، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: **مجالسُ الذكر، أُغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحبّ أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنّ الله تعالى يُنزل العبدَ حيث أنزل العبدُ اللهَ من نفسه، واعلموا: أنّ خير أعمالكم عند مليكِكم وأزكاها، وأرفعها في درجاتكم، وخير ما طلعت عليه الشمس، ذِكْرُ الله تعالى، فإنّه تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليسُ مَن ذكرني، وقال تعالى: فاذكروني أذكركم بنعمتي، اذكروني بالطاعة والعبادة، أذكركم بالنِّعم والإحسان والراحة والرضوان**».

وعن الصادق عليه السلام قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى يقول: من شُغِل بذكري عن مسألتي، أُعطيه أفضلَ ما أُعطي مَن سألني**».

وعنه عليه السلام: «**ألا أُحدِّثك بأشدّ ما فرض الله على خلقه؟** قلتُ: بلى. قال: **إنصافُ الناس من نفسك، ومواساتك لأخيك، وذكر الله في كلّ موطن، أما إنّي لا أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وإن كان هذا من ذاك، ولكنْ ذكرُ الله في كلّ موطن، إذا هجمتَ على طاعته أو معصيته**».

المرسِل
الرسول، الرسالة

المرجع الدينيّ الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره

مدوَّنةٌ في إثبات الصانع، والأصول الأساسيّة للدين؛ استهل بها المرجع النوعيّ الشهيد السيد محمد باقر الصدر، رسالته العمليّة (الفتاوى الواضحة): «..لأنّ الرسالة العمليّة تعبير اجتهاديّ عن أحكام الشريعة الإسلاميّة التي أرسل الله سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء بها رحمة للعالمين، وهذا التعبير يرتكز أساساً على التسليم بتلك الأصول، فالإيمان بالله المرسِل، وبالنبيّ الرسول، وبالرسالة التي أُرسل بها، يشكّل القاعدة لمحتوى أيّ رسالة عمليّة والدليل على الحاجة إليها».
ونظراً إلى أهمية هذا النص تقدم «شعائر» مقتطفاتٍ وافيةً منه.

الإيمان بالله تعالى: المرسِل

توصّل الإنسان إلى الإيمان بالله منذ أبعد الأزمان، وعبده وأخلص له، وأحسّ بارتباط عميق به قبل أن يصل إلى أيّ مرحلة من التجريد الفكريّ الفلسفيّ، أو الفهم المكتمِل لأساليب الاستدلال.

ولم يكن هذا الإيمان وليد تناقض طبقيّ، أو من صنع مستغِلّين ظالمين تكريساً لاستغلالهم، أو مستغَلّين مظلومين تنفيساً لهم؛ لأنّ هذا الإيمان سبق في تاريخ البشريّة أيّ تناقضات من هذا القبيل.

ولم يكن هذا الإيمان وليد مخاوف وشعور بالرعب تجاه كوارث الطبيعة وسلوكها المضادّ. ولو كان الدين وليد خوف وحصيلة رعب، لكان أكثر الناس تديّناً على مرّ التاريخ، هم أشدّهم خوفاً وأسرعهم هلعاً، مع أنّ الذين حملوا مشعل الدين على مرّ الزمن كانوا من أقوى الناس نفساً وأصلبهم عوداً.

بل إنّ هذا الإيمان يعبّر عن نزعة أصيلة في الإنسان إلى التعلّق بخالقه، ووجدان راسخ يدرك بفطرته علاقة الإنسان بربّه وكَونه.

وفي فترة تالية تفلسف الإنسان، واستخلص من الأشياء التي تحوطه في الكون مفاهيم عامّة، كالوجود والعدم، والوجوب والإمكان والاستحالة، والوحدة والكثرة، والتركّب والبساطة، والجزء والكلّ، والتقدّم والتأخّر، والعلّة والمعلول، فاتّجه على الأكثر إلى استخدام هذه المفاهيم وتطبيقها في مجال الاستدلال على نحو يدعم ذلك الإيمان الأصيل بالله سبحانه وتعالى، ويفلسفه ويبرّره بأساليب البحث الفلسفيّ.

وحينما بدأت التجربة تبرز على صعيد البحث العلميّ كأداة للمعرفة، وأدرك المفكّرون أنّ تلك المفاهيم العامّة لا تكفي بمفردها في مجال الطبيعة لاكتشاف قوانينها والتعرّف على أسرار الكون، آمنوا بأنّ الحسّ والملاحظة العلميّين هما المُنطلق الأساس للبحث عن تلك الأسرار والقوانين.

وكان هذا الاتّجاه الحسيّ في البحث مفيداً على العموم في تطوير الخبرة البشريّة بالكون وتوسيعها إلى درجة كبيرة.

الظاهرة العامّة للنبوّة: الرسول

كلّ شيء في هذا الكون الواسع يحمل معه قانونه الربانيّ الصارم، الذي يوجّهه ويرتفع به مدى ما يتاح له من ارتفاع وتطوّر. فالبذرة يتحكّم فيها قانونها الذي يحوّلها ضمن شروط معيّنة إلى شجرة، والنطفة يتحكّم فيها قانونها الذي يطوّرها إلى إنسان،

وكلّ شيء من الشمس إلى البروتون، ومن الكواكب السيّارة في مدار الشمس إلى الإلكترونات السيّارة في مدار البروتون، يسير وفق خطّة، ويتطوّر وفق إمكاناته الخاصّة.

وهذا التنظيم الربّانيّ الشامل امتدّ ـ بحكم الاستقراء العلميّ ـ إلى كلّ جوانب الكون وظواهره.

وقد تكون أهمّ ظاهرة في الكون هي ظاهرة الاختيار لدى الإنسان، فإنّ الإنسان كائن مختار، ويعني ذلك أنّه كائن هادف، أي يعمل من أجل هدف يتوخّى تحقيقه بذلك العمل. فهو يحفر الأرض من أجل أن يستخرج ماءً، ويَطهو الطعام من أجل أن يأكل طعاماً لذيذاً، ويجرّب ظاهرةً طبيعيّةً من أجل أن يتعرّف على قانونها، وهكذا. بينما الكائنات الطبيعيّة البحتة تعمل من أجل أهداف مرسومة من قبل واضع الخطّة، لا من أجل أهداف تعيشها هي وتتوخّى تحقيقها.

فالرئة والمعدة والأعصاب في ممارسة وظائفها الفيسيولوجيّة تعمل عملاً هادفاً، ولكنّ الهدف هنا لا تعيشه هي من خلال نشاطها الطبيعيّ والفيسيولوجيّ الخاصّ، وإنّما هو هدف الصانع الخبير؛ ولمّا كان الإنسان كائناً هادفاً ترتبط مواقفه العمليّة بأهداف يعيها ويتصرّف بموجبها، فهذا يفترض ضمناً أنّ الإنسان في مواقفه العمليّة هذه ليس مُسيّراً وفق قانون طبيعيّ صارم، كما تسقط قطرة المطر في مسار محدّد وفقاً لقانون الجاذبيّة؛ لأنّه في حالة من هذا القبيل لا يمكن أن يكون هادفاً، أي يعمل من أجل هدف يعيش في داخل نفسه.

قد تكون أهمّ ظاهرة في الكون هي ظاهرة الاختيار لدى الإنسان، فإنّ الإنسان كائن مختار، ويعني ذلك أنّه كائنٌ هادف، أي يعمل من أجل هدف يتوخّى تحقيقه بذلك العمل... ولكي يكون هادفاً، لا بدّ أن يكون حرّاً في التصرّف؛ ليُتاح له أن يتصرّف وفقاً لما تنشأ في نفسه من أهداف.

فلكي يكون الإنسان هادفاً، لا بدّ أن يكون حرّاً في التصرّف؛ ليتاح له أن يتصرّف وفقاً لما تنشأ في نفسه من أهداف. فالترابط بين المواقف العمليّة والأهداف هو القانون الذي ينظّم ظاهرة الاختيار لدى الإنسان.

كما أنّ الهدف بدوره لا يتواجد بصورة عشوائيّة، فإنّ كلّ إنسان يحدّد أهدافه وفقاً لما تتطلّبه مصلحته وذاته من حاجات، وهذه الحاجات تحدّدها البيئة والظروف الموضوعيّة التي تحيط بالإنسان، غير أنّ هذه الظروف الموضوعية لا تحرّك الإنسان مباشرةً كما تحرّك العاصفة أوراق الشجر؛ لأنّ هذا يعطّل دوره ككائن هادف، فلا بدّ للظروف الموضوعيّة إذن من تحريك الإنسان عن طريق الإثارة والإيحاء بتبنّي أهداف معيّنة، وهذه الإثارة ترتبط بإدراك الإنسان للمصلحة في موقف عمليّ معيّن، ولكن ليست كلّ مصلحة تحقّق إثارةً للفرد، وإنّما تحقّقها تلك المصالح التي يدرك الفرد أنّها مصالح له بالذات.

وذلك أنّ المصالح على قسمين: فهناك مصالح على خطٍّ قصير تعود بالنفع غالباً على الفرد الهادف العامل نفسه، ومصالح على خطّ طويل تعود بالنفع على الجماعة، وكثيراً ما تتعارض مصالح الفرد ومصالح الجماعة. وهكذا نلاحظ من ناحية، أنّ الإنسان غالباً لا يتحرك من أجل المصلحة لقيَمها الإيجابية، بل بقدر ما تحقّق له من نفع خاصّ. ونلاحظ من ناحية أخرى، أنّ خلق الظروف الموضوعيّة لضمان تحرّك الإنسان وفق مصالح الجماعة، شرط ضروريّ لاستقراء الحياة ونجاحها على الخطّ الطويل، وعلى هذا الأساس واجه الانسان تناقضاً بين ما تفرضه سنّة الحياة واستقرارها من سلوك موضوعيّ واهتمام بمصالح الجماعة، وما تدعو إليه نوازع الفرد واهتمامه بشخصه من سلوك ذاتيّ واهتمام بالمنافع الآنيّة الشخصيّة.

وكان لا بدّ من صيغة تحلّ هذا التناقض وتخلق تلك الظروف الموضوعيّة التي تدعو إلى تحرّك الإنسان وفق مصالح الجماعة.

والنبوّة بوصفها ظاهرةً ربّانيةً في حياة الإنسان، هي القانون الذي وضع صيغة الحلّ هذه، بتحويل مصالح الجماعة وكلّ المصالح الكبرى التي تتجاوز الخطّ القصير لحياة الإنسان إلى مصالح للفرد على خطّه الطويل؛ وذلك عن طريق إشعاره بالامتداد بعد الموت، والانتقال إلى ساحة العدل والجزاء التي يحشر الناس فيها ليُرَوا أعمالهم: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ الزلزلة: ٧-٨؛ وبذلك تعود مصالح الجماعة مصالحَ للفرد نفسه على هذا الخطّ الطويل.

وصيغة الحلّ هذه تتألّف من نظريّة وممارسة تربويّة معيّنة للإنسان على أساسها، والنظريّة هي المعاد يوم القيامة، والممارسة التربويّة على هذه النظريّة عمليّة قياديّة ربانيّة، ولا يمكن إلاّ أن تكون ربانيّة؛ لأنّها عملية تعتمد على اليوم الآخِر، أي على الغيْب، فلا توجد إلاّ بوحي السماء، وهي النبوّة.

ومن هنا كانت النبوّة والمعاد واجهتين لصيغة واحدة، هي الحلّ الوحيد لذلك التناقض الشامل في حياة الإنسان، وتشكّل الشرط الأساسيّ لتنمية ظاهرة الاختيار وتطويرها في خدمة المصالح الحقيقيّة للإنسان.

الإسلام، دين الله الذي بعث به محمّداً صلّى الله عليه وآله رحمةً للعالمين: الرسالة

وقد استهدف الإسلام قبل كلّ شيء ربط الإنسان بربّه وبمعاده.

فمن الناحية الأُولى: ربط الإنسان بالإله الواحد الحقّ الذي تشير إليه الفطرة، وأكّد وحدة الإله الحقّ، وشدّد على ذلك؛ لكي يقضي على كلّ ألوان التألّه المصطنع، حتى جعل من كلمة التوحيد "لا إله إلاّ الله" شعاره الرئيسيّ.

ولمّا كانت النبوّة هي الوسيط الوحيد المباشر بين الخلق والخالق، فشهادة هذه النبوّة بوحدة الإله والخالق وارتباطها بالإله الواحد الحقّ، تُعتبر أساساً كافياً لإثبات التوحيد.

ومن الناحية الثانية: ربط الإنسان بالمعاد؛ لكي تكتمل بذلك الصيغة الوحيدة القادرة على علاج التناقض، والتي تحقّق العدل الإلهيّ في نفس الوقت.

خصائص الرسالة الإسلاميّة

وللرسالة الإسلاميّة خصائصها التي تميّزها عن سائر رسالات السماء، وسِماتها التي جعلت منها حدثاً فريداً في التاريخ. وفي ما يلي نذكر عدداً من الخصائص والسِمات بإيجاز:

أوّلاً: أنّ هذه الرسالة ظلّت سليمةً ضمن النصّ القرآني دون أن تتعرّض لأيّ تحريف، بينما مُنِيت الكتب السماويّة السابقة بالتحريف، وأُفرغت من كثير من محتواها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩.

واحتفاظ الرسالة بمحتواها العقائديّ والتشريعيّ هو الذي يمكّنها من مواصلة دورها التربويّ، وكلّ رسالة تفرغ من محتواها بالتحريف والضياع لا تصلح أداة ربط بين الإنسان وربّه؛ لأنّ هذا الربط لا يتحقّق بمجرّد الانتماء الاسميّ، بل بالتفاعل مع محتوى الرسالة وتجسيدها فكراً وسلوكاً، ومن أجل ذلك كانت سلامة الرسالة الإسلاميّة بسلامة النصّ القرآنيّ، الشرط الضروري لقدرة هذه الرسالة على مواصلة أهدافها.

ثانياً: أنّ بقاء القرآن نصّاً وروحاً يعني أنّ نبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله لم تفقد أهمّ وسيلة من وسائل إثباتها؛ لأنّ القرآن وما يعبّر عنه من مبادئ الرسالة والشريعة كان هو الدليل الاستقرائيّ، وفقاً لما تقدّم على نبوّة محمّد وكَونه رسولاً، وهذا الدليل يستمرّ ما دام القرآن باقياً.

احتفاظ الرسالة بمحتواها العقائديّ والتشريعيّ هو الذي يمكّنها من مواصلة دورها التربويّ، وكلّ رسالة تفرغ من محتواها بالتحريف والضياع لا تصلح أداة ربط بين الإنسان وربّه.. ومن أجل ذلك كانت سلامة الرسالة الإسلاميّة بسلامة النصّ القرآنيّ، الشرط الضروري لقدرة هذه الرسالة على مواصلة أهدافها.

وخلافاً لذلك، النبوّات التي يرتبط إثباتها بوقائع معيّنة تحدث في لحظة وتنتهي، كإبراء الأكمه والأبرص، فإنّ هذه الوقائع لا يشهدها عادةً إلاّ المعاصرون لها، وبمرور الزمن وتراكم القرون تفقد الواقعة شهودها الأوائل، ويعجز الإنسان غالباً عن الحصول على أيّ تأكيد حاسم لها عن طريق البحث والتنقيب، وكلّ نبوّة لا يمكن التأكّد من دليلها لا يمكن أيضاً أن يكلّف الله سبحانه وتعالى بالاعتقاد بها، أو البحث عن وسيلة لإثباتها، إذ ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاّ ما آتاها﴾ الطلاق:٧. ونحن اليوم نعتمد في إيماننا بالأنبياء السابقين ـ صلوات الله عليهم ـ وبمعاجزهم على إخبار القرآن الكريم بذلك.

ثالثاً: أنّ مرور الزمن ـ كما عرفنا ـ لا ينقص من قيمة الدليل الأساس على الرسالة الإسلاميّة، ولكن ليس هذا فقط، بل إنّه أيضاً يمنح هذا الدليل أبعاداً جديدةً من خلال تطوّر المعرفة البشريّة، واتّجاه الإنسان إلى دراسة الكون بأساليب العلم والتجربة؛ وليس ذلك فقط لأنّ القرآن الكريم سبق إلى الاتّجاه نفسه وربط الأدلّة على الصانع الحكيم بدراسة الكون والتعمّق في ظواهره، ونبّه الإنسان إلى ما في هذه الدراسة من أسرار ومكاسب؛ بل لأنّ الإنسان الحديث يجد اليوم في ذلك الكتاب ـ الذي بُشّر به في بيئة جاهلة قبل مئات السنين إشارات واضحةً إلى ما كشف عنه العلم الحديث، حتى لقد قال المستشرق الإنجليزي "أجنيري" ـ أُستاذ اللغة العربيّة في جامعة أُكسفورد ـ عندما اكتشف العلم دور الرياح في التلقيح: «إنّ أصحاب الإبل قد عرفوا أنّ الريح تلقّح الأشجار والثمار، قبل أنّ يتوصّل العلم في أُوروبا إلى ذلك بعدّة قرون» (يشير بذلك

إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ الحجر: ٢٢.

رابعاً: أنّ هذه الرسالة جاءت شاملةً لكلّ جوانب الحياة، وعلى هذا الأساس استطاعت أن توازن بين تلك الجوانب المختلفة وتوحّد أُسُسها، وتجمع في إطار صيغة كاملة بين الجامع والجامعة، والمعمل والحقل، ولم يعد الإنسان يعيش حالة الانشطار بين حياته الروحيّة وحياته الدنيويّة.

خامساً: أنّ هذه الرسالة هي الرسالة السماويّة الوحيدة التي طبّقت على يد الرسول الذي جاء بها، وسجّلت في مجال التطبيق نجاحاً باهراً، واستطاعت أن تحوّل الشعارات التي أعلنتها إلى حقائق في الحياة اليوميّة للناس.

سادساً: أنّ هذه الرسالة بنزولها إلى مرحلة التطبيق دخلت التاريخ وساهمت في صنعه؛ إذ كانت هي حجر الزاوية في عملية بناء أُمّة حملت تلك الرسالة واستنارت بهداها. ولمّا كانت هذه الرسالة ربانيةً وتمثّل عطاءً سماويّاً للأرض فوق منطق العوامل والمؤثّرات المحسوسة، نتج عن ذلك ارتباط تاريخ هذه الأُمّة بعامل غيبيّ، وأساس غير منظور لا يخضع للحسابات الماديّة للتاريخ.

ومن هنا، كان من الخطأ أن نفهم تاريخنا ضمن إطار العوامل والمؤثّرات الحسيّة فقط، أو أن نعتبره حصيلة ظروف ماديّة، أو تطوّر في قوى الإنتاج؛ فإنّ هذا الفهم الماديّ للتاريخ لا ينطبق على أُمّة بُني وجودها على أساس رسالة السماء، وما لم ندخل هذه الرسالة في الحساب كحقيقة ربانيّة، لا يمكن أن نفهم تاريخها.

سابعاً: أنّ هذه الرسالة لم يقتصر أثرها على بناء هذه الأُمّة، بل امتدّ من خلالها ليكون قوةً مؤثّرةً وفاعلةً في العالم كلّه على مسار التاريخ. ولا يزال المنصِفون من الباحثين الأُوروبيّين يعترفون بأنّ الدفعة الحضاريّة للإسلام هي التي حرّكت شعوب أوروبا النائمة من نومها ونبهّتها إلى الطريق.

ثامناً: أنّ النبي محمّداً صلّى الله عليه وآله الذي جاء بهذه الرسالة تميّز عن جميع الأنبياء الذين سبقوه بتقديم رسالته بوصفها آخر أُطروحة ربانيّة، وبهذا أعلن أنّ نبوّته هي النبوّة الخاتمة، وفكرة النبوّة الخاتمة لها مدلولان:

أحدهما: سلبيّ، وهو المدلول الذي ينفي ظهور نبوّة أُخرى على المسرح.

والآخر: إيجابيّ، وهو المدلول الذي يؤكّد استمرار النبوّة الخاتمة وامتدادها مع العصور.

وحينما نلاحظ المدلول السلبيّ للنبوّة الخاتمة، نجد أنّ هذا المدلول قد انطبق على الواقع تماماً خلال الأربعة عشر قرناً التي تلت ظهور الإسلام، وسيظلّ منطبقاً على الواقع مهما امتدّ الزمن. غير أنّ عدم ظهور نبوّة أُخرى على مسرح التاريخ، ليس لأنّ النبوّة تخلّت عن دورها كأساس من أُسس الحضارة الإنسانيّة؛ بل لأنّ النبوّة الخاتمة جاءت بالرسالة الوريثة لكلّ ما يعبّر عنه تاريخ النبوّات من رسالات، والمشتملة على كلّ ما في تلك النبوّات والرسالات من قيم ثابتة دون ما لابسها من قيم مرحليّة، وبهذا كانت هي الرسالة المهيمنة القادرة على الاستمرار مع الزمن وكلّ ما يحمل من عوامل التطوّر والتجديد: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

لمّا كانت الرسالة الإسلاميّة ربانيّةً وتمثّل عطاءً سماويّاً للأرض فوق منطق العوامل والمؤثّرات المحسوسة، نتج عن ذلك ارتباط تاريخ هذه الأُمّة بعامل غيبيّ، وأساسٍ غير منظور لا يخضع للحسابات الماديّة للتاريخ.
ومن هنا، كان من الخطأ أن نفهم تاريخنا ضمن إطار العوامل والمؤثّرات الحسيّة فقط.

تاسعاً: وقد اقتضت الحكمة الربّانية التي ختمت النبوّة بمحمّد صلّى الله عليه وآله أن تعدّ له أوصياء يقومون بأعباء الإمامة والخلافة بعد اختتام النبوّة، وهم اثنا عشر إماماً، قد جاء النصّ على عددهم من قِبَل رسول الله صلى الله عليه وآله في أحاديث صحيحة اتّفق المسلمون على روايتها، أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وبعده الحسن، ثم الحسين وتسعة من آله على الترتيب التالي: عليّ بن الحسين السجاد، ثمّ محمّد بن عليّ الباقر، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ موسى بن جعفر الكاظم، ثمّ عليّ بن موسى الرضا، ثمّ محمّد بن عليّ الجواد، ثم عليّ بن محمّد الهادي، ثمّ الحسن بن عليّ العسكريّ، ثم محمّد بن الحسن المهديّ عليهم السلام.

عاشراً: وفي حالة غيبة الإمام الثاني عشر ـ عليه الصلاة والسلام ـ أرجع الإسلام الناس إلى الفقهاء، وفتح باب الاجتهاد بمعنى بذل الجهد في استنباط الأحكام الشرعيّة من الكتاب والسنّة.

«إختبـارات المقـدّس»*

للدكتور خنجـر حميّـة

بقلم: النائب نواف الموسوي

ما هي المسارات التي يمكن للجهد الفلسفي، عندنا، أن يسلكها أو يجب أن يسلكها؟

أعتقد أنّها الآتي:

أولاً: مواصلة المسار الفلسفي/ العرفاني/الكلامي، الذي ما زال مستمراً في بعض الحلقات الدراسيّة في الحوزات العلميّة في إيران، أو مكنوناً في ثنايا مخطوطات لم تجد طريقاً إلى النشر بالمواصفات العلميّة. وما نُشر منها أحياناً يحتاج إلى إعادة تحقيق وتدقيق، لأنّ النّصّ المنشور يذهب في عكس المعنى المراد. مثلاً في كتاب (شرح حكمة الإشراق) للشهرزوري يقول الشارح في مقصد السهروردي بالنور والظلمة إنّ الأمر يدور على الوجوب والإمكان لا على أنّ المبدأ اثنان، فيأتي النصّ «المحقّق» لأنّ المبدأ اثنان، وهو على النقيض ممّا يبتغيه المؤلّف.

وإذ يرمي الجهد في هذا المسار إلى إنهاء القطيعة مع التراث الفلسفي فهو يتّجه إلى:

١ـ نشر المخطوطات بعد تحقيقها.

٢ـ إعداد الدراسات ومُراكمتها حول المخطوطات لناحية تبيّن مقولاتها.

٣ـ الانتهال من السلسلة التي لم تنقطع لأساتذة الفلسفة والعرفان، والذين يقدّمون في تدريسهم أفكاراً جديدة تتبدّى على هيئة تعليقات أو مقدّمات. تلقّي العلوم العقليّة على هؤلاء الأساتذة هو أكثر من ضروري لفهم هذا التراث واستمراريته والتجدّد فيها. ولا أُخفي مساورة الريب ومراودة الحذر إزاء مقولات أو نصوص لم تنتهل من هذا المنهل، بالطريقة التقليديّة، أي تلاوة النصّ ثمّ شرحه والتعليق عليه في الحلقة الدراسيّة من جانب الأستاذ ــ المدرّس، وبعد ذلك القراءة التي توسّع الإحاطة بموضوع الدرس، والمباحثة التي تُعدّ محطّة أساسيّة في ترسيخ الفكرة وتعميقها والتمكين من قدرات التعبير عنها، واستفزاز إمكانات النقد. ولست أدري إلى أين سيؤدّي اعتماد منهج المدرسة الحديثة: التلقين، الامتحان الدوري، إذ يبدو أنّ المبرّزين من متخرجي هذا المنهج إنّما أفلحوا لما اعتمدوه من منهج يشابه، إن لم يطابق، المنهج الحوزوي التقليدي.

ما ورد (أي الانتهال المباشر من ينابيع الفكر) هو على سبيل القاعدة العامّة، التي لا تُعْصَم من استثناءات.

٤ـ بعد التمكّن ممّا هو قائم، نَقدُه والسعيُ إلى تجاوزه بما يؤدّي إلى التجديد. التجديدُ ليس تطريز الرداء على دُرْجَة سائدة، وهي عابرة دائماً، وليس هو ترداداً لمفردات منبّتة من سياقات خاصة، لتُحشر قسراً في سياق منقطع، فتصير زخرفات تتدلّى، تتلاعب بها رياح، لأنها لم تلجأ إلى ركن وثيق. كذلك فإنّ التجديد لا يعني استنساخاً ينقل خلايا غالباً ما تكون منقوصة، مشوّهة، مشوّشة، غير دقيقة لتُزرَع في رَحِمٍ مُغاير، عقيم غالباً، أو مستولِدٍ لمسوخ. كيف يمكن زعم التجديد ممّن لا يعرف إلى أين وصل المسار؟ ما هي نقطة البدء لدى هذا المجدّد؟ لافتقاد هذه النقطة، على الأرجح، لا يقدّم الجهدُ الفلسفيُّ العربيُّ أمراً معتبراً لميراث الفلسفة العالمي، إلّا ما يعمل على تجديد تراثه على قاعدة مواصلته بإدراكه واستيعابه ثم التطوير من داخله ولو باتجاه تجاوزه.

ثانياً: الإحاطة بمنجزات الفلسفة في المجال الآخر، والغربيّ بخاصّة. وتتطلّب هذه الإحاطة:

١ـ إدراكاً مباشراً للنصوص في إطار السيستام (النظام) الذي شادت دعائمه ورصّت لبِناته. وهو إدراك يختلف عن الإطلاع بوسائط لم تُحسن تقديم المقولة كما أدلى بها صاحبها.

٢ـ إدراك النقد الذي يُوجَّه إلى هذه المقولات ــ المنجزات من الذين ينتمون إلى السياق الخاصّ بمنتِجي هذه النصوص، لأنّهم غالباً الأقدر على اكتِناه المضمون، وتحديد النقائص، وتبيّن النقائض.

ثالثاً: بعد إنجاز ما تقدّم في البندين السابقين (أولاً وثانياً) يبدأ السعي إلى التجديد والإبداع، نحو بناء سيستام خاصّ يثق بأنّه قابل للنقض حدَّ ثقته بتماسكه وصحته واستعصائه على التفكيك. تغيب عندنا منجزات التجديد والإبداع في الفلسفة والعرفان. فمن أين يأتيان؟ للتقدّم لا بدّ من معرفة من أين نأتي، وأين نقف، وأين يمضي رفقاء درب المعرفة الإنسانية التي، وإن يجمعها النَسَب البشري، تسير في سبل وطرائق مختلفة؟

هذا كان اعتقادي، وما زال. وحين قرأت، في ما توفّر لي من وقت يقلّ عن أسبوع من بين الانهماكات المعروفة وغير المعروفة، «اختبارات المقدّس»، رأيت جهداً يمشي على هدى، لا نقلات خطى سادرة في متاهات معاصرة اللفظ واضطراب المعنى. «فالمقاربات» التي جعلها الكاتب - وهو صاحب سوابق في الاشتغال على الإرث الفلسفي والعرفاني - في قسمين بَدَت لي أنها تنتظم في مسلكين: مسلك مواصلة الإرث الفلسفي الإسلامي، ومسلك الإحاطة بالمنجَز الفلسفي الغربي، وفي ثنايا العرض والشرح نقدٌ خفيٌّ أو ظاهر يشي بمكنون سيستام في طور المخاض.

في القسم الأول أرى الكاتب أستاذاً مدرِّساً يعرض ويشرح ويعلّق وينقد، جمع بين الاحتفاظ بالدلالة الدقيقة للعبارة

التقليديّة وبين إخراجها في حلّة التعبير العصري الرصين، لا التائه المشغول في حُسْنِه النرجسي الذي قد لا يكون حَسَناً بالضرورة.

وفي القسم الثاني، رأيتني أسعى في رَكْبه وهو يسير بقارئه في رحلة ممتعة، شاقّة، يحملك تكثيف العبارة والمعنى على مطاردة بالك إذ يغادر وراء هذه الكلمة وتلك؛ يلاحق إغراء مدلولها العميق، لتستعيده إلى القافلة التي أتقن حاديها أن يغنّي مَشاهد ترحالها نحو جديدِه، ويصوّر الفكر الفلسفي الغربي التي تبرز الانبناء والهدم والاعتراك، فلا تكاد تأسرك جلالة البناء حتى يحرّرك سحر التفكيك من غير أن تفقد حلاوة ذا وتيك.

أين السيستام عنده؟ الآن، أليس الوقت مبكراً؟ لعلّه كذلك، لكن ما يبعث على طرح السؤال حذاقة الكاتب ومهارته في الإحاطة والتجاوز.

التأويل الخلّاق

الكتاب يغري بالقراءة، القراءة التي لا تستطيع أن تخرج بتلخيص، فالنصّ فيه هو في الأصل خلاصة. لذا قد يتطلّبُ التوسُّعَ في المطلب والتعليقَ عليه بل السؤالَ النقدي، لاسيّما في مقاربة الأفكار في قوامها أو مستخرجة منه.

هنا، وفي حدود وقت أحسب أنه كان ضيّقاً، لا يُطمح إلى ذلك، بل توقّفٌ عند ما استرعى الانتباه، بل بعض ما استرعاه، وفي النصّ كثيرٌ يسترعيه.

* إعتبار التصوّف في الإطار التاريخي، حين كاد يغلب اتجاه سلفي يرذل فيه ما يزعم أنّه فيه وليس فيه، لسوء نية أو لعدم فهم وتعمُّده. الكاتب يدعو إلى عدم إهمال أثر التصوّف «في الإضاءة على الآفاق الروحيّة الغنيّة التي يحتويها الإسلام»، و«ترسيخ» قيمهِ الأخلاقيّة التي تدفع «في مدارج التسامي ومراتب الإرتقاء»، وإلى عدم طمس دوره في ترسيخ الإسلام في «تجارب شعوب لم يكن من الممكن أن يدخل الإسلام سياقها الحضاري إلّا عبره ومن خلاله». (ص. ١٥ـ١٦). وهذا الدور الذي يلتفت الكاتب إليه، إذ يقف عند أهميته في إطاره التاريخي، هو دور له قدرة الاستمرار، فما زال بإمكان الإسلام أن يدخل عبره في السباق الحضاري لشعوب، ولو كانت أكثر حداثة تقنياً. الاعتبار التاريخي لدور التصوّف، لا بدّ من أن يضيء على ضرورة هذا الدور في رسالة راهنة ممكنة للإسلام.

* يعتبر الكاتب أنّ «جدّة أيّ جهد فلسفي ووجاهته» في «ما يسعى إلى تحقيقه» أي - كما يقول الكاتب - «ممارسة نظرية؛ فعالية معارضة ونقد وخلخلة للمواقف» و«ممارسة تأمّلية تقود إلى إحداث ثقوب وخلق فجوات في كلّ نسق فكري يدّعي امتلاء ويزعمه» (ص ١٨). لكن أليس من جدّة الجهد الفلسفي بناء نسق فكري جديد؟

* في القسم الثاني، يقدّم الكاتب صفحات مهمّة جميلة في مناهج المعرفة الدينيّة. الفصل الأول فيه رؤية أجدها ضرورية مصوّبة في مقاربة الشأن الديني. «إذ لا يكشف المعطى الديني عن دلالته العميقة ومعناه البعيد القصيّ إلّا عندما يؤخذ على صعيد مرجعيته الخاصّة، بأن يتمّ تلمّس مغزاه بما هو إبداع روحي، فلا يختزل حينها إلى أيّ وجه من أوجهه الثانوية الخاصّة، ولا يردّ إلى سياق واحد من سياقاته، كالسياق الاجتماعي أو السياسي مثلاً» (ص. ١٤٣ ـ ١٤٤). لا يمكن فهم المعطى الديني، فعلاً، بإفراغه من مضمونه الأساسي أي الغيبي. كيف لمقاربة تقتصر على المحسوس، وتعتبر الغيب وهماً أو إبدالات أو تعزيزاً (على ما تقوله مدارس علم النفس في هذا الصدد) أن تفهم، ما تقوم بتجويفه من جوهره. ولذا فإنّ قضية التأويل الخلّاق للظاهرة الدينية هي «محاولات تحوير أبعادها، أو إزاحتها وخلخلتها، أو التعمية عليها، أو حجبها وطمسها، أو تفسيرها وفق مبدأ اختزالي، أو التصدّي لنزع الأبعاد الرمزية

- أو ما يصوّره الطابع الزمني للظاهرة على أنّه أوهام - عن تصرّفات الإنسان وسلوكاته وممارساته وإنجازاته بافتراضها مجرّد إسقاطات نابعة من اللّاوعي، أو أنّها مجرّد عوائق وسدود وأواليات دفاع شكّلها الوعي الإنساني لأسباب اجتماعيّة وسياسيّة واقتصاديّة، (ص. ١٤٦ ـ ١٤٧). لأنّ «المهم» في هذه الظاهرة هو «أنّها تستبطن قيَماً روحيّة». (ص. ١٤٧) وهنا، وعلى نحو عابر، يرى الكاتب أنّ ثمّة «وحدة روحية مضمرة» تجمع بين ما تعدّد وانشعب. (ص. ١٤٧). ويذهب إلى التقرير أنّ «كلّ تفسير اجتماعي أو نفساني أو تاريخي أو اقتصادي أو نياسي للدين أو للظاهرة الدينية» هو ناقص ومُخلّ (ص١٤٧).

ثم يمضي الكاتب ليقول إنّه «حتى في أشدّ المجتمعات عصرية وعلمنة لا يمكن بحال من الأحوال فهم المنجزات الثقافية» (...) ما لم يتمّ ربطها بنحو ما بالشأن المقدّس، أو بعبارة (أخرى)، ما لم يتمّ الكشف عن أبعادها الدينية ومساراتها الروحية» (ص ١٤٦). في هذا القول نقد للمقاربات المُقصية الغيب في الشأن الديني، من جهة، وتأسيس لمقاربة للشأن الديني تتفادى خلل إقصاء الغيبي، وتطمح إلى تفسير ما هو مُعصَرن ومُعلمَن، لإدراك منه «أنّ بنية الحضارة الحديثة برمّتها وأخلاقياتها العلمانية العقلانية ودينها البشري» أشكال مُعلمَنة من اليهودية المسيحية. يقول كوربان، الحاضر في الكتاب الذي نحن بصدده، «إنّ الفكرويات والمنجزات في علوم النفس والاجتماع ليست إلّا لاهوتات مدنيوة»، بل يرى أن المادّية التاريخية كانت مآل القول التومائي (توما الأكويني). ويتابع الكاتب (ص ٣٦٤) كيف أنّ العلم أقام «نماذج علمية حديثة مناظرة» في علوم الطبيعة والنفس والاجتماع، لما نقده في الدين من النماذج، تبيّن أن الأفكار التي كوّنها العلم عن نفسه، من مثل أنّه الطريق الوحيد إلى الطبيعة الحقيقية، الله، والسعادة ، هي مجرّد أوهام». (ص ٣٦٥).

خارطة طريق المقدّس

يقطع الكاتب (ص. ١٣٥) «بلا جدوائية التفكير في/ ولا البحث عن منهج واحد موحّد لاستيعاب (الدين) ووعيه». ولذا تشرع الدعوة إلى أن لا تكون المقاربات شمّالة للتنوّعات الدينية، على مشروعية النقد الذي يقيمه في مواضع كثيرة، لكن المستهدف يبقى الدين برمّته. وحتى الدراسة المزدوجة للشأن الديني انطلاقاً من مقاربتين غربية وإسلامية قرأهما الكاتب جيداً (الفصل الثالث، ص ٢٩٢ ـ ٣٤٤)، لا تغني في المقام، لأنّ المجال الإسلامي متنوّع وفيه سياقات مختلفة وكذا المجال الغربي، وقد تطرّق الكاتب إلى هذه التنوّعات في المجالين، وتستمرّ الحاجة إلى نقد قائم بذاته لكلّ تجربة دينية على حدة أو اختبار، كما شاء هو أن يعبّر.

* يلاحظ الكاتب (ص ٣٣٤) «أن المبادئ الأخلاقية التنويرية تستبعد أنواعاً معيّنة من السلطة وطرائق معيّنة لشرعنة النظام الاجتماعي، لكنها ببساطة لا تحوي أيّة مقدّمات منطقية صلبة وغنية بالمادة الفكرية ، وقادرة على توليد بديل اجتماعي متماسك». ألا يحمل ذلك على طرح السؤال: لماذا لم تستطع سساتيم (أنظمة) إقصاء الغيبي والاقتصار على المشهود، تقديمَ البدائل التي كانت تنشدها؟ أليس في ذلك تساؤل ضروري لا مفرّ منه عن رسوخ الإلهي، الغيبي كجزء من التركيب الإنساني أو المشهود بعامّة، وأنّ البتر له تداعيات مضنية؟»، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ..﴾ طه:١٢٤.

* قارب الكاتب المكان وفق منظورات الديني والعلماني. كان يرتقب، هنا، مقاربة الزمان، لاتصالٍ بينهما، حتى أنّ الزمان يصير مكاناً، وكذا المكان يصير زماناً. المكان ليس بالضرورة امتداداً، كما يتصوّره ديكارت. والمقاربة ستكون ثرّة، غنية. تقسيم القاضي سعيد القمّي للزمان من كثيف ولطيف وألطف. هايدغر والزمان والكون كمفاتيح أساسية في بنائه الفلسفي.

* في مواضع عدّة استحضرت جهد الشهيد مطهّري في «الدوافع نحو الماديّة»، لا سيّما الحديث عن القصور الفلسفي، وقصور الفكر الكَنَسي والظلم السلطوي، يقول الكاتب: «وهذا يعني أن الاتحاد القيصروبابوي بين العرش والمذبح في ظلّ نظام حكم مطلق هو الذي حدّد أكثر من أيّ عامل آخر أفول الدين الكنسي في أوروبا» (ص. ٣٦٢). كما «أنّ الاعتراف بالكنيسة ومحاولة الدولة صون المسيحية وحماية استمرارها كدين رسمي، هما العنصران اللّذان كادا يدفعان باتجاه دمار الكنيسة وانتهائها»، بلحاظ «الدولة كناقل لسيرورة العلمنة» (ص ٣٦٣). ولذلك كان النقد العلماني للدين «يثبت فاعليته في الأماكن التي كانت الكنيسة وما زالت تلتزم فيها بالمستخلص الميتافيزيقي (الأرسطوتوهاوي) للقرون الوسطى». (ص. ٣٦٤).

طبعاً لا يبرّئ الكاتب العالم الإسلامي مما «ولّده فرط الحداثة الغربي»، لكنه يعتقد أنّ في أسباب ما يعاني منه في علاقته مع الديني والمقدّس القطيعة مع «علوم لاهوت استثنائية» (ص. ٢٣٥) كان الإمام الخميني يقول بثقة قاطعة إنّ الغرب، الذي كان يتغنّى حداثيو القشرة الشرقيون بتقدّم فلسفته، يحتاج إلى ألف عام ليبلغها، لا لاستهانة بما أنجزه المسار الفلسفي الغربي وإنّما لأنّ انشعابه وسيره في سُبل التفكيك جعله يتيه في دروب لا تصل سوى إلى عبثية وتكرارات، وإن تضمّنت التماعات لا تخلو منها أيّ مجاهدة فكرية. جميلة جداً صفحات نقد نظرية العلمنة، تتكثّف خلاصة قولها في السطور الأخيرة من الكتاب، حين يبدي عجزها عن «تعليل وجود أشكال مشروعة للدين العام» ما يجعل مراجعتها لثلاثة من أحكامها المسبقة ضرورية. النقد هنا يأتي من قوام النظرية نفسها، في مقدّماتها وفي فرضيّاتها، بالإضافة إلى ثغراتٍ وعدم قدرتها في الانطباق على وقائع نهضت لتفسيرها.

هذه الوقفات تحريض على قراءة الكتاب الذي لا يلخَّص كما قلت، بل يناقَش، وأنا هنا في موقع من يقترب كثيراً من مقولاته، وفي كثير منها أتابع، أتبنّى. وأدعو إلى البناء والتركيب، لا سيّما أنّ الكاتب يدرك جيداً أثر التفكيك على المجتمعات «الحديثة» فكيف «بالتقليدية»؟

أمّا لغة الكتاب فهي بيان مكثّف تستدعي عباراته استنفاراً وتحفّزاً، عبارات تولّد معاني تتّسع وتضيق بحسب خبرة المتلقّي، وهي على ترامیها لا تخلو من دقّة تكسبها انسياباً يجعلها قادرة على التفلّت من نقد اقتفاء المثالب بقدر ما تستكين إلى نقدٍ مفكّك متجاوز، إذ إنّها ترنو ببصيرة لا تزعم الإمساك بتلابيب الحقيقة وأردانها، فضلاً عن مقاليدها وأزمّتها، وإن كانت تتحصّن بشموخ الباحث الموغل في التقصّي، شموخ يرواغ الاعتداد. هي لغة تحرص على بين ظاهر مع مقولها، وإن تضامّاً باطناً. والبيان فيه مباينة. إذا بان المقول فقد نأى، والعبارة عبور، اجتياز. عندما تقول تُباين ما كان فيك فأخرجته فصار بينك وبينه بون، مع أنه لك. وإذا كتبت، أي قيّدت، تكون قد أضفت على من باينته أسراً. لذلك الشعور، الحس، المراودة الداخلية أوسع، أكثر أصالة من المكتوب والشفوي. لذا كان الصمت المقام الأسمى. «أطفئ السراج فقد طلع الصبح». ثم كان الصمت. إذا اشتد إحكامها، أي اللغة، زادت المباينة. ولأنّ في اللغة افتراقاً، تستعيض عن الجفاء بحنان اللفظة وحميمية المعنى، فتصير الكتابة ذاتية، وتنأى الكتابة الموضوعية بنفسها عن هذه التهمة. لكن كيف تكتب وتكون موضوعياً؟ إذا بدوت كذلك فلأنك تمتلك مهارة سحرية لإراءة ما تريد على أنّه حقيقة. إدّعاء الموضوعية فيه على الدوام إعمال سحر. لكن ليس كلّ الذاتية سواء، فلا يستوي الفجّ المباشر الخشبي، مع العليم المدقّق المحقّق. لذا يظلّ التفتيش عن النّصّ الأسمى ذاتياً، وهناك على القمّة يقف النّصّ المعصوم، الذي لا بدّ من المداومة على التقرّب منه، لكن إذا لم يكن لديك الطريق، وليس بيدك الكأس، فكيف تصل وتشرب؟

مع «اختبارات المقدّس» خريطة طريق وكأس. شكراً خنجر حميّة.

* إصدار «دار الأمير»، بيروت ٢٠٠٧.

(المقال نقلاً عن الموقع الإلكتروني لصحيفة «السفير»).

الفقيه الكبير الشيخ محمد حسن النجفي

صاحب الكتاب الموسوعي (جواهر الكلام)

«الفقه الجواهري» مصطلحٌ أطلقه الإمام الخمينيّ قدس سره، مؤكّداً على مواصلة حركة الإجتهاد بنفس المنهجيّة العلميّة التي اعتمدها الشيخ محمد حسن النجفي، «صاحب الجواهر»، الذي أصبحت كلمة «الجواهري» عَلَماً عليه، واسماً لعائلة علميّة كريمة.

ما يلي جولة في التعريف بهذا العالِم الفقيه، رضوان الله تعالى عليه.

هو شيخ الفقهاء، العلّامة الشيخ محمد حسن، بن الشيخ باقر، بن الشيخ عبد الرحيم، بن الآغا محمّد الصغير، بن الآغا عبد الرحيم الشريف الكبير. صاحب الموسوعة الفقهيّة الإسلامية الكاملة (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام). من أعلام الطائفة الاماميّة وفقهاء الاثني عشريّة. نبغ في النجف الأشرف، وانتهت إليه مرجعيّة الشيعة ورئاسة الطائفة الإماميّة في الأقطار كافّة.

ولادته

وُلد صاحب الجواهر حدود سنة ١١٩٢ للهجرة، في دار والده المجاورة للصحن الحيدريّ الشريف في النجف الأشرف، ومات فيها. وكان في هذا البيت سردابٌ فيه محراب يتعبّد فيه الشيخ آناء الليل وأطراف النهار، بعيداً عن الدنيا منقطعاً الى الله سبحانه وتعالى. وفي فترة لاحقة، هُدمت هذه الدار وأُلحقت مساحتها بدورة الصحن الحيدري الشريف.

يقول العلّامة الحجّة الشيخ المظفر في مقدمة كتاب (الجواهر): «وإذا كان قصير النسب فهو المطوِّلُ لمجد أُسرته، والمجدّد لها الذكر الذائع، وبُعدَ الصيت، وطيب الأحدوثة، والفخر الخالد، والمؤسّس لمجدها، والباني لصرح عزّها.

أمّا من جهة الأمّهات، فهو ينتهي من قِبل أمّ أبيه الى الشيخ أبي الحسن الفتوني العامليّ، ومن قبل أمّه الى السادة العذاريين المعروفين بآل حجاب، فهي علويّة منهم. ولذا كان يقضي شيخنا الجواهريّ شطراً من أوقاته في أيام نشأته الاولى في العذارات – وهي من قرى الحلّة الفيحاء – عند أخواله، وكان هذا سبب تأليفه كتابه (الجواهر)، ليكون له مذكّرة فقهيّة يرجع إليها حيث لا تتهيّأ له هناك الكتب للمراجعة عند الحاجة».

الشيخ محمد حسن النجفي «صاحب الجواهر»

الحركة العلمية في عصره

ابتدأت الحركة العلميّة في الفقه والاصول في كربلاء، على يد مؤسّسها العظيم، الآغا محمّد باقر الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥ للهجرة).

ونازعت النجفُ كربلاء وشاطرتها الحركة العلميّة، بفضل تلميذَي البهبهانيّ، السيّد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢ للهجرة) والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ للهجرة)، إلّا أنّ كربلاء بقيت محافظة على مركزها حتى وفاة المُرَبّي العظيم شريف العلماء، الشيخ محمّد شريف المازندرانيّ (ت ١٢٤٥ للهجرة)، وبفَقدِه، فقدت كربلاء تلك المركزيّة، واتّجهت الأنظار صوب النجف لوجود الشيخ صاحب الجواهر، الذي

اجتذب اليه طلّاب العلم بفضل براعته البيانيّة، وحُسْن تدريسه، وغزارة علمه وثاقب فكره الجوّال، وبحثه الدؤوب وانكبابه على التدريس والتأليف، وكان مجلس بحثه يضمّ أكثر من ستّين مجتهداً من المُعترَف لهم بالفضيلة. وقد تخرّج على يديه من أعلام الدِّين ما يفوت الحصر، واستمرّ هذا التفوّق في الأرقام العلميّة للمؤلّفات والعلماء حتى القرن الرابع عشر.

أخلاقه وسيرته

كان صاحب الجواهر على جانب عظيم من التواضع وكسر النفس، فكان مع تلاميذه كأحدهم، ومع الناس كالأب الرؤوف. وهو الذي سَنَّ الخروج الى مسجد الكوفة والسهلة ليلة الاربعاء، ولم يكن ذلك قبله معروفاً، فكان يخرج ومعه تلامذته وحاشيته على الخيول المسرجة، وتُنقل معهم مستلزماتهم وما يحتاجونه. وكان سمِحاً في مجاملاته عكس الشيخ مرتضى الانصاريّ (ت ١٢٨١ للهجرة) الذي كان غاية في التزهّد، ويقال إنّ الشيخ مرتضى سُئل عن ذلك فقال: «الشيخ محمّد حسن أراد أن يُظهر عِزّ الشريعة، وأنا أردتُ إظهار زهدَها».

وسُئل ـ الشيخ صاحب الجواهر ـ في مرض موته أنّه إنْ حدث أمرٌ فمن المرجع في التقليد؟ فأمر بجمع أهل الحلّ والعقد من العلماء، فاجتمعوا عنده، وكلٌّ يرى أنّه هو المشار إليه، وكان بعضهم يرى أنّه سيرشِّح أحد أولاده، لأنّه كان فيهم من يليق لذلك، ولكنّه لمّا غَصّ المجلس بالعلماء، سأل عن الشيخ مرتضى الانصاريّ فلم يكن حاضراً معهم، فبعث خلفه، فلمّا جاء قال له: أَفي مثل هذا الوقت تتركني؟! فأجابه: كنت أدعو لك في مسجد السهلة بالشفاء، فقال له: ما كان يعود إليّ من أمر الشريعة المقدّسة فهو وديعة الله عندك، ثمّ أشار إلى الحضور ليُقلِّدوه بعد أن أمره بتقليل الاحتياط.

أولاده

أنجب الشيخ صاحب الجواهر رحمه الله ثمانية أولاد ذكور، أعقب كلُّهم إلّا الشيخ حسين الذي توفي في شبابه قبل أن يتزوّج. وقد توارث أولاده كابراً عن كابر العلم والفضيلة وزعامة النجف، فأصبحت أُسرته من الأُسر العلميّة التي لها مكانها المرموق، وزعامتها المعترف لها.

أساتذته وتلامذته

أخذ عن الشيخ جعفر كاشف الغطاء صاحب (كشف الغطاء) وولده الشيخ موسى، وعن السيد محمد جواد الحسيني العاملي صاحب (مفتاح الكرامة)، وعن السيد أبي الحسن الحسينيّ العامليّ، وعن الشيخ قاسم محي الدين، وغير هؤلاء من تلامذة الوحيد البهبهانيّ وبحر العلوم. وقد نشطت الحركة العلميّة في النجف الأشرف في عهد شيخنا صاحب الجواهر، وأقبل طلّاب العلم على الهجرة اليها، وكان درسُ الشيخ بالخصوص ملتقى النوابغ والمجتهدين من الطلاب، فتخرّجت على يديه جماعةٌ كبيرة من أعلام الفقه، انتشر أكثرهم في البلاد.

غلاف مجلّد من «جواهر الكلام»

من أبرز مؤلفاته

من أبرز مؤلفاته رضوان الله عليه:

١- (جواهر الكلام): الموسوعة الفقهيّة التي فاقت جميع ما سبقها من الموسوعات سعةً وجمعاً، وإحاطةً بأقوال العلماء وأدلّتهم، مضافاً إلى أنّه كتابٌ كامل في أبواب الفقه كلّها، جامعٌ لجميع كُتُبه. وثمّة ميزة ثالثة تفرَّد بها هي أنّه على نسقٍ وأسلوب واحد، وبالسعة نفسها التي ابتدأ بها انتهى إليها. وميزة رابعة، فالمجتهد يستطيع أن يطمئنّ إلى استنباط الحكم الشرعيّ بالرجوع إليه فقط، وليس له أن يطمئنّ إلى ذلك عند الرجوع الى ما سواه في أكثر المسائل الفقهية، حتى في هذه العصور الأخيرة، وخاصّة أنّه احتوى على كثير من التفرّعات الفقهيّة النادرة، بما قد لا تجده في غيره من الموسوعات الأخرى، فهو جامع لأمّهات المسائل وفروعها.

وحدَّث الشيخ آقا بزرك الطهراني صاحب (الذريعة) عن بعض العلماء أنّه قال: «لو أراد مؤرّخ زمانه أن يُثبت الحوادث العجيبة في أيامه، ما يجد حادثة بأعجب من تصنيف هذا الكتاب في عصره».

وجاء في (تكملة أمل الآمل)، أنّ الشيخ قال في جملة كلام له مع تلميذه فقيه عصره الشيخ محمد حسن آل ياسين عن كتاب (الجواهر) في قصة طويلة: «... والله يا ولدي أنا ما كتبتُه على أن يكون كتاباً يرجع اليه الناس، وإنّما كتبته لنفسي، حيث كنت أخرج الى (العذارات)، وهناك كنت أُسأل عن المسائل وليس

عندي كتبٌ أحملها، لأنّي فقير، فعزمت على أن يكون لي مرجعاً عند الحاجة. ولو أردتُ أن أكتب كتاباً مصنّفاً في الفقه، لكنت أُحبّ أن يكون على نحو (رياض المسائل) للسيّد علي رحمه الله».

وعلّق على هذا الخبر السيّد الصدر صاحب (التكملة) رحمه الله بقوله: «هذا يدلّ على أنّ صاحب الجواهر لمّا كتبه لم يكن في خاطره شيء من لوازم حبّ الجاه والسمعة والتعريف، وإنّما كتبه لنفسه وقضاء حاجته لا غير».

وقد هنّأه بإتمام كتابه (جواهر الكلام) كثيرٌ من شعراء عصره، كالشيخ موسى شريف، والشيخ عبد الحسين بن الشيخ قاسم محي الدين، والشيخ ابراهيم قفطان، وصهره على ابنته السيد صالح القزويني، وتلميذه العلّامة السيد حسين بحر العلوم رحمه الله بقوله من قصيدته:

لـلّه علمـُك كـم وكـم وضُحـــت بـه

سننُ الهدى حتى اهتدى حيرانُها

كـم من يدٍ مشكـورةٍ لك في الورى

صـافٍ نـداها سـابـغٌ إحـسـانُـها

لـو لـم تكـن إلا جواهرُك الـتي

أحـيا شـريعـةَ أحـمـدٍ بـرهـانُـها

لكـفَـتْك بين ذوي العلوم فـضيـلـةً

شـهدت بأنـك فـيهـمُ سـلطـانُـها.

يقول رحمه الله في خاتمة هذا الكتاب: «وحيث قد منّ الله تعالى شأنه علينا بقبول توسُّلنا بمحمّدٍ ﷺ وأهل بيته، خصوصاً أسد الله الغالب، باب مدينة العلم منهم، الذي كان استمدادنا وإمدادنا من أنواره بأن وفّقنا لأن أتينا بما قصدناه ووفينا بما وعدناه فلنحمد الله تعالى شأنه ونشكره على نِعمه الوافرة وأياديه المتظافرة وآلائه المتكاثرة "..." تمّ كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام) في ليلة الثلاثاء ثلاثة وعشرين في شهر رمضان المبارك، ليلة القدر التي كان من تقدير الله تعالى فيها أن يتفضّل علينا بإتمام الكتاب المزبور "..." من سنة الألف والمأتين والأربع والخمسين من الهجرة النبوية على مهاجرها ألفُ ألفِ صلاة..».

٢- (نجاة العباد في يوم المعاد): رسالة عمليّة فتوائيّة لعمل مقلّديه، وقد اعتمد عليها الشيخ الأنصاريّ، فوقّعها لعمل مقلّديه، وعلّق على موارد اختلاف نظره في الحاشية، فحذا حذوَه العلماء بعده، فكثُرت الحواشي على (نجاة العباد).

٣- (هداية الناسكين من الحجّاج والمعتمرين): ترجمه ملّا عليّ بن ميرزا خليل الطهرانيّ إلى الفارسية، وشرحه الملّا محمّد حسين القمشهي.

وقد عثر الدكتور العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي دام ظله، على نسخة من (هداية الناسكين) في بعض مكتبات المملكة العربيّة السعوديّة، تـمّتْ مطابقتها وتحقيقها من قِبَلِه على كتاب الجواهر، وتمّ طبعها.

مدخل مقبرة «صاحب الجواهر»

وفاته و مرقده

توفّي شيخنا صاحب الجواهر في غرّة شعبان يوم الأربعاء عند زوال الشمس سنة ١٢٦٦ للهجرة في النجف الأشرف، ودُفن في مقبرته المعروفة والمجاورة لمسجده المشهور، وعلى مرقده قبّة من الكاشيّ الأزرق، وهي اليوم مزارٌ بارز يقصدها الزائرون ويتبرّكون بها، وقد أرّخ عام وفاته حفيدُه العلّامة الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد علي، بِبيتَين كُتبا في مرقده:

ذا مرقـد الحسن الزاكـي الذي انـدرجت

أسرارُ أحـمـد فيه بـل ســـرائـرهُ

أودَى وَمُـذ أيـْتـَـمَ الإسْـلام أرّخـته

(بَـيْـنَ الأنـام يَـتِـيـمات جَواهِـرهُ)

١٢٦٦ للهجرة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أهميّة التآزر وتصدّي الجماعة

المرجع الراحل الشيخ محمد أمين زين الدين

استكمالاً لوصية المرجع الديني الراحل الشيخ محمد زين الدين رضوان الله عليه حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تنشر «شعائر» القسم الثاني من هذه الوصيّة، والذي يتناول شروط تصدّي الجماعة، وأهميّة التآزر على أداء هذه الفريضة الإلهية.

تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الوصيّة وردت في رسالته العمليّة (كلمة التقوى).

أهمية تآزر المؤمنين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يجب التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر بين الأفراد والجماعات من المؤمنين، فكلّ فردٍ منهم يأمر نفسه ويأمر الآخرين بفعل المعروف الواجب، وينهى نفسه وينهى الآخرين عن ارتكاب المنكر المُحرَّم، ويجب عليهم التواصي بالحقّ وإقامته، والتواصي بالصبر على الطاعات، والصبرِ عن المعاصي، وخصوصاً إذا اعتِيد بين الناس تركُ المعروف وارتكابُ المنكر، فيجب على المؤمنين أن يتآزروا على محوِ ذلك ما استطاعوا في أفعالهم وأقوالهم. وتحرُم المُجاهرة بين الأفراد والجماعات بترك المعروف، والتظاهر بفعل المنكرات، أو استسهال أمرها والتغاضي عن حدوثها. والمجاهرةُ بترك المعروف جرأةٌ كبيرة على الله، وإعلانٌ من العبد بترك واجباته. والتظاهرُ بالمنكر تجرُّؤٌ شديدٌ على الله، وإعلانٌ من العبد بفعل مُحرَّماته، ومن أجل ذلك يكونان أشدّ حرمةً وتمادياً في الغيِّ والعُتُوِّ عليه سبحانه، ومحاربةً صريحة له، ويجب تآزُرُ الأفراد والجماعات المسلمة على نبذ ذلك، والحيلولة عن وقوع هذا الداء العُضال.

وقد ذكرنا في أول الكتاب بعض النصوص المحذّرة من حصوله والمُخوِّفة من سوء عاقبته، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا أُمّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فَلْيَأذنوا بوقاع الهلاك من الله». والمُراد أن يترك كلُّ فرد، وكلُّ فريقٍ من الأُمّة الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر اتّكالاً على غيره، فلا يُقيمهما منهم أحدٌ. وفي حديث طويل للإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام، ذكرَ فيه رفض الناس لهذه الفريضة في آخر الزمان، وابتغاءَهم المعاذير في تركها، ثمّ قال عليه السلام: «..هنالك يتمّ غضبُ الله عزّ وجلّ عليهم فيعمّهم بعِقابه، فيهلك الأبرار في دار الأشرار، والصغار في دار الكبار».

تصدّي الجماعة واجبٌ إذا كان شرطاً لتحقيق النتائج

يجب الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر على الجماعات كما يجب على الأفراد. فإذا كان الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر لا يتأدّى إلا بقيام جماعة متعدّدين به، ولا يكفي فيه أن يتصدّى له فردٌ واحد، وجبَ على الجماعة أن يجتمعوا ويدعو بعضهم بعضاً إلى ذلك، فيأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، متعاونين بينهم متآزرين على امتثال التكليف به، سواءً كان المعروف الذي يأمرون به والمنكر الذي ينهون عنه من فعل شخص واحد، فلا يأتمر ذلك الشخص ولا يفعل المعروف الذي تركه إلا إذا اجتمع جماعة من الناس على أمره، ولا ينتهي ولا يرتدع عن المحرّم إلا إذا اجتمعوا على نَهيه وزجرِه، أم كان المعروف والمنكر من فعل أشخاصٍ متعدّدين، فلا يأتمرون ولا ينتهون إلا بتعاون جماعة على أمرِهم ونَهيِهم، ولا يسقط الوجوب عن الجماعة بقيام فرد واحد بالأمر والنهي، لأنه لا يكفي في الأداء بحسب الفرض. وإذا ترك الجماعة ولم يؤدّوا التكليف أَثِمُوا جميعاً، وإذا استجاب آحادٌ لا يكفون لامتثال التكليف وترك الباقون، سقط الوجوب عمّن استجاب، وَأَثِمَ الآخرون الذين لم يستجيبوا.

متى يسقط تكليف التصدّي

إذا وجبَ الأمرُ بالمعروف أو النهي عن المنكر، وقام به بعض الأفراد أو الجماعات من المكلّفين به، لم يسقط الوجوب عن المكلّفين الآخرين بمجرّد تصدّي أولئك النفر القائمين، حتى يعلم أنّ القائمين بالأمر قد أتمّوا الغَرَض، وتحقّقت بفعلهم الغاية المطلوبة، والعلاج المقصود، أو يثبتَ ذلك بالبيِّنة الشرعيّة أو الاطمئنان العُقلائي الكافي. وأولى من ذلك ما إذا اطْمَأَنَّ المُكلّف بقيام الآخرين بالأمر والنهي، أو اطمأنَّ بأنَّ القائمين يكفون في تحصيل الواجب، ثم استبانَ له خلافُ ذلك، فيجبُ عليه التصدّي والقيام بالأمر والنّهي.

«الرؤيا الصادقة»

مخطوطة هي عبارة عن قصة منام رآه في جزين سنة ٩٦٥ هجرية أحدُ تلامذة الشّهيد الثاني بعد استشهاده، والتلميذ هو الشيخ محمد علي الجبائي.

وصلنا من مركز «الفقيه العاملي» للمخطوطات، نسختان من مخطوطة «الرؤيا الصادقة»، وهما كما يلي:
١- نسخة بخط السيد محمد بن محمد بن قاسم العيناثي العاملي مؤلف كتاب (أدب النّفس) وتقع في ست عشرة صفحة.
٢- نسخة ثانية مصدرها جامعة طهران، موجودة ضمن مجموعة خطيّة مُعنونة باسم (دستور). رقم المجموعة ٢١٤٤، وتقع هذه النسخة في ست صفحات.

الصفحة الأولى من النسخة الأولى:

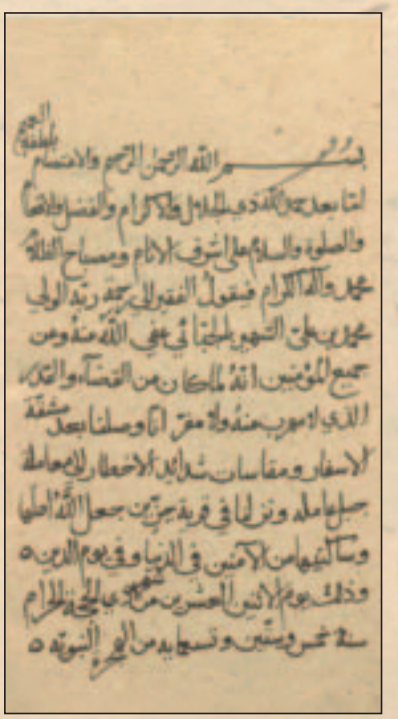

الصفحة الأخيرة من النسخة الأولى:

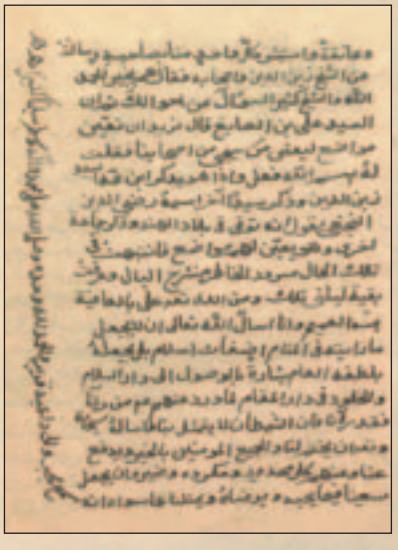

ص١ النسخة الثانية:

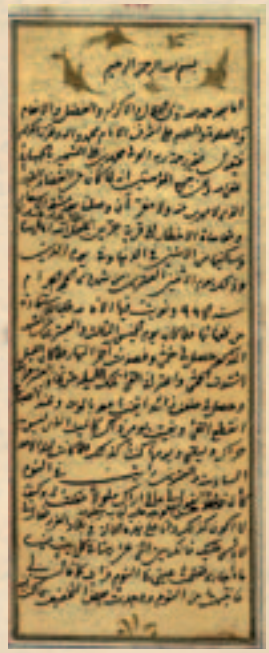

ص٦ النسخة الثانية:

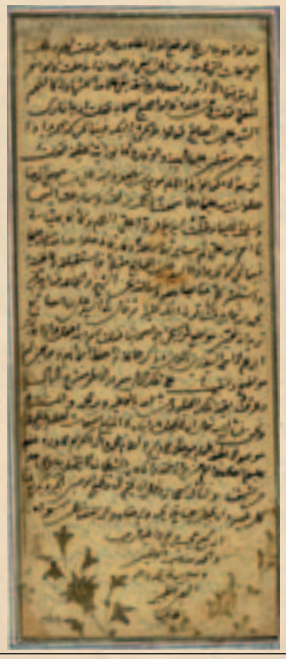

ص٢ من نسخة ٢

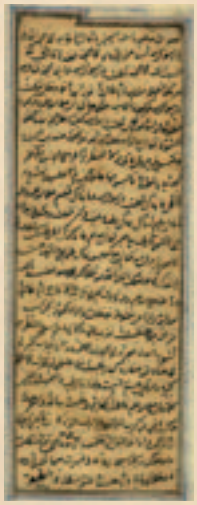

ص ٣ من نسخة ٢

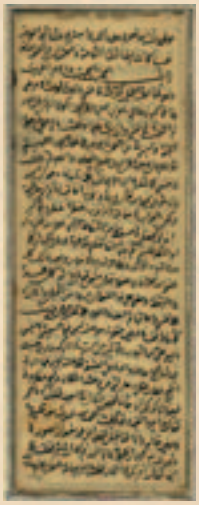

ص٤ من نسخة ٢

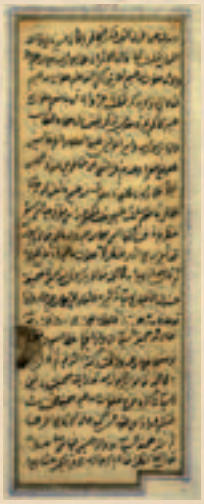

ص٥ من نسخة ٢

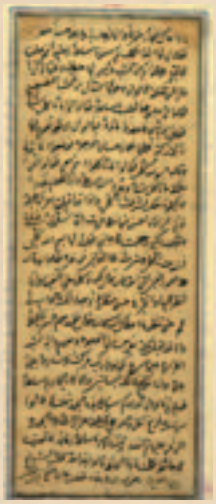

من مخطوطات مركز
الفقيه العاملي
www.alameleya.org

أخلاقيّة السّلام العالمي

محمود حيدر*

ثمّة من يرى أنّ الحياة الإنسانية اليوم بحاجة إلى حدّ أدنى من المبادئ الأخلاقية المشتركة تحظى بإجماع عالمي. وأيّاً تكن الاجتهادات في هذا المجال، فالديانات قادرة بلا شك على توفير المصادر الضرورية لصياغة عالمية جديدة بالتعاون المستمر بين أتباعها، حتى في ظل الانقسام والصراع والعنف والتعصّب المستمر، كذلك بإمكانها تقديم رؤية شاملة أو ربّما عالميّة تؤكّد على الحاجة للتضامن الإنساني ومواجهة مواقف الانقسام.

وإذا توافرت إمكانية واقعية لتطبيقها وتجنيدها في المحاولة لصياغة أخلاق عالمية جديدة، يتوجّب على عالم الإيمان أن يلتمس التحديات الداخلية الجوهرية.

ويستطيع المسلمون والمسيحيون الوصول إلى اتفاق استراتيجي على المستوى الفكري، قائم على احترام التغاير، لخلق إمكانية واقعية لمعالجة إشكالات النظام العالمي الراهنة.

إنّ صياغة شراكة فعّالة بين الأديان هو الهدف النهائي للإنسان على الأرض، بما يؤمّن قاعدة لِأخلاق مشتركة نابعة من روح دينيّة عالميّة موحّدة. إنّ رسالة الإسلام التي ترى في الإنسان خليفة الله على الأرض، تدعو إلى تغيير العالم وإلى خلق نظام اجتماعي أخلاقي وعادل. بينما ترى المسيحية أنّ المصير النهائي للإنسان الذي كُلِّف وحده بمهمّة خدمة الرب، أن يكون عاملاً في التحوّل الروحي لهذا العالم.

ولإن الهندسة المعرفية لهذا العمل لم تُنجز بعد، فبالإمكان وضع تصور إجمالي يستند إلى مفهومين دينيّين أساسيّين:

الأول: التوحيد، بما هو الأساس الوطيد للدين الوحي.

الثاني: الخلافة، التي تمثل جوهر صلة العبد بربّه، وتحمل في ثناياها أعظم مسؤولية أخلاقيّة. وبما أنّ الله منح الإنسان الخلافة، فعلى الإنسان بالمقابل أن يجتهد لإكتساب الصفات التي ينسبها الله لذاته. لا شكّ أنّ الإنسان أسمى المخلوقات، وقد وُضعت كلُّها في خدمته، ولكنّ دوره كخليفة ينبغي أن يتجلّى في الأعمال الخيّرة التي يقوم بها لا نحو الإنسانية فحسب، بل أيضاً نحو كلّ ما يدبّ على وجه الأرض. ولكن يمكن المجادلة بأنّ أخلاق الإنسان مقصورة في حديث واحد: «**الخلق عيال الله وأحبُّهم إليه أنفعُهم لعياله**».

وهذان المفهومان، التوحيد والخلافة، يشكّلان أساساً لرؤية تُفضي إلى استعادة التوازن لأبعاد الحياة كافّة، «لعيال الله». وفي الواقع، فإنّ نقد الإسلام في بدايته الأولى، للمجتمع المكّيّ المختلّ التوازن، قابل تماماً لأنْ يُطبَّق اليوم على النظام العالمي الراهن.

يعزّز مفهوما التوحيد والخلافة، رؤيةً يمكن ترجمتها إلى نظام لترتيب الشؤون الإنسانيّة المتمركزة على إنجاز العدالة العالمية، وذلك بإيجاد توازن بين الحاجات الشرعية والطموحات الفردية والاجتماعية، وكذلك إلى مسؤولية متبادلة بين العبد وخالقه في إطار مقدس ومتسامٍ.

فعلى مستوى توزيع الثروة، يتضمن التوحيد في هذا السياق، الامتلاك المطلق لكلّ الثروات. أمّا الخلافة، فتدلّ على حرية التملك والتجارة كعهدة من الله. وتسعى هذه الرؤية إلى العدالة المؤسسة على الإيمان، على أن الناس يمتلكون حقوقاً متساوية في الحياة. الكريمة، وهنا تُستبدَل علاقات المنافسة والإستلاب، بعلاقات التعاون المُثمر والالتزام المتبادل بالعدالة والمساواة، دون انتقاص من الحرية والتطوّر والكفاءة وتحقيق كلّ الحاجات. ويتمّ التوازن بين متطلبات التنمية الاقتصادية والحفاظ على البيئة. أمّا فكرة الخلافة، فتستدعي مسؤولية الحفاظ على جغرافية الإنسان المعاصر وحمايتها وساكنيها من الخراب والدمار، وذلك تأسيساً على المزايا التي منَّ بها الله على خليفته.

عندما كتب الفيلسوف إيمانويل كانط مشروعه للسلام الدائم في العالم قبل أكثر من مائة وخمسين عاماً، كان مدفوعاً بشغفٍ مرير من أجل أن لا تتحول المدن - كما كان يقول - إلى مقاهي مؤقّتة تقابلها مقابر أبدية.

* * *

لم يكن يهمّ كانط يومئذٍ أن يسقط فعل الكتابة لديه ليصبح مجرد أحلام كاذبة، وكان يقول: «ينبغي ألّا يكون هناك حربٌ أصلاً...». ولقد أراد أن يتحول بالسلم العالمي من كونه موضوعة رجاء دينيّة، إلى مشروع فلسفيّ غايته تهذيب الإنسان الحديث، والارتقاء به من بربرية المتوحّشين القائمة على العنف والحرب، إلى ما يسمّيه بـ «الضيافة الكونية». كانت غايته الكبرى إنجاز مشروع سلام دائم يُحلِّق في أُفق المواطنة الكونيّة.

* باحث في الفكر الفلسفي

معهد واشنطن.. والحرب القادمة

أعدّ «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى» تقريراً من مائة صفحة، تحت عنوان: «إذا حانت ساعة حرب إسرائيل ضدّ حزب الله وحلفائه». وفي ما يلي تعليقان على التقرير لكلّ من «جيفري وايت» - وهو باحث في مجال الدفاع، والرئيس السابق لمكتب التقويمات العسكريّة الإقليميّة للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في «وكالة الاستخبارات المركزيّة»، أي الـ CIA-. و «أندرو إكسوم» وهو ضابط سابق في الجيش الأميركيّ، خدم في العراق وأفغانستان، ويشغل حالياً موقع «باحث في مركز الأمن الأميركيّ الجديد».

يقول وايت إنّ الأشهر القليلة الماضية شهدت نقاشات كثيرة حول تزايد التوتُّرات بين "إسرائيل" وحزب الله، فيما يتوقّع كثيرون اندلاع حرب أخرى بينهما في المدى القريب، وإذا حدث ذلك، فسيكون له أثر تحوّليّ على الأرجح، سواء في "إسرائيل" أم في لبنان، أو حتى في الشرق الأوسط بأسْره. ومن المرجَّح أن تكون حرب كهذه كثيفة ومدمِّرة وواسعة النّطاق، وستشمل كُلّاً من "إسرائيل" وحزب الله والجيش اللبنانيّ، وربّما سوريا وإيران وحماس. ورأى وايت أنّ حزب الله بدوره يُعدّ نفسه للحرب، فقد قام ببناء قوّاته الصاروخيّة والقذائفيّة ودفاعاته الجويّة، وهو يملك الآن أربعة أضعاف عدد الصواريخ والقذائف الأكثر دقّة مقارنة بعام ٢٠٠٦، وفي حال اندلاع حرب جديدة، ستقوم هذه الجماعة على الأرجح بشنّ هجمات صاروخيّة وقذائفيّة ثقيلة ومستمِرّة على كلّ الأهداف العسكريّة والمدنيّة في شمال "إسرائيل" ووسطها، وهي هجمات ستكون لها دلالات إلى سُبل خَوْض الجيش "الإسرائيليّ" الحرب، خصوصاً ما يتعلّق بالعمليّات الهجوميّة في عمق لبنان. وعن الدَّوْر السوريّ والإيرانيّ المحتمَل، أشار وايت إلى أنّهما مستعدَّتان للحرب، على رغم الغموض الذي يحيط بإمدادهما حزب الله بمساعدات تزيد عن القيام باتصالات وعمليّات استخباريّة "..".

بدوره يسأل إكسوم عن إمكان أن تخسر "إسرائيل" الحرب مجدّداً؟ ويجيب: «بِغضّ النظر عن مدى استنزاف قوّة حزب الله في نهاية حملة مطوَّلة، فإنّ قيام مستقبل تكون فيه "إسرائيل" احتلّت مرّة أخرى جزءاً كبيراً من لبنان سيكون كابوساً استراتيجيّاً، ففي الأعوام ١٩٩٣ و١٩٩٦ و٢٠٠٦، اتّبعت "إسرائيل" استراتيجيّات اعتمدت أوّلاً على القوّة الوحشيّة لخَلخَلة القوة القتاليّة لحزب الله من خلال استعمالها سلاح الجوّ والمدفعيّة، وثانياً العمليّات القتاليّة البريّة عام ٢٠٠٦، وثالثاً السياسة لإضعاف حزب الله في الداخل اللبنانيّ من خلال دعم مُناوئيه، غير أنّها فشلت في كلّ الحالات لأنّها أساءت فهم طبيعة القوّة السياسيّة والعسكريّة لحزب الله».

وإذ أشار إكسوم إلى أنّ حملات العقاب "الإسرائيليّة" السابقة أثارت في الواقع دعماً شعبيّاً للجهود المسلّحة التي يقوم بها حزب الله، رأى أنّ شنَّ حرب بريّة كثيفة في لبنان قد يزيد من عزلة "إسرائيل" دوليّاً، فلبنان ليس غزّة ولا يمكن عَزْله عن الإعلام الغربيّ والعربيّ. وهو يُقرّ بأنّ "إسرائيل" تُرفع إلى قدر إنسانيّ أعلى من لبنان لدى المجتمع الدوليّ، لكنه يشير إلى أنّ الموت الحتميّ للمدنيّين ووجود اليونيفيل، يمكن أن يُسهِما في تقويض صورتها في الإعلام وإضعاف مكانتها الدوليّة. ورأى إكسوم أنّ الجيش اللبنانيّ سيكون قادراً على تحمُّل المزيد من الإصابات لأنّه سيشارك على الأرجح في القتال، حيث إنّ غالبيّة الوحدات المنتشِرة في الجنوب تتكوّن من المقيمين في تلك المنطقة الذين لهم مصلحة خاصّة تُحتِّم عليهم الدفاع عن منازلهم وقُراهم. وعن البدائل المحتمَلة "لإسرائيل"، قال: «هناك بديل واحد هو الحفاظ على الوضع الرّاهن، فالرّدع هو استراتيجيّة للسلام، وعلى رغم أنّ حزب الله قد لا يسعى إلى تحقيق السلام على المدى الطويل، إلّا أنّ من الواضح أنّه يحاول منع "إسرائيل" من الهجوم على لبنان من خلال التلويح باستخدام القوّة».

واعتبر إكسوم أنّ من الحماقة أيضاً بالنسبة إلى "إسرائيل" أن تقوم بحملة عقابيّة أخرى ضد حزب الله والشعب اللبنانيّ، فمثل هذه الحملة لن تؤدّي إلى جلب سلام أفضل من الذي تتمتّع به هي حاليّاً، بل ستُسهم في الواقع في عزْلها دوليّاً في صورة أكثر مِمّا هي عليه الآن. وأضاف: «على "إسرائيل" أن تواصل تنفيذ الرّدع الذكيّ من خلال إرسال رسالة مسبَقة حول ما يمكن أن يحدث إذا اندلع صراع جديد، وإذا وقعت الحرب بالفعل، عليها أن تتحلّى بضبط النفس وتتّبع أهدافاً يُمكن تحقيقها، وهذا قد يعني حرباً أصغر وأقصر لإضعاف القدرات العسكريّة لحزب الله وليس محوها، فحرب واسعة لن تكون في صالح "إسرائيل" أو لبنان أو الولايات المتحدة، ولكن في الحقيقة قد يكون ذلك المسار هو الطريق الذي تتّجه نحوه المنطقة».

«رسالة السير والسلوك»
المنسوبة إلى السيد بحر العلوم

كتابٌ مرجعيٌّ في تزكية النفس، وقد اختلف فيه العلماء، فهل ألّفه المرجع الكبير المقدّس السيد مهدي بحر العلوم (ت١٢١٢ هـ)، أم أنه يُنسب إليه؟

أُتيح لهذا الكتاب أن يحظى بعناية خاصّة من عَلمين؛ هما العلامة السيد الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان)، وتلميذه الكبير الموسوعيّ العلامة السيد محمد حسين الطهراني قدّس سرّهما، وتجد في ما يلي رأي العَلمين وعنايتهما بالكتاب.

تجدر الإشارة إلى أنّ عرض النص هو اختصار لمقدمة العلامة الطهراني رحمه الله.

جاء في مقدّمة هذا الكتاب بقلم الفقيه الراحل السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني قدّس سره:

اتّفق في زمن اشتغالي بالتحصيل في الحوزة العلميّة المقدّسة في قم، أن وقعت بيدي رسالة خطّيّة تحمل عنوان (تُحفة المُلوك في السير والسلوك)، منسوبة إلى مولانا السيّد مهدي بحر العلوم. وكانت النسخة عائدة إلى حجّة الإسلام الشيخ عبّاس الطهراني. وقد استحوذت تلك النسخة على اهتمامي، فاستعرتُها ونسختُ منها نسخة لنفسي سنة ١٣٦٦ هـ، بَيدَ أنّها كانت نسخة مغلوطة إلى درجة كبيرة، بحيث تسرّب الإبهام إلى بعض مواضعها، ولذا فقد سعيتُ في الحصول على نسخة صحيحة من الرسالة المذكورة، لأقوم بتصحيح النسخة الأولى على أساسها.

فلمّا تشرّفت بالذهاب إلى النجف الأشرف للدرس والتحصيل، عثرتُ على نسخة أخرى منها لدى حجّة الإسلام الشيخ عبّاس هاتف القوتشانيّ، فاستعرتُها منه، ثمّ اتّضح أنّها كانت لا تقلّ عن سابقتها في الأغلاط، فلم تنفع إلّا في تصحيح موارد معدودة.

ثمّ حصل بعد عودتي من النجف الأشرف سنة ١٣٧٦ هـ، أن تشرّفت بالمثول في محضر الأستاذ المكرّم العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه العالي، فأخبرني أنّ لديه نسخة من هذه الرسالة على درجة كبيرة من الصحّة استنسخها بيده. وهكذا فقد استعرت منه هذه النسخة، فتفضّل بها كما هي شيمته دوماً، فاستنسختُ هذه النسخة التي بين أيديكم، والتي تُعدّ على درجة كبيرة من الصحّة والاعتبار، هذا من جهة تأريخ النسخة و صحّتها.

أمّا عن انتسابها إلى السيّد مهدي بحر العلوم، فقد سمعتُ مشافهة من المرجع الديني الميرزا السيّد عبد الهادي الشيرازيّ أنّه قال: «أظنّ ظنّاً قويّاً أنّ هذه الرسالة، عدا فقراتها الأخيرة، هي من تأليف وإنشاء بحر العلوم».

كما سمعتُ شفاهاً من العلّامة الخبير الشيخ آقا بزرك الطهراني -وهو من مشايخي في الإجازة- أنّه قال: «عندي أنّ هذه الرسالة عدا أواخرها هي بقلم المرحوم بحر العلوم».

وقال رحمه الله في (الذريعة): «رسالة في السير والسلوك، تُنسب إلى سيّدنا بحر العلوم السيّد مهدي بن مرتضى الطباطبائيّ البروجرديّ النجفي، المتوفى ١٢١٢هـ، فارسيّة في ألفي بيت، لكنّها مشكوك فيها، والنسخة موجودة في النجف في بيت بحر العلوم». إلى أن يقول: «ورأيتُ نسخة أخرى فيها زيادات وبسط ألفاظ وعبارات، سمّاها في أوّلها: (تُحفة الملوك في السير والسلوك) وإنّها لبحر العلوم... ومرّت (رسالة السير والسلوك) المعرّبة لهذه الرسالة في ج ١٢، ص ٢٨٢».

ويقول العلّامة السيّد محسن الأمين في (أعيان الشيعة) ضمن مؤلّفات بحر العلوم: «رسالة في معرفة الباري تعالى، فارسيّة، وفي تتمّة (أمل الآمل) أنّها ليست له على التحقيق». ثمّ يقول: «.. والظاهر أنّها الرسالة التي في السير والسلوك، وهي مشتملة على أُمور تناسب التصوّف ولا توافق الشرع، فلذلك جزم في تتميم (أمل الآمل) بعدم صحّة نسبتها إليه». ثمّ يقول: «وممّا يوجد فيها، أنّه عند قول ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ يلزم أن يستحضر صورة المرشد، وأنّ فيه الاستعانة بروحانيّة عطارد ..». إلى هنا ينتهي كلام السيّد الأمين، بَيدَ أنّه أخطأ في هذا الأمر، وذلك:

أوّلاً: لأنّه لم يرد في أيّ موضع من الرسالة استحضار وجه المرشد عند قراءة ﴿إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين﴾.

وثانياً: أنّ الإستعانة بروحانيّة عطارد، لم يرد ضمن رسالة بحر العلوم، بل هو كلام الناسخ، أورده بعد إكمال كتابة الرسالة ضمن ذكر أحواله، ولا ربط له بالرسالة أبداً.

وأمّا العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه، فقد قال: «قال البعض بأنّ هذه الرسالة متعلّقة بالسيّد مهدي بحر العلوم الخراسانيّ، إلا أنّ ذلك بعيد جدّاً، وقد اعتبر الشيخ إسماعيل المحلّاتيّ - وكان من أهل الدعوة - أنّ الرسالة بأجمعها عدا الفقرات الثانية والعشرين، والثالثة والعشرين، والرابعة والعشرين، التي وردت في نفي الخواطر والأفكار، هي للمرحوم السيّد مهدي بحر العلوم النجفي، وقد كان لدى الشيخ إسماعيل نسخة من الرسالة لم ترد فيها أساساً الفقرات المذكورة». وأضاف العلّامة الطباطبائيّ: «ويعتقد البعض أنّ هذه الرسالة هي ترجمة لرسالة المرحوم السيّد ابن طاوس، ويعتقدون أنّ في أصلها العربيّ - وهو غير موجود فعلاً - وفي عنوان النسخة التي أخذتها من المرحوم السيّد أبي القاسم الخونساريّ، مكتوب: (رسالة في السير والسلوك لابن طاوس)، **لكنّ أُستاذنا الأكبر آية الحقّ المرحوم الحاجّ الميرزا علي آقا القاضي رضوان الله عليه، يعتقد على وجه القطع واليقين، بأنّ هذه الرسالة بتمامها هي من تأليف المرحوم السيّد مهدي بحر العلوم**».

هذا، وقد قلتُ يوماً للأستاذ العلّامة الطباطبائيّ مُدّ ظلّه: «لقد طالعتُ الكثير من كتب الأخلاق والسير والسلوك والعرفان، إلّا أنّي لم أُطالع كتاباً يُماثل هذه الرسالة في شمولها ومتانتها، وأُصولها وفائدتها وسلاستها، وفي اختصارها وإيجازها، بحيث يمكن حملها في الجيب والإستفادة منها في الحلّ والترحال»، فتعجّب العلّامة من كلامي وقال: «لقد سمعتُ نظير هذه العبارة من المرحوم القاضي رضوان الله عليه، فقد قال: لم يُدوَّن كتاب في العرفان بمثل هذه النزاهة وكثرة المطالب».

وعلى أيّ حال، يُستنتج من القرائن التي نذكرها، أنّ جميع هذه الرسالة من إنشاء السيد بحر العلوم، للأسباب التالية:

أوّلاً: إنّ العالم النقّاد الخبير، الفقيه والمتكلّم الأصوليّ، المرحوم الشيخ محمّد رضا الأصفهانيّ، صاحب كتابَي (وقاية الأذهان) و(نقد فلسفة داروين)، يَعدّ الرسالةَ من تأليف بحر العلوم، كما أشار إلى ذلك آقا بزرك الطهراني في الجزء الثاني عشر من (الذريعة)، وقد ذكر أنّ مكان تأليفها هو كرمانشاه.

ثانياً: إن المرحوم السيد القاضي رضوان الله عليه، وكان قِمّة الفنّ، والجامع بين الظاهر والباطن، وأُستاذ الأخلاق والمعارف، قد عدّها للمرحوم بحر العلوم، ولا يُمكن الإغضاء بسهولة عن شهادة مثل هذا العَلَم الوازن العلميّ في عالم المعارف.

ثالثاً: إنّ الأفراد الذين نفَوا كون القسم الأخير للرسالة من تأليف بحر العلوم، لم يمتلكوا غير الإستبعاد دليلاً على نفْيِهم هذا، مع أنّ إخراج جزء من الكتاب بمجرّد الإستبعاد المحض، أمر غير ممكن، ومع أنّ من الممكن أن تكون هذه الفقرات في نظر السيّد بحر العلوم، وبطريق صحيح، مورد النظر والعمل.

رابعاً: إنّ مَن ينظر إلى الرسالة يجد أنّها مدوّنة بإنشاء واحد وسياق واحد، ومؤلّفة وفق نهج بديع وأُسلوب لطيف وعبارات سلسة، وأنّ القسم الأخير من الرسالة، بل فقراتها الثانية والعشرون إلى الرابعة والعشرين، لا تختلف أدنى اختلاف في أُسلوبها ومنهج كتابتها مع سائر فقرات الكتاب، لكأنّ قلماً واحداً قد دوّنها، في تنظيم وتسلسل ونهج خاصّ، وهذا المعنى لا يتنافى مع ما سنذكره في بعض تعليقات الكتاب، من أنّ بعض مطالب هذا الكتاب قد وردت بعينها في عبارات بعض الأعلام، حيث إن اقتباس ونقل المطالب -مورد النظر من الكتب السالفة- ودرجَها في الكتب المؤلّفة، يُعَدُّ أمراً رائجاً ودارجاً بين الأعلام وأساتذة الفنون.

وأمّا نسبة الرسالة إلى المرحوم السيّد ابن طاوس، فأمرٌ بعيد عن الحقيقة، ذلك أنّ ابن طاوس من علماء القرن السابع، وكان مقيماً في الحلّة، وينحدر من السادات العرب، وكان عربيّ اللسان واللهجة، فَلا يمكن أن يؤلّف كتاباً بالفارسيّة بمثل هذا المنهج والأسلوب الخاصّ بالقرون المتأخّرة. كما يتّضح من أُسلوب الرسالة وتعابيرها، أنّها ليست مترجمة، فالقلم فيها قلم إنشاء لا ترجمة. يُضاف إلى ذلك أنّ الخبير بكتب السيد ابن طاوس يعلم أنّ سلوكه العمليّ كان يستند إلى المراقبة، والمحاسبة، والصيام، والدعاء، وأنّ كيفيّة السير والسلوك المذكور في هذه الرسالة لا ينسجم مع نهجه ومذاقه رضوان الله عليه.

خامساً: إنّ النسخة الأصليّة لهذه الرسالة، إنّما وُجدت في مكتبة بحر العلوم النجفي بعد ارتحاله، وهي نسخة موجودة ومحفوظة فعلاً لدى عائلة بحر العلوم، كما أنّ اسم الرسالة المذكورة لم يرد في ترجمة أيّ عالم قبل بحر العلوم، كما أنّ من الجليّ أنّها لم تؤلَّف بعد زمن بحر العلوم، فيتعيّن تسجيل زمن تأليفها في زمنه.

ولو قال أحد: من الممكن أن تكون الرسالة من تأليف بعض الفقهاء من ذوي السيرة العرفانيّة الذين عاصروا بحر العلوم، من أمثال المولى الشيخ محمّد مهدي النراقيّ، وأن يكون قد أرسلها إلى بحر العلوم!

فنقول: إن أسماء وأعداد تصنيفات أُولئك الفقهاء، والمرحوم النراقيّ بوجهٍ خاصّ، معروفة ومدوّنة، كما أنّ نجله الجليل المولى الشيخ أحمد النراقيّ لم يذكر في عداد مؤلّفات أبيه مثل هذه الرسالة. ويتبيّن ممّا مرّ، أنّ نسبة هذه الرسالة للسيد بحر العلوم، أقرب وأقوى والله أعلم، وبخاصّة مع ملاحظة أنه كان يمتلك مقام صفاء الباطن، ونورانيّة الضمير، والإلمام بالأسرار والمُغيّبات.

اللّـهُ (جَلَّ جَلالُهُ)

القيّوم. الرّحمن. الرّحيم

تقدّم «شعائر» وقفة وافية عند معنى لفظ الجلالة «أللّه» مع إلمام بمعنى القيّوم، والرّحمن، والرّحيم. وكلّ ذلك، من كتاب «المصطلحات الإسلاميّة» كما حدّدها العلامة الراحل السيّد مرتضى العسكريّ رحمه الله تعالى.

اللهُ جلَّ جلاله، إسم للإله الخالق، والرَّبُّ المُربِّي والرَّحمان الرَّحيم، والحيُّ القيّومُ إلى آخر أسماء الله الحسنى. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَـاءُ الحُسْنى..﴾ الأعراف:١٨٠.

وبناءً على ذلك فعندما نقول: «لا إله إلاّ الله» نعني: أنّ لا خالق ولا معبود إلاّ الذي هو ربٌّ، ورحمانٌ، ورحيمٌ، وَحَيٌّ، وقيُّومٌ إلى آخر أسماء الله الحُسنى.

وأخطأ مِن علماء اللّغة العربيّة مَن زعم أنّ «الله» أصله «إله» الذي هو إسم جنس للآلهة، ودخلت عليها الألف واللاّم للتعريف وصار «الإله»، ثمّ حُذفت الألف وأُدغِم اللاّمان فصار «الله»، وعندئذٍ يكون «إله» و«الله» مثل «رجل» و«الرجل». الأوّلان منهما إسما جنس لكلِّ الآلهة ولكلّ الرِّجال، والثانيان منهما عُرِّفا بالألف واللاّم وبهما شُخِّصَ الرّجل المقصود والإله المقصود. وعليه فإنّ معنى «لا إله إلاّ الله» يكون: لا إله إلاّ الإله الذي أقصده وأعنيه.

لقد أخطأ القائلون بهذا القول، فإنّ لفظ «الله» عَلَمٌ مرتجل باصطلاح النحويّين، سُمِّي به الذات الذي صفاته جميع الأسماء الحسنى، ولا يشاركه في التسمية غيره، كما لا يشاركه غيره في الأُلوهيَّة والرُّبوبيَّة.

وكذلك الأمر في اللّغة العبريَّة، فإنّ «يهوه» إسم للهّ وحده، و«إلْهَ» بمعنى «إله» و«إلوهيم» بمعنى الآلهة.

وعلى ما تقدّم من بحث يكون معنى «بِسْمِ اللهِ الرَّحمانِ الرَّحيم»:

أ ـ (بِسْمِ) أي: بحقيقة، بصفات.

ب ـ (اللهِ) ذاتُ البارئ المتّصف بجميع أسماء الله الحسنى.

ج ـ (الرَّحْمانِ والرَّحيم) خُصِّصا بالذكر من صفات ربوبيَّة الله.

إذاً، يكون المعنى: أستعين في تلاوة السورة برحمانيَّة الله الرَّبِّ ورحيميّته.

وفي إيراد البَسْمَلَةِ أوائل السور براعة استهلال، لأنّ جميع السور القرآنيّة تشرح جوانب من ربوبيَّة الله الرَّحمنِ الرَّحِيم وتُبيّنها، عدا سورة براءة التي لم يُبدأ فيها بالبَسْمَلَةِ.

القيّوم

من أسماء الله الحسنى ولا يوصف به سوى الله، ومعناه: القائم الحافظ لكلِّ شيء، والمُعطي له ما به قوامه.

الرَّحْمانُ وَالرَّحِيم

الرّحمان [الرحمة] من الإنسان: رقَّةُ قلب وتَعَطُّفٌ على المرحوم، ومن الله: إنعامٌ وإفضالٌ عليه.

والرّحيم يدلُّ على دوام اتّصاف الرَّاحِم بالرَّحمة، ويوصفُ البارئ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بالرَّحيم لاستمرار صدور الرَّحْمَةِ منه، ويوصف بها الإنسانُ الذي يرقُّ قلبه على الدوام.

والرَّحْمانُ يدلُّ على كثرة صدور الرَّحْمَةِ من الرَّاحِمِ ولا يُطلق إلّا على الله، لأنّ معناه لا يصحّ إلّا له، إذ هو الذي وسع كلّ شيء رحمةً، وعمَّت رحمتُه في الدّنيا المؤمن والكافر وجميع الخَلق، ودامت رحمتُه بالمؤمنين خاصَّةً يوم القيامة، فهو رحمان الدّنيا ورحيمٌ بالمؤمنين في الآخرة.

وبما أنّه ربُّ العالمين ومربِّي العالمين ومدبِّر أمرهم في الدّنيا، فهو رحمان الدّنيا؛ وبما أنّه يُجزي المؤمنين بحسنات أعمالهم في الآخرة، فهو رحيم بالمؤمنين في الآخرة.

إذاً، فإنّ الرَّحْمانَ والرَّحِيم هما من صفات الرَّبِّ، وهما والرَّبُّ والإله من صفات الله جلَّ اسمُه.

الإبستيمولوجيا

عندما يبحث العلم عن معناه

خضر إبراهيم

دخل هذا المصطلح الإبستيمولوجيا (Epistemology) حديثاً إلى ميادين البحث الفكريّة العربيّة. إلّا أنّه كثيراً ما أُسيء استخدامه مثل سواه من المصطلحات الأخرى التي أنتجتها الحداثة في الغرب. ومع ذلك، فإنّ الفكر الغربيّ نفسه وقع هو أيضاً في سوء هذا المصطلح عندما تمّ تداوله في الحقول المختلفة للعلوم الإنسانيّة.

ماذا يعني هذا المصطلح؟

الإبستيمولوجيا هو مصطلح جديد، استخدمه للمرّة الأولى الفيلسوف الإسكتلندي جيمس فريدريك فيريي (١٨٠٨-١٨٦٤) في كتابه (مبادئ الميتافيزيقا)، حيث قسّم الفلسفة إلى قسمين: أنطولوجيا وأبستيمولوجيا. أمّا بالنسبة إلى أصل هذا المصطلح، فهو مركّب من كلمتين يونانيّتين هما: (Epistémé) ومعناها علم، و(Logos) ومعناها نظريّة (دراسة، علم). وعليه يمكن القول أنّ معنى الإبستيمولوجيا من حيث الاشتقاق اللّغويّ هو دراسة العلم أو نظريّة العلم. إلّا أنّه اختُلف في دلالة (Epistémé) ههنا، هل هي المعنى لكلمة (Knowledge) الإنكليزيّة، وما في معناها من اللّغات، أم أنّها مرادفة لكلمة (Science) (علم) بالمعنى الحديث؟

ذهب الفرنسيّون بمعظمهم إلى اعتبار المعنى المُراد هو العلم بالمعنى الحديث، أي (Science) وهو موضوع الإبستيمولوجيا وميدانها، الذي تندرج تحته علوم الفيزياء، والكيمياء، والأحياء، وغيرها من العلوم البحتة، واتّسعت عند البعض لتطال علوماً أخرى لم ترقَ إلى مصافّ العلوم البحتة، كعلم الاجتماع وعلم النفس. هذا مع الإشارة الى أنّ كلمة (Science) مشتقّة من (Scientia) اللّاتينيّة، والتي كانت تُستعمل أيضاً كمرادف لكلمة (Knowledge) أي أنّها استُخدمت فيما مضى للدلالة على كلّ أنواع المعرفة، فيما تقتصر اليوم في دلالتها على خصوص ميادين بعينها. هذا التحوّل في دلالات الألفاظ وتطوّرها، الذي يسري على كلمة سوفيا (Sophia) اليونانيّة، والتي كانت تستعمل ككلمة جنس لكلّ أنواع العلوم، كذلك كلمة فلسفة (Phi-losophy) التي كانت إلى وقت قريب أمّ العلوم. فإسحق نيوتن الذي نصنّفه اليوم كفيزيائيّ، كان يُصنَّف في عصره كـ (فيلسوف طبيعيّ). ولعلّ الصورة الدلاليّة للكلمات والمصطلحات أنّها سوّغت للفرنسيّين التحويل الاستعماليّ أو النقل للمصطلح (Epistémé) من معناه العامّ والخاصّ أي من (Knowl-edge) إلى (Science). وهذا التغيير في المعنى الدلاليّ، هو في الوقت نفسه، تغيير للحقل المعرفيّ برمّته، وتالياً فنتائجه وآثاره كبيرة جداً. وبمعنى آخر، لقد أدّى هذا النقل إلى تغيير موضوع الإبستيمولوجيا برمّته. لقد أصبح موضوعها العلوم البحتة، أمّا مسوّغه فهو أنّ المعرفة العلميّة هي وحدها المعرفة الحقيقيّة.

لكنّ السؤال الذي أجمع عليه النقّاد، فإنّه يبقى ماثلاً في مجال النقاش المعاصر وهو:

إذا كانت الإبستيمولوجيا علماً للعلم ذاته، أفلا تحتاج هي نفسها إلى إبستيمولوجيا تكشف عن مشكلاتها والصعوبات التي تواجهها؟

لم يتوصّل الإبستيمولوجيّون إلى جواب قاطع عن السؤال بعد. وذلك لأنّ الشروط الداخليّة والخارجيّة التي يخضع لها العلم هي الشروط نفسها التي تخضع لها الإبستيمولوجيا. لذلك، فعلى الرغم من نزوعها العلميّ، وادّعائها الحياد في النقد، والتحليل، والتفسير، فإنّ العاملين في إطار مناهجها، غالباً ما يقعون في مطبّ الأحكام الإيديولوجيّة حيال الظواهر العلميّة.

عشر خصال

• رسول الله صلى الله عليه وآله: «جمع الله عزّ وجلّ لنا عشر خِصال، لم يجمعها لأحدٍ قبلنا ولا تكون في أحدٍ غيرنا: فينا الحُكم، والحِلم، والعِلم، والنبوّة، والسماحة، والشجاعة، والقصد، والصدق، والطهور، والعفاف. نحن كلمة التقوى، وسبيل الهُدى، والمثل الأعلى، والحُجّة العُظمى، والعُروة الوثقى، والحبل المتين، ونحن الذين أمر الله لنا بالمودّة، فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال، فأنّى تُصرفون؟».

• رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، بشِّر شيعتك وأنصارك بعشر خصال: أوّلها طِيب المولد، وثانيها حُسن إيمانهم بالله، وثالثها حبّ الله عزَّ وجلَّ لهم، ورابعها الفُسحة في قبورهم، وخامسها النور على الصراط بين أعينهم، وسادسها نزْعُ الفقر من بين أعينهم وغنى قلوبهم، وسابعها المَقتُ من الله عزّ وجلّ لأعدائهم، وثامنها الأمن من الجذام والبرص والجنون، يا عليّ وتاسعها انحطاط الذنوب عنهم، وعاشرها هم معي في الجنّة وأنا معهم».

• رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم يُعبَد الله عزّ وجلّ بشيء أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتّى يجتمع فيه عشر خِصال: الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقلّ كثير الخير من نفسه، ولا يسأم من طلب العلم طول عمره، ولا يتبرّم بطُلّاب الحوائج قِبَله، الذلُّ أحبُّ إليه من العزّ، والفقر أحبُّ إليه من الغِنى، نصيبُه من الدنيا القوت، والعاشرة وما العاشرة، لا يرى أحداً إلّا قال هو خيرٌ منّي وأتقى. وإنّما الناس رجلان: فرجلٌ هو خير منه وأتقى، وآخر هو شرّ منه وأدنى، فإذا رأى مَن هو خيرٌ منه وأتقى تواضع له ليلحق به، وإذا لقى الذي هو شرٌّ منه وأدنى قال: عسى خيرُ هذا باطنٌ وشرّه ظاهر، وعسى أن يُختم له بخير، فإذا فعل ذلك فقد علا مجدُه، وسادَ أهل زمانه».

• الإمام الباقر عليه السلام: «عشرٌ مَنْ لقى الله عزّ وجلّ بهنّ دخل الجنّة: شهادة أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء من عند الله عزّ وجلّ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، والولاية لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله، واجتنابُ كلّ مُسكِر».

• الإمام الصادق عليه السلام: «عشرُ خِصالٍ من صفات الإمام: العصمة، والنصوص (النصّ)، وأن يكون أعلم الناس، وأتقاهم لله، وأعلمهم بكتاب الله، وأن يكون صاحب الوصيّة الظاهرة، ويكون له المعجز والدليل، وتنام عينُه ولا ينام قلبُه، ولا يكون له فَيء، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه».

..وآدمُ
لولاك لم يُخلق

الشيخ جابر الكاظميّ الشاعر المشهور مخمّس الأزريّة، ينتهي نسبه إلى ربيعة بن نزار. ولد سنة ١٢٢٢ هـ، وتوفّي في صفر سنة ١٣١٣ هـ بالكاظميّة ، ودُفن في الصحن الشريف. كان نادرةَ عصره في الشعر والحفظ وحُسنِ الخطّ مع وَرع وتقوى وتعفُّف. ومن شعره قوله مخمّساً قصيدة عبد الباقي العمري في مدح النبيّ صلى الله عليه وآله:

***

نبيَّ الهُدى يا أبا القاسمِ ... وعِلَّةَ آدمَ والعالَمِ
ويا أيَّ مبتدأ خاتمِ ... تخيّرك اللهُ من آدمِ
وآدمُ لولاك لم يُخلقِ

بنورك لو لم يكن يستضيءْ ... لما كان للرُّشد يوماً يَفيءْ
لأنّك في الغيب قبلَ المجيءْ ... بجبهته كنتَ نوراً تُضيءْ
كما ضاءَ تاجٌ على مفرقِ

عُلاك وجوداً له سَبَّبا ... كذاك سجوداً له أوجبا
ومن قد أبى بالشقاء احْتبى ... لذلك إبليسُ لمّا أبى
سجوداً له بعد طردٍ شَقِي

بَراكَ الإله سنا مُلكهِ ... تَشعشَع كالعِقْد في سِلكهِ
فأنقذْتَ آدمَ من هُلكهِ ... ومعْ نوحٍ أذ كنت في فُلكهِ
نجا وبمن فيه لم يغرقِ

أضاء سنا نورِك المستطيلْ ... لِمن في نواحي السما من قبيلْ
وجلّلَ آدم فيه الجليل ... وخلّل نورَك صلبَ الخليل
فبات وبالنار لم يُحرقِ

لقد كنت أزكى نبيّ أمينْ ... وآدمُ ما بين ماء وطينْ
تقلّبتَ في الذكر في الراكعينْ ... ومنك التقلّبُ في الساجدينْ
به الذكر أفصحَ بالمنطقِ

رَقَيْتَ لأعلى مقام العَلاءْ ... فجاوزْتَ في فضلِك الأنبياءْ
أما والذي شاء سمْكَ السماءْ ... سواك مع الرسل في ايلياءْ
مع الروح والجسم لم يلتقِ

لقد عَقُمَتْ بَعدَك الأمّهاتْ ... فما وَضعتْ شِبْهَك الحاملاتْ
فإن عَلِقت في المدى المحصناتْ ... بمثلك أرحامُها الطاهراتْ
من النُّطَفِ الغرِّ لم تعلقِ

حُبِيتَ من الفضلِ في فَذِّهِ ... فكلُّ النبيّين لم تَحْذِهِ
وقد أُوثِق العهدُ من نَبْذِهِ ... فجئتَ من الله في أخْذِهِ
لك العهدُ منهمْ على مَوْثقِ

فأنت زعيمُ لواءِ الثناءْ ... وفي ظلّ إعزازِك الأنبياءْ
لهم عن لواءِ سواك التواءْ ... وفي الحشر للحمد ذاك اللواءْ
على غير رأسِكَ لم يَخفُقِ

ولمّا عَرَجْتَ لِمولى الأنامْ ... إلى قابِ قوسينِ كان المرامْ
لذلك لم تَعْدُ ذاك المقامْ ... وعن غَرضِ القربِ منكَ السهامْ
لدى قابَ قوسين لم تَمْرُقِ

عن الحقّ كم قد كشفتَ الغطاءْ ... وعن كلّ عين رفعتَ الغشاءْ
أما والذي فيك مدّ الضياءْ ... لقد رَمَقَتْ بك عينُ العماءْ
وفي غير نورك لم تَرْمُقِ

خُلِقْتَ لأجفانها مَطْبَقا ... فعدتَ بإنسانها مُحْدقا
ومثلُ المرايا صَفَتْ رَونَقا ... فكنتَ لمرآتها زئبقا
وصفوُ المرايا من الزئبقِ

أما والذي فيك أولى السعودْ ... وأنشا وجودك للناس جودْ
لقد أظهر الدهر فيك الوُدودْ ... فلولاك لاانْطمّ هذا الوجودْ
من العدم المَحْض في مطبقِ

ولولا وجودُك ما اخضرّ عودْ ... ولا قام للدِّين يوماً عمودْ
ولا رأت الغيبَ عينُ الشهودْ ... ولا شمّ رائحةً للوجودْ
وجودٌ بعِرنينِ مُستَنْشِقِ

ولا قد أعدّت لتمهيدهِ ... يَدُ الصنْعِ آباءُ تعديدهِ
ولا الأمّهات لتوليدهِ ... ولولاك طَفل موالِيدهِ
بحِجرِ العناصر لم يَبْعقِ

وإنّ السما والثرى في الأزلْ ... بك الله صانهما من خللْ
برتقٍ وفتقٍ وعقدٍ وحلْ ... ولولاك رتقُ السماوات والـ
أراضي لك الله لم يَفْتُقِ

ولولاك ما صوّرتْ خَلقَنا ... يدُ الصنع وابتدَعتْ صُنْعَنا
ولا خَفضت من ثرىً تحتنا ... ولولاك ما رَفَعَتْ فَوقَنا
يدُ الله فسطاطَ إستبرقِ

ولا خلقت لُجَّ يَمٍّ يموجْ ... ولا فلكاً جَزَّوه بالعروجْ
ولا نَظَمَت فيك درّاً أُجُوج ... ولا نَثرَتْ كفُّ ذاتِ البروجْ
دنانيرَ في لوحِها الأزرقِ

ولم تَتراءَ السما بحرَ ماءْ ... لآليه يَسْطَعُ منها الضياءْ
ولا كالسفينة صارت ذُكاءْ ... ولا طاف من فوق موج السماءْ
هلالٌ تقوّس كالزَّورقِ

ولا الـــروْض مـــاسَ بـأسـنى حُلَلْ ولا الـــزَّهـــرُ مـــدّ فـمـاً لـلـقُـبَـلْ
ولا رضِـــعَ الـطـلُّ تـــاجَ القلَلْ ولـــولاك مـا كـلّـلـت وَجْـنـةَ الـــ
بسيطة أيـــدي الحيـا الـــمُـغْـدقِ
ولا أرضَـعـت دَرّهـــا الـغـاديـاتْ بـنـاتِ الـنـبـاتِ بـمـهـد الـفـلاةْ
ولم تـنـضُ ثـوب الـثرى الغانياتْ ولا كسَتِ السُحب طفْلَ النَّباتْ
مـن الـلـؤلـؤ الـرّطْـب في بُخنقِ
ولا خـيّـمـت ديـمـــةٌ في رُبى ولا بـــرزت حُـورهـا مـن خِبا
ولا رقـصـت بِـنـتُ نَـبـتٍ صَبا ولا اخـتـال نـبـتُ ربىً في قبا
ولا راح يـــرفُـــل في قـرطـقِ
فـلـولاك مـا كـان ستّ الجـهـاتْ ولا دار قـطـبُ رحـى الكائناتْ
ولا اخـضـرّ دَوْح رجـاء العفاة ولـــولاك غـصـن نـقـا المكـرمـات
وحـــقّ أيـــاديـــك لم يـــورقِ
عَـلَـوْتَ الـسـمـا فَـعَـلا هـامُـهـا وزاد بـــمـــرآك إعـظـامُـهـا
فـشـعَّـت بـجـسـمِـك أجـسـامُـهـا وسـبـعُ الـسـمـاوات أجـرامُـهـا
لـغـير عـــروجـــك لم تُـخـرقِ
فـــآدم فـيـك نـجـا إذ عـصى وعـيـسى بـمـعـجـزة خُـصِّـصـا
وداود فـيـك رَمَـــى بـالحَـصـا ولـــولاك مُـثْـعَـنْـجَـرٌ بالعصا
لـمـوسى بـن عِـمـران لم يُـفـلَـقِ
وكـم للسماوات حُـجْـباً خرقتْ وكـم قَـد فَتقْتَ وكـم قـد رَتَـقْـتْ
وجـبـريـلَ بالسير كـم قـد سَبقتْ وأسرى بـك الله حـتى طَـرَقـتْ
طـرائـق بـالـوَهْـمِ لم تُـطـرقِ
نـزلـت بصلب رسـولٍ رسـولْ وفُـقْـتَ بأصلك أزكـى الأصـولْ
فـأهـبـطـك الله لا عـن خـمـولْ ورقَّـــاك مـــولاك بـعـد الـــنزولْ
عـلى رفـــرف حُـــفَّ بـالـنَّـمْـرَقِ
خُـلـقـت وذا الـدهـرُ لم يُـخـلـقِ ونـطـفـةُ آدم لم تَـعـلَـقِ
فـجـاوزتَ سبـقـاً مـدى الأسـبـقِ فـيـا لاحـقـاً قـطُّ لم يُـسـبَـقِ
ويـــا سـابـقـاً قـطُّ لم يُـلـحـقِ
صـعـدت عُـلـيً بـالـعـلى حائطا غـدا عـنـه هـامُ الـسـما ساقطا
ومـذ كـنـت عـن هـابـطٍ شاحِطا تـصـوَّبـت مـن صـاعـدٍ هابطا
إلى صُـلـب كـــلِّ تـقـيٍّ نقي
ومـذ كـان يشكو نَـواك الـوجـودْ ويـأمـلُ في الغيبِ منك الشُّهودْ
هـبـطـتَ فـشـرَّفـتـه بـالـورودْ فـكـان هـبـوطـك عَـينَ الـصـعـودْ
فـلا زلـت مـنـحـدراً تـرتـقي

حِكَم

من حِكم الحسنين عليهما السلام

«..علِّموا هذه الحِكم أولادكم، فإنها زيادةٌ في العقل والحَزم والرأي».

أمير المؤمنين عليه السلام

سأل أميرُ المؤمنين ابنه الحسن بن علي عليهما السلام فقال:

يا بنيّ ما العقل؟ قال: حِفظُ قلبك ما استودعتَه. قال: فما الحزم؟ قال: أن تنتظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك. قال: فما المجد؟ قال: حمل المغارم وابتناء المكارم. قال: فما السماحة؟ قال: إجابة السائل وبذل النائل. قال: فما الشحّ؟ قال: أن ترى القليل سرفاً، وما أنفقت تلفاً. قال: فما الرّقة؟ قال: طلب اليسير ومنع الحقير. قال: فما الكلفة؟ قال: التمسّك بمن لا يؤمنك والنظر فيما لا يعنيك. قال: فما الجهل؟ قال: سرعة الوثوب على الفرصة قبل الاستمكان منها والامتناعُ عن الجواب، ونِعم العون الصمت في مواطن كثيرة وإن كنت فصيحاً.

ثمّ أقبل صلوات الله عليه على الحسين ابنه عليه السلام فقال له:

يا بنيّ ما السّؤدد؟ قال: اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة. قال: فما الغِنى؟ قال: قلّة أمانيك والرّضا بما يكفيك. قال: فما الفقر؟ قال: الطّمع وشدّة القنوط. قال: فما اللّؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه، وإسلامه عرسَه.

قال: فما الخُرق؟ قال: معاداتك أميرَك، ومن يقدر على ضرِّك ونفعك. ثم التفت [أمير المؤمنين عليه السلام] إلى الحارث [الهمدانيّ] فقال: يا حارث! علِّموا هذه الحِكم أولادكم، فإنها زيادة في العقل، والحزم، والرّأي.

لُغَة

* بكر: بكر بالصلاة: صلاّها لأوّل وقتها. ومنه: «لا تزال أمّتي على سنّتي ما بكروا بصلاة المغرب». وبَكَرَ إلى الشيء بكوراً من باب [على وزن] قَعَدَ: أسرع أيّ وقت كان.

وبكّر بالتشديد مثله، ومنه حديث الجمعة: «من بكّر وابتكر». قالوا بكّر: أسرع، وابتكر: أدرك الخطبة. وبكّر بالصدقة، تصدّق قبل خروجه، ومنه: «باكروا بالصدقة، فإنّ البلاء لا يتخطّاها». وفي حديث عليٍّ عليه السلام في وصف المفتي: «بكّر فاستكثر»، أي ذهب بُكرة، يعني أخذ في طلب العلم أوّلَ شيء فاستكثر منه. ومَن بادر إلى الشيء فقد أبكر إليه، أي أسرع. وأتيته بُكرة، أي باكراً.

قال الجوهري: فإن أردت به بكرةَ يوم بعينه قلت: «أتيته بكرة» غير منصرف كأنه للتأنيث والعلَمية، وهي من الظروف التي لا تتمكّن. وابتكر الشيء إذا أخذ بَكورته وهو أوّله.

وضربةٌ بِكر بالكسر، أي قاطعة لا تُثنّى. وفي الحديث: «كانت ضربات علي عليه السلام أبكاراً، إذا اعتلى قدَّ، وإذا اعترض قطَّ». وفي رواية: «كانت ضربات عليّ عليه السلام مبتكراتٍ لا عوناً». أي أنّ ضربته كانت بِكراً يقتل بواحدة منها لا يحتاج أن يعيد الضربة ثانيا، والعون جمع عوان، هي في الأصل الكهلة من النساء ويريد بها ههنا المثنّاة .

«لسان لعرب، إبن منظور»

* الإجَّانة: الإجَّانة بالكسر والتشديد: واحدة الأجاجين وهي المركن [يُركَن فيه] والذي يُغسل فيه الثياب. والإجَّانة أيضاً: موقع الماء تحت الشجرة، والجمع أجاجين، ومنه: «يجب على العامل تنقية الأجاجين»، والمراد ما يحوَّط حول الأشجار.

والأُجنة بالضم: لغة في الوجنة، واحدة الوجنات.

«مجمع البحرين، الطريحي»

إصدارات عربية

الكتاب: «الفلسفة الأخلاقيّة عند جون ماكاي».
المؤلف: مها علي يحيى.
الناشر: دار «التنوير»، بيروت، ٢٠١١.

صدر عن دار «التنوير» في بيروت كتاب للباحثة في الفلسفة مها علي يحيى بعنوان «الفلسفة الأخلاقيّة - جون ماكاي».

موضوع الكتاب هو تقديم أحد أهمّ الاتجاهات المعرفيّة المعاصرة والتعريف به من خلال الفيلسوف الأخلاقيّ الغربيّ جون ماكاي (١٩١٧-١٩٨١). تُلقي الكاتبة الضوء على شخصيّة ماكاي الفلسفيّة الذي اشتهر بإسهاماته في مجال الميتا - أخلاق، وتبنّي موقف مذهب الشك الأخلاقيّ، وجادل ضد الوجود الموضوعيّ للصواب والخطأ في فلسفة الأخلاق. وترى الكاتبة أنّ ماكاي يُعدّ من أهمّ الفلاسفة الذين أثاروا مشكلة موضوعيّة القيم الأخلاقيّة في الفكر المعاصر، فقد كانت «نظريّة الخطأ» التي قدّمها بمثابة إنعاش للفكر الأخلاقيّ المعاصر، بما أثارته من جدل ونقد بين الفلاسفة الغربيّين المعاصرين.

الكتاب: «الدين والعولمة»
المؤلّف: مجموعة مؤلّفين.
الناشر: «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي»، بيروت ٢٠١١.

صدر حديثاً عن «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي» كتاب «الدين والعولمة - فُرص وتحدّيات»، وهو لمجموعة مؤلّفين من المفكّرين الإيرانيّين المعاصرين هم: د. سعيد رضا عامل - د. علي رضا شجاعي زند - د. كاظم سيد باقري - د. محمّد جواد شجاعي شكوري. يتناول الكتاب سؤال العولمة ومعناه، والتحوّلات الفكريّة والفلسفيّة والثقافيّة والاقتصاديّة. أمّا الجانب الأساسيّ في مهمّة المؤلّفين المشاركين فهو مناقشة الأثر الذي حملته العولمة على الدين، والمجتمعات الدينيّة الإسلاميّة بصورة خاصّة. كما يناقش الكتاب الكيفيّات التي ينبغي من خلالها مواجهة تداعيات العولمة على منظومات القِيَم الدينيّة والاجتماعيّة.

الكتاب: «الوحدة وتحدّيات التنوّع في الفكر السياسيّ عند الإمام الخمينيّ».
الكاتب: مجموعة مؤلّفين.
الناشر: «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي»، بيروت، ٢٠١١.

ضمن سلسلة الفكر السياسيّ عند الإمام الخميني التي يصدرها «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي»، صدر حديثاً كتاب « الوحدة وتحدّيات التنوّع»، وقد شارك فيه عدد من الباحثين والمفكّرين الإيرانيّين والعرب هم: أصغر افتخاري - نبيل علي صالح - علي محمّد حاضري - يحيى علي بابائي. يركّز مؤلّفو الكتاب على العلاقة بين الوحدة والتنوّع باعتبارها من المرتكزات الأساسيّة للاجتماع البشريّ. والسؤال الذي يُطرح في هذا المجال هو كيف يمكن المحافظة على الوحدة في ظلّ مجتمع متنوّع طبقيّاً وعرقيّاً ومذهبيّاً؟ ويُسلّط المؤلّفون الضوء على تجربة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في هذا المجال، ولا سيّما لجهة تعامل النظام السياسيّ والإداريّ والدستوريّ مع التنوّع الدينيّ والقوميّ.

الكتاب: «مفهوم العدل في الإسلام».
المؤلّف: د. مجيد خدوري.
الناشر: دار «التكوين»، دمشق ٢٠١١.
المترجم: أديب شيش.

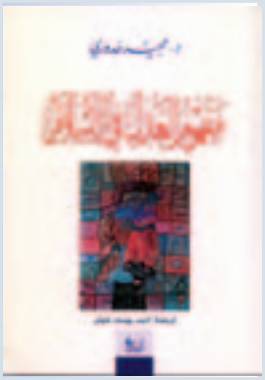

صدر حديثاً عن دار «التكوين» كتاب للباحث العراقي الدكتور مجيد خدوري بعنوان «مفهوم العدل في الإسلام». يتناول هذا الكتاب موضوع العدل الذي شغل رجال الفكر والعلماء والفلاسفة عبر القرون. ويجيب المؤلّف عن سؤال مركزيّ هو: ما هو العقل؟ وكيف تصوّره الإسلام في بداية ظهوره، وكيف تطوّر مفهومه لدى الفلاسفة والفقهاء؟ وهكذا تناول المؤلّف مفهوم العدل عند الغزالي والفارابي والرازي والماوردي ونصير الدين الطوسي؛ الذين تناولوا العدل من زاويته الأخلاقيّة. كما عرض للمفهوم من وجهة نظر الفقه الإسلاميّ من خلال ما قدّمه أبو حنيفة والشافعي، كذلك ما قدّمه ابن خلدون وابن الأزرق في مجال علم الاجتماع.

في الفصول اللاّحقة، تناول المؤلّف وجهة نظر العلماء المعاصرين أمثال محمّد عبده والأفغاني والإمام الخميني وعلي عبد الرازق وسواهم.

الكتاب: «الضفّاويون» (WEST BANKERS).
المؤلف: بنويت فوكون.
الناشر: دار «مشارق»، لندن ٢٠١٠.

أين ذهب مال منظمة التحرير وما مصير أموالها وشركاتها ومشاريعها؟ سؤال يطرحه كثير من الفلسطينيين، وهو السؤال الذي يرغب كثيرون أيضاً في معرفة الإجابة عنه بعد أن أصبح للثورة «حكومة» وبعد وفاة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

بالطبع هناك الكثير ممّا يُتداول حول الفساد في مؤسسات السلطة الفلسطينيّة فيما تسرّبت روايات كثيرة إلى وسائل الإعلام.

ومهما كان الأمر، فالكتاب الصادر في لندن بعنوان «الضفّاويّون» - ومؤلفه هو بنويت فوكون المتخصّص في الشؤون المالية - يحاول تقديم أو استكشاف أرض المال عند المنظمة التي لم تكن لتُولد دون دعم المال لها.

ولهذا وضع الكاتب عنواناً فرعياً: «كيف صنع المال المنظمة، وكيف دمّرها، وكيف يُمكن أن يعود؟»، كما يُغطّي الكتاب عدداً من الفصول تبدأ مع بدء منظمة التحرير، وتنتهي بالوضع الفلسطيني الحالي وصعود حركة حماس وخلافها مع المنظمة. ويعتمد الكاتب في معلوماته على مقابلات قادة وصحفيّين من داخل المنظمة أو ممن عايشوا مراحل ولادتها.

الكتاب: «في سر الرؤساء»
(DANS LE SECRET DES PRESIDENTS)
المؤلف: فانسان نوزيل.
الناشر: «فايار»، باريس ٢٠١٠.

يكتسي هذا الكتاب أهميّة غير مسبوقة في مسار المؤلفات السياسية التي عرفت طريقها إلى المكتبات الفرنسية في المدة الأخيرة.

وأهمية الكتاب تفسّرها غزارة المعلومات السرية التي كشف عنها المؤلف بعد عمل عميق وجاد توزّع بين المقاربة الأكاديمية النظرية والتحقيق الميداني والعملي الرصين، والمستند على مقابلات هامّة مع صنّاع القرار السياسي وقادة الجيوش ومسؤولي أجهزة المخابرات والإعلاميين المرموقين الذين عرفوا وعايشوا أهم وأخطر الحروب والصراعات الدولية التي شهدتها الفترة الممتدة بين عامي ١٩٨١ و٢٠١٠.

الكتاب يغطي فترات حكم الرؤساء: ميتران وشيراك وريغان وبوش الأب والإبن وكلينتون. ويهمّ العرب والمسلمين الذين يكتشفون في هذا الكتاب الكثير من الأسرار التي تم تبادلها بين الرؤساء الأميركيين والفرنسيين من أجل كسر شوكة قادة عرب يقلقون الغرب.

الكتاب: «سرقة التاريخ»:
«The Theft of History».
المؤلف: جاك غودي.
الناشر: «جامعة كامبريدج»، لندن.

يكشف كتاب «سرقة التاريخ» للأنثروبولوجي الإنكليزي جاك غودي، عن إدانته لأوروبا متّهماً إياها بسرقة التاريخ؛ وذلك بفرض رؤيتها الخاصة عن تاريخها للعالم وتقديمها على أنها وجهة نظر كونية أو عالمية.

ويأتي هذا الكتاب ردّاً على تساؤلات كثيرة طرحها في الآونة الأخيرة مفكّرون وكتّاب أوروبيّون حول مستقبل القارّة وإمكانيّة محافظتها على تفوّقها الحضاري بين غيرها من الحضارات.

وينتقد المؤلف الطريقة التي كُتب بها التاريخ الأوروبي، من حيث جعلها حضارة متفوّقة ومنفصلة تماماً في مسارها عن باقي الحضارات. ويتساءل ما الذي حدث حتى بدأنا نتصور وجود فرق بين أوروبا وآسيا ونسند لهما مساراً مختلفاً في تطوّرهما السوسيوثقافي؟

كذلك يحاول غودي من خلال كتابه تحليل بعض المفاهيم والمقولات التي فرضتها أوروبا كمبادئ عامة لتحقيب التاريخ؛ مثل العصر القديم والعصر الفيودالي والعصر الرأسمالي، مؤكّداً على أنّ عصر النهضة الأوروبية قد استند إلى كتب وفهارس وأدبيات كلاسيكية كان قد أفل استعمالها في الشرق، وبالتالي فإنّ عصر النهضة لا يمثّل تدشين عقلية جديدة ولا اختراع خطاب جديد، بل كان استعمالاً مكثّفاً للمعلومة ولتبادلها. وسمّى المؤلف هذا التبادل والاستفادة منه بالدَين المنسي، أي أن أوروبا في صياغتها التحقيبية لتاريخها ولتاريخ علائقها سرقت معنوياً نصيب المساهمات الثقافية للحضارات الأخرى.

«النهضة الحسينية» (Hussein Revivalism) (٥)

صدر عن «قسم الإعلام في العتبة الحسينيّة المقدّسة» العدد الخامس والجديد من مجلّة (النهضة الحسينيّة= Hussein Revivalism) باللغة الإنكليزيّة، ومن أبرز محتوياته:

- دراسة للدكتور أحمد حمود حول «الإمام الحسين عليه السلام في العهدين القديم والجديد».
- تحقيق عن «العتبة الحسينيّة عبر التاريخ»، وآخر عن عتبة الإمامين الكاظمين عليهما السلام.
- تعريف بمشروع «ترجمة نهج البلاغة إلى عشر لغات».
- «تأثير الفنون الإسلامية على الغرب» لإدون لوردويكس.

«الفقاهة» (١٥-١٦)

صدر عن «مركز الفقاهة للدراسات والبحوث الفقهية» في القطيف العدد الجديد المزدوج (١٥-١٦) من مجلة «الفقاهة» المختصّة بالبحوث الفقهيّة. تضمّن العدد الجديد:

- افتتاحية العدد، وجاءت تحت عنوان: «المفاهيم الدينية بين تفسير البشر والدلالة الشرعية».
- تحقيقاً حول «المخطوطات الفقهية لعلماء القطيف والأحساء والبحرين».
- «الآراء الأصولية والفقهية لميثم البحراني» من كتابه شرح نهج البلاغة.
- «الوضوء في الفقه المقارن».
- إطلالة على «تفسير عليّ بن إبراهيم القميّ».
- «الفقه القرآني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».
- قراءة في قاعدة «الإلزام».

«لو ديبا» (Le Debat) (٥)

صدر العدد الجديد من المجلّة الفصليّة الناطقة بالفرنسيّة لو ديبا (Le Debat) وهي مجلّة تُعنى بقضايا التقريب بين الجماعات والثقافات، ويصدرها «المركز اللبنانيّ للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة».

في هذا العدد بعد افتتاحيّة رئيس التحرير د. سمير سليمان، نقرأ مجموعة من الأبحاث والمقالات والدراسات لمفكرين وكُتّاب عرب ومسلمين في موضوعات مختلفة، أبرزها حول «الوحدة والتدامج» للإيرانيّ برويز شافعي، و«الحوار بين الجماعات» لكميل مغبغب، و«الغيب وأثره في بناء مفهوم ختم النبوّة» لعادل بن عبد الله، و«الحوار بين الأديان» لمحسن ميري، و«الإسلام في أمّة وعالم متغيّرين» للفرنسيّ كريستيان ترول.

«الوارث» (٢٥)

... وعن قسم «الشؤون الفكرية والثقافيّة في العتبة الحسينية المقدّسة» صدر العدد الخامس والعشرون من مجلة «الوارث»، ومن مواد هذا العدد:

- «قطوف دانية من السيرة الحسينية: أخذ معاوية البيعة ليزيد».
- «شبهات حول القرآن الكريم: أسلوب القسم المكّيّ يتميز بقصر السور والآيات».
- «على ضفاف نهج البلاغة: المُغيّبات في نهج البلاغة».
- «مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية: الصحبة والصداقة على وفق توصيات أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم»
- «أخلاقك هويتك: أجناس الرذائل وأنواعها».
- «مباحث عقائدية: دلالة إعجاز القرآن الكريم على نبوّة نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله، والفرق ما بينه وبين الكتب السماوية الأخرى».
- «أعلام الشيعة: القاضي الشيخ سعد الدين بن البراج».
- «معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم: إحياء أمير المؤمنين عليه السلام لسام ولد النبيّ نوح عليه السلام».
- «مَن كان همّه الآخرة كفاه الله همّ الدنيا والآخرة».
- «شؤون الأُسرة: الكذب والسرقة عند الطفل».
- «معارف عامة: الأشعة السينية – الإلكترون».

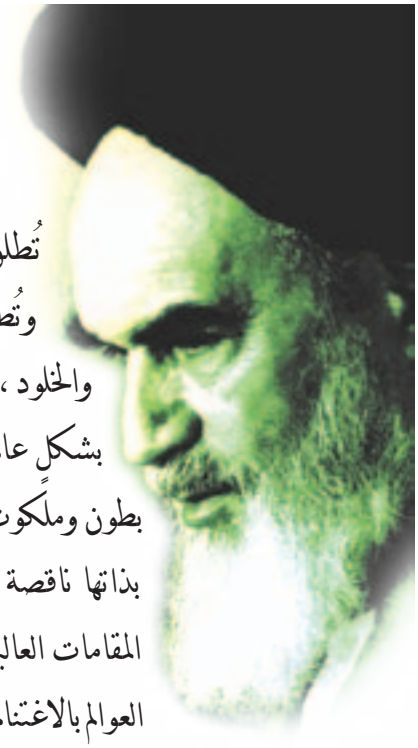

تَعَلُّقُ القلب بالدّنيا
هو الدّنيا المذمومة

تُطلق «الدّنيا» تارةً على نشأة الوجود النازلة التي هي دار التَّصَرُّم، والتغيير، والمجاز. وتُطلق الآخرة على الرجوع من هذه النشأة إلى الملكوت وباطنِه، الذي هو دار الثبات، والخلود، والقرار.

بشكلٍ عام، لكلّ موجود مقامُ ظُهور ومُلك وشُهود، وذلك هو مرتبتُه الدنيويّة النازلة، ومقامُ بطون وملكوت وغَيْب، وهو نشأته الأُخرويّة الصاعدة. وهذه النشأة النازلة الدنيويّة، وإنْ كانت بذاتها ناقصة وآخرَ مراتب الوجود، لكن حيث إنّها مَهْد تربية النفوس القدسيّة، ودار تحصيل المقامات العالية، ومزرعة الآخرة، فهي من أحسن المشاهد الوجوديّة، وأعزّ النشآت، وأجدر العوالم بالاغتنام لدى الأولياء وأهل سلوك الآخرة.

ولو لم تكن هذه المواد المُلكية والتغييرات والحركات الجوهريّة الطبيعيّة والإراديّة، ولو لم يسلِّط الله تعالى التبدُّلات والتصرّمات على هذه النشأة، لما وصل أحدٌ من النفوس الناقصة إلى حدِّ كماله الموعود، ودار قراره وثباته، ولَدَخَل النقص الكلّيّ في المُلك والملكوت. وما هو في لسان القرآن والأحاديث من ذمّ لهذا العالم، لا يرجع إليه في الحقيقة بحسب النوع والأكثريّة، بل بحسب التوجّه نحوها وانشداد القلب والمحبّة. يتّضح إذاً أنّ للإنسان دنياوين: إحداهما ممدوحة والأخرى مذمومة.

الدنيا الممدوحة، هي الوجود – وجود الشخص – في هذه النشأة التي هي دار التربية، ودار التحصيل، ومحلّ تجارة المقامات، واكتساب الكمالات، وتَهيئة الحياة السعيدة الأبديّة، التي لا سبيل إليها بدون المجيء من هنا، كما يقول حضرة مولى الموحّدين وأمير المؤمنين صلوات الله عليه في إحدى خُطبِه، بعدما سمع شخصاً يذمُّ الدّنيا:

«إنّ الدّنيا دارُ صدقٍ لِمَن صَدقها، ودارُ عافية لِمَن فهم عنها، ودارُ غنىً لِمَن تزوَّد منها، ودار موعظة لِمَن اتَّعظ بها، مسجدُ أحبّاء الله، ومُصلّى ملائكة الله، ومهبط وَحي الله، ومتجر أولياء الله، إكتَسَبوا فيها الرحمة، ورَبِحوا فيها الجنّة».

وقد فسّر قوله تعالى ﴿ . . ولَنِعم دار المتّقين ﴾ النحل: ٣٠ بالدّنيا، بحسب رواية العياشيّ، عن حضرة الباقر عليه السلام . .

إذاً، عالَم المُلك، الذي هو مظهر الجمال والجلال، وحضرةُ الشهادة المُطلَقة بمعنىً ما، ليس مذموماً. المذموم هو دنيا الإنسان نفسه، بمعنى وجهة القلب إلى الطبيعة والتعلُّق بها وحبّها، الذي هو منشأ جميع المفاسد والأخطاء القلبيّة والقالبيّة، كما رُوي في الكافي الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «رأس كلّ خطيئة حُبُّ الدنيا».

وعن أبي جعفر عليه السلام: «ما ذئبان ضاريان في غَنَمٍ ليس لها راعٍ، هذا في أوّلها وهذا في آخرها، بأسرع فيها من حُبّ المال والشرف في دين المؤمن».